الشيخ محمد كامل بن مصطفى

1828 - 1897

وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا

تأليف

الدكتور محمد مسعود جبران

WORLD ISLAMIC CALL SOCIETY

Association Mondiale de L'Appel Islamique

الشيخ محمد كامل بن مصطفى

وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا

الدكتور محمد مسعود جبران

الشيخ محمد كامل بن مصطفى
1828 ـ 1897
وأثـره في الحيـاة الفكريـة في ليبـيا

الطبعـة الثالثـة
مزيدة ومنقحة

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
WORLD ISLAMIC CALL SOCIETY
ASSOCIATION MONDIALE DE L APPEL ISLAMIQUE

الشيخ محمد كامل بن مصطفى 1828 ـ 1897

تأليف: الدكتور محمد مسعود جبران

منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

طريق السواني ـ طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

هاتف: 65 ـ 4808461 ـ بريد مصور: 4800293 ـ ص.ب: 2682 طرابلس

www.islamic-call.com
E-mail: media@islamic-call.net

سنة الطبع: 1377 من وفاة الرسول ﷺ ـ (2009) مسيحي

الرقم المحلي: 241 / 2008 دار الكتب الوطنية ـ بنغازي

الرقم الدولي: ردمك: 8 - 183 - 28 - 9959 - 978 ISBN

«يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية»

حقوق الطبع محفوظة

الإهداء

إلى أساتذتي الفضلاء ...

الذين أخذت عنهم تعليمي...

وأفدت من معارفهم...

أهدي هذا الكتاب تقديراً لأياديهم

د. محمد مسعود جبران

مقدمة الطبعة الأولى

في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي حلَّ بطرابلس الغرب (ليبيا) المؤرخ الرحالة محمد عثمان الحشائشي التونسي[1] الذي صوّر لنا في رحلته المسماة «جلاء الكرب من طرابلس الغرب»[2] جوانب متعددة ومهمة من حياة هذه البلاد، وما يتصل بأحوالها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، وما وقف عليه في ربوعها الطيبة من أخبار وآثار وأحداث، وما أنس به من شخصيات وأعلام: وبغض النظر عن البواعث الرئيسية التي حملت الحشائشي على القيام بهذه الرحلة، وعلى تسجيل ما لقيه فيها؛ فإن تلك الجوانب والملامح المسجلة أعطت ـ بلا ريب ـ قيمة علمية لرحلته وأهلّتها بفضل الكثير عن حقائقها الموضوعية لأن تكون اليوم من مراجع الباحثين في معرفة الظروف والملابسات التي عاشتها بلادنا الليبية في ذلك الزمان.

ومن الإيماءات البليغة الدالة في رحلة الحشائشي، والتي تهمنا في هذا المقام ما ذكره صاحبها الذي دخل مدينة طرابلس في حدود عام (1313هـ/

---

(1) الرحالة محمد عثمان الحشائشي ولد سنة (1272/ 1855) وتوفي في سنة (1331/ 1912) درس في الزيتونة، واشتغل مشرفاً على خزائن مكتبة جامع الزيتونة وقد ترك عدداً من الآثار من بينها هذه الرحلة راجع ترجمته فيما قدم به الأستاذ علي مصطفى المصراتي لها.

(2) حققها الأستاذ المصراتي تحت عنوان «رحلة الحشائشي إلى ليبيا» وصدرت سنة (1985/ 1965).

1895م) متعلقاً بدخوله جامع السوق داخل البلد، والذي وصفه بأنه «جامع بهيج عليه رونق عظيم»(*)[1] وذكر أنه رأى فيه كثيراً من علية القوم، وأعيان الترك من ضباط وغيرهم، يصيخون السمع لكلام الله، يتلوه مجود مصري عالم بالتلاوة وله «صوت حسن كأنه من مزامير داود»[2] ثم عرض للحديث عن مجلس العلامة المصلح محمد كامل بن مصطفى في الجهة القبلية من الجامع فذكر أنه وجد «العالم الفاضل النحرير المنعم الشيخ محمد بن مصطفى باشا، مفتي السادة الحنفية، يقرئ الحديث الشريف متن الشفا للقاضي عياض[3] وعليه حلقة عظيمة من أعيان البلد وغيرهم، وهو على اسطبل من اللوح[4] عال على الأرض بمقدار يسير تراه أعلى من جميع من دار به من السامعين»[5]. ولا يعني هذا الوصف الدقيق الذي وصف به الرحالة التونسي مجلس العلامة محمد كامل بن مصطفى ـ موضوع بحثنا ـ أنه المجلس الوحيد الذي كان يعقد في رمضان وفي غير رمضان بهذه المدينة البيضاء، ولا يدل البتة على تفرد هذا الشيخ بالإقراء والإملاء والتحديث والتدريس في جوامع هذا البلد؛ إذ شواهد التاريخ تنبئ أنه شاهد على الرغم من قلة العلماء أبّان تلك المرحلة مجالس وحلقاً أخرى كانت تفيض بالدرس والوعظ والتوجيه، وحلقات علمية حافلة بالدروس، مليئة بالطروس يعقدها الشيخ محمد علي بن موسى[6] المنعوت بـ «عمدة الإسلام»[7]

(*) الراجح عندي أن جامع قرجي هو المقصود بالوصف، وقد كانت المنطقة المحيطة به تمثل في ذلك التاريخ سوقاً حافلاً بالدكاكين وأماكن البيع والشراء، راجع حكاية مدينة.

(1) رحلة الحشائشي: 67.

(2) رحلة الحشائشي إلى ليبيا: 67.

(3) متن الشفا في الشمائل المحمدية، ليس في الحديث الشريف كما توهم الحشائشي، وهو «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض السبتي من علماء القرن السادس. راجع «التعريف بالقاضي عياض تأليف محمد بن عياض، أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري.

(4) الاصطبل موقف الدواب كما في القاموس المحيط، وواضح أنه يعني به الكرسي.

(5) رحلة الحشائشي ـ 67، 68.

(6) نفحات النسرين والريحان: 190، دليل المؤلفين العرب الليبيين 402.

(7) عثرت على هذا النعت في وثيقة ترجم بها للشيخ محمد العالم الكراتي.

والعلامة الأديب أحمد بن شتوان[1] والشيخ محمود الخازمي، والفقيه المغربي الشيخ محمد فاضل الشنقيطي، وقبلهم الشيخ الكبير محمد بن محمد قاسم قاجة[2] الذي كان على قدر عظيم من العلم، ولكن شهرة الشيخ محمد كامل بن مصطفى ـ الذي كان واسع الاطلاع، قوي الحجة، بديع الطرائق في الإصلاح والتبليغ، موفور الحظ في شيوع الثناء عليه عند الخاصة والعامة ـ كانت من الدواعي الأكيدة التي مكنت له من الذكر الجميل في هذه الرحلة، وقدمته للإشادة به من قبل هذا الرحالة؛ وقد كان ـ رحمه الله ـ كما سيوضح هذا البحث جديراً بكل تقدير وإكبار.

من ذلك المجلس السني الذي شهده الحشائشي في السنوات الأخيرة من حياة هذا العلامة؛ والذي كان يعجّ بالمباحث العلمية، والمسائل اللغوية والشرعية طوال نصف قرن تقريباً، كان ينجاذب فيه علامتنا حبل الحوار مع تلاميذه النجباء الخُمّس، أراني أتبين بوضوح البداية الجادة للنهضة الفكرية والأدبية المعاصرة في مدينة طرابلس الغرب، وألمس مسارها وطبيعتها وملامحها في غير عسر، حركة تمتلئ بروح إسلامية جديدة، وبمنطلقات سلفية متفتحة وثابة تتلمس طريقها بفضل هذا الرائد نحو مستقبل وضاء، وتبني اللبنات لتشييد صروح ثقافية وعلمية بعد مرحلة انحدار رهيب، ماضية بوثوق إلى النور المشرق، منطلقة من ظلمة طامسة تلبست بالبلاد إلى نهار مشع.

نعم أتبين وذلك، وأتبين معه علامة هذا القطر ومصلحه وابلاً هطالاً، نزل ماؤه على الأرض الميتة فأحياها بعد أن عبَّ وارتوى ـ وهو الألمعي الذكي ـ من موارد الأزهر الشريف، ونهل من بحار أعلامه أزكى وأنقى المعارف والعلوم، وأكاد ألحظه وفي أعماقه يقين راسخ أن الأقدار قد أنزلته من بين أنداده وأقرانه منزل الريادة والقيادة للنهضة الفكرية والإصلاح، وهو الإحساس الواضح الذي

(1) راجع ترجمته في لمحات أدبية عن ليبيا: 49.

(2) راجع في ذلك نفحات النسرين والريحان: 170، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، دليل المؤلفين العرب الليبيين.

جعله يدأب على التحصيل والاستادة، ويأخذ نفسه بطرائق الجدّ، وبواعث العمل ليغدق بعلمه وفضله على الديار.

ولقد استطاع ـ رحمه الله ـ أن يحدث بفضل هذا الشعور، وبطريقته البديعة في الإصلاح التربوي والتعليمي، وبفضل نشاطه وحماسته في بثّ العلوم، وإحياء المعارف في بلاده، وبحسن تأثيره في الخاصة من الولاة والمسؤولين وفي العامة ممن كانوا يختلفون على مجالسه تغييراً كبيراً، وأن يحقق إصلاحاً محموداً في هذا البلد الإسلامي الذي تعثرت حظوظه في القديم والحديث.

إن واجب الإصلاح الذي نهض بأعبائه الشيخ محمد كامل في ليبيا لا يقل بحال من الواجب الذي أداه كبار المصلحين والدعاة الإسلاميين الصادقين في تلك المرحلة التاريخية الخطيرة من حياة هذه الأمة الخالدة، والدور العظيم الذي برزت به هذه المدرسة الكاملية في الحياة العقلية والدينية يقف بشموخ بين أدوار الحركات السلفية في العصر الحديث، ويحتل مكانته بين الدعوات الإصلاحية والتجديدية المعاصرة.

ويطيب لي أن يكون موضوع هذا البحث المتواضع في الوقت الذي يعنى فيه عالمنا العربي والإسلامي اليوم بإظهار ذكريات المشاهير من الرواد في العلم والإصلاح التعريف بعالم عامل من الرواد المصحلين المغفول عنهم عند جمهرة الناس بل عند الباحثين، أعني الشيخ محمد كامل بن مصطفى الطرابلسي المغربي، الذي حمل رسالة كبرى في وطنه ليبيا.

وقد عرضت للحديث عن هذا العالم الجليل قبل هذا البحث دراسات وبحوث في لمحات عابرة مختصرة، وكان من بين من كتب عنه الأستاذ علي مصطفى المصراتي، الذي أبدى إعجابه بجهودة في كلمة خفيفة من كتابه (لمحات أدبية عن ليبيا)، وفي مقالته في كتابه القيم (أعلام من طرابلس)، التي حاول فيها أن يبين عن مكانه هذا الرائد بين أعلامنا الليبيين، وهي المقالة التي

ذكر خلالها أنه أول من كتب عن الشيخ محمد كامل بن مصطفى، وقد أفدت من هذه المقالة في بحثي، وناقشت بعض الأفكار الورادة في تضاعيفها.

والإنصاف يقتضينا هنا أن نذكر أن أول من تناول هذه الشخصية بالدرس، وعرضها على الناس، وبيّن أثرها وجهودها من كتّابنا الليبيين المعاصرين، هو أستاذنا الكبير علي الفقيه حسن ـ رحمه الله[1] ـ فقد كتب عنه مقالة في مجلة ليبيا المصورة التي كان يصدرها الأستاذ الصحفي عمر فخري المحيشي منذ العقد الثالث من هذا القرن، وقد كانت هذه المقالة مادة جدية لمن جاء بعده من دارسي هذه الشخصية.

ولقد بحثت كثيراً عن هذه المقالة للانتفاع بالمعلومات التي وردت فيها، ولكني لم أسعد للأسف بالاطلاع عليها[2] وإن سعدت بالروايات الكثيرة التي أتحفني بها أستاذي في العشايا الطيبة، والأسمار الممتعة التي شرفت بها أكثر من خمسة عشر عاماً.

ثم توالت بعد مقالة أستاذنا علي الفقيه حسن وما كتبه الأستاذ علي مصطفى المصراتي الكلمات والإشارات إلى مكانة العلامة ابن مصطفى في الحياة الفكرية المعاصرة ببلاده[3] ولقد تبين لي في أثناء عنايتي بأركان النهضة

---

(1) أحد مثقفي ليبيا منذ بداية القرن العشرين، ولد في سنة (1316/ 1898) وتوفي في سنة (1406/ 1985) درس في المدارس الأهلية بطرابلس مثل مكتب العرفان، ومدرسة النادي الأدبي، وكتب عدداً من المقالات في مجلة ليبيا المصورة وغيرها من الجرائد والمجلات، وألقى عدداً من المحاضرات والخطب السياسية حينما أسس حزب الكتلة السياسية في العقد الخامس من هذا القرن، ثم اختير ليكون عضواً في مجمعي اللغة العربية بالقاهرة ودمشق. راجع ما كتبناه عنه في مجلة الضاد العدد الأول سنة 1975، ومجلة الشهيد العدد 7، 8 ـ 1987.

(2) اطلعت أخيراً على هذه المقالة، وهي الحلقة الثالثة من السلسلة التي كتبها أستاذنا تحت عنوان أعيان ليبيا «الأستاذ محمد كامل بن مصطفى» في مجلة ليبيا المصورة العدد 4، السنة 3 يناير 1938، وفي الحق أن ما استفادناه من روايات الكاتب الشفاهية في مجالسه ـ وهو ما أثبتناه في تضاعيف الكتاب ـ كان أوفى مما جاء في هذه المقالة المختصرة.

(3) الشعر والشعراء في ليبيا: 190 قصة الأدب في ليبيا العربية: دليل المؤلفين العرب الليبيين: 411، الحياة الأدبية في ليبيا: 67. الأعلام: 7، 234، معجم المطبوعات الليبية، 1690 ـ 1691.

الفكرية والأدبية في ليبيا[1] الدور الفعال الذي نهض به هذا العالم المسلم، وظهر لي معه أن تلك الكلمات والمقالات المختصرة السابقة والرائدة لم تعد كافية لإبراز ذلك الدور الإصلاحي وصاحبه، ضرورو إنها لم تتحدث باستقصاء عن آثاره، وباتساع عن أخباره فوجهت اهتمامي إلى تتبع أخبار هذا العلامة وآثاره ودوره العملي، وإلى تلمّس كل ما يظهر قيمته بين الرواد والمصلحين في القرن الماضي حتى تتجلّى صورته في أذهان الجيل الجديد، فجاء هذا البحث الذي أنفقت فيه الكثير من وقتي وجهدي، وآمل أن يجد فيه الدراسون ما يفيد.

والبحث يشتمل على فصول غير قليلة تحدثت فيها عن أصول الشيخ محمد كامل بن مصطفى وولادته ونشأته الأولى، ورحيله إلى الأزهر في مصر للتحصيل، وذكر شيوخه وشخصيته، وعودته إلى بلاده طرابلس الغرب وتأثيره فيها، وعن رحلاته العلمية خارج هذه البلاد، ومن لقيه من الشيوخ ومشاهير البلدان التي زارها، ثم عرضت لأخريات حياته، ودرست آثاره الباقية، ولخصت المذكور جميعه في خاتمة.

ولا أخفي عن قارئ البحث أني كتبت هذه الفصول في سيرة علامتنا المصلح تحت تأثير الإعجاب به، وبباعث من تقديره وإكبار دوره الذي أداه للإسلام ولهذه الديار، وكنت أنشد مع ذلك أن تكون في مجموعها قريبة إلى

---

(1) تتجلى مظاهر من هذه العناية فيما حررناه ـ مخطوطاً ومطبوعاً ـ نذكر منه على سبيل التمثيل:
كتاب أحمد الفقيه حسن (الحفيد) ـ ليبيا ـ تونس ـ الدار العربية للكتاب 1975.
كتاب مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه ـ ليبيا ـ المنشأة العامة للنشر والتوزيع.
كتاب أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه ليبيا ـ مركز دراسة جهاد الليبيين. كتاب محمد عبد الله السني، مركز جهاد الليبيين.
كتاب سليمان الباروني ـ آثاره ـ ليبيا ـ تونس ـ الدار العربية للكتاب.
ونذكر من الآثار المخطوطة:
من أعلام المغرب العربي، كتاب سليمان الباروني أخباره، علي بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي، تراجم الأعلام في طرابلس الغرب.

الموضوعية متمشية مع الروح في البحث، جامعة بين النظر الدقيق والتمحيص وبين بيان العواطف الصادقة نحو رائد مؤمن مخلص، عمل لدينه ووطنه في صمت وتجرّد.

وما عبر الإنسان عن خيم نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل
وليس من الإنصاف أن يدفع الفتى يد النقص عنه بانتقاص الأفاضل

وإني إذ أشكر في هذا المقام مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية على ترحيبه بهذا البحث والقيام مشكوراً بنشره ضمن أعماله العلمية القيمة، وإذ أشكر كل من أفدت من ملاحظاته أو كتبه أو بحوثه أو رواياته في كتابة هذا البحث الذي لا أدّعي كماله، أو تمام مادته، وصحة بعض التصورات والفروض فيه، تلك الفروض والتصورات التي تعوزها ـ بلا ريب ـ الوثائق والمستندات المفقودة في الوقت الحاضر، أقول إني أشكر كل أولئك على جهودهم المحمودة أدعو مخلصاً إلى وجوب تضافر الجهود في بلادنا الليبية، وفي البلاد العربية والإسلامية لإبراز أدوار وأعمال القدامى والمحدثين من العلماء والمصلحين، الذين تفانوا من أجل نصرة عقيدتهم وأوطانهم، وإظهار ما يتعلّق بنتاجهم وآثارهم، وتصحيح كل ما يتصل بأخبارهم وتراثهم، وحسبي أن يبرز عملي في هذا المسار، والله المستعان في ذلك والحمد لله في البدء والختم على كمال توفيقه.

مقدمة الطبعة الثانية

نحمد الله تعالى على توالي أفضاله، ونصلي ونسلّم على خاتم رسله وآله، والرضا على من اقتدى بهديه وعمل على منواله.

وبعد، فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، دعت إلى تقديمها إلى القراء الفضلاء ثلاثة دواع رئيسة رأينا الاستجابة لها وتقديرها.

الأول: نفاد الطبعة السابقة الصادرة سنة (1402/ 1981) وهذا وحده داع كافٍ لأن ينهض المؤلف أيُّ مؤلف لمعاودة نشر أثره وتقديمه من جديد طالما وجدت رغبة محترمة من القراء أو حاجة ماسّة من قماطر المكتبات.

الثاني: ظهور بعض الوثائق والمخطوطات والكتب لم يتوصل إليها البحث في الطبعة السابقة، والمعرفة كالزمان في تجدّد ونماء، وقد هدى مرور تلك السنوات، واكتشاف هذه الوثائق والمعلومات ذات الصّلة بموضوع الكتاب إلى شيء من التصحيح والتعديل في مواضع من الطبعة الأولى، أو الإضافة إليها وإثرائها في مواضع أخرى، على نحو ما يلحظه القارئ، وآثرنا بناء هيكلية الكتاب في ضوء ذلك في ثلاثة أبواب رئيسة، تضمّن الأول منها ثلاثة فصول، والثاني فصلين، والأخير فصلين أيضاً، مع خاتمة مجملة مركّزة وليس من

غرضي أن أدلّ في هذا التقديم على تلك المواضع المتفرقة التي تعهدت بالتعديل تارة، وبالإضافة والبسط تارة أخرى؛ لأن زكانة القارئ، وإنعام نظره في تضاعيف الكتاب سوف يدلانه عليها، وعلى مقدار ما بذل من جهد في إثرائه، وإغناء أبوابه، وفي إعداد الكشافات والفهارس الدقيقة التي تسهّل مهمة البحث فيه.

الثالث: إظهار المحمدة لله تعالى على ما كتب لهذا العمل المتواضع من القبول والثناء، وهو ما يقتضي العرفان، وأيضاً التنويه في هذا المقام بما تفضل به الجلّة من أساتذتي العلماء، وأصدقائي الباحثين في ليبيا وفي خارجها، وشكرهم على ما أبدوه نحوه من تقدير، أخص بالتقدير منهم الأستاذ علي الفقيه حسن، والأستاذ مصطفى عبد الله بعيو، والأستاذ محمد بن مسعود فشيكة تغمّدهم الله بواسع الرحمة، كما أرفع على كاهل الامتنان شكري لكلمات الأساتذة الفضلاء الدكتور محمد عبد الكريم الوافي، الذي أسندت إليه مهمة تقييم الكتاب ـ مخطوطاً ـ قبل نشره في الطبعة السابقة؛ فأفضى إلى مركز دراسة جهاد الليبيين ضمن تقرير مطوَّل بملاحظات قيمة انتفع بها المؤلف وقد ختمها بقوله للمؤسسة العلمية «فإنني أنصح جداً باحتضان الكتاب ونشره، إذ فيه فوائد لا تحصى وشكراً لمؤلفه[1] على جهده المخلص»[2]. وكلمة العلامة المغربي الدكتور عبد الهادي التازي مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط في رسالته التي ضمّنها قوله: «ولقد كنتم متواضعين عندما وصفتم مؤلفكم محمد كامل بن مصطفى على أنه جهد المقل، إنه عمل رائع تستحقون معه كل تنويه»[3]. وكلمة الدكتور عقيل محمد البربار التي جاء فيها قوله: «أحب أن أشيد بمجهودك العلمي الجاد في هذا الخصوص؛ إن دراستك الدقيقة الجادة عن محمد كامل بن مصطفى كرائد لحركة الإصلاح في ليبيا ـ كما أكدت ـ تجعلني

---

(1) لم يقدر لي التعرف على الدكتور محمد عبد الكريم الوافي إلا بعد نشر الكتاب في سنة 1981.
(2) كتب هذا التقرير في أوائل سنة 1980.
(3) كتب الرسالة بتاريخ 23/ 9/ 1982.

أتمنى أن تخرج دراسة في هيئة مقالة ـ على الأقل ـ عن حركة الإصلاح في ليبيا في الفترة المشار إليها»[1] . . .

وقد تفضل الأستاذ الأديب فوزي البشتي بكتابة كلمة في مراجعة هذا الكتاب في طبعته الأولى، وهي الكلمة التي اطلعنا عليها قبيل تسليم العمل للطباعة، وقد أضفى فيها أدبه عليه ما فاضت به أريحيته، وأبدى ملاحظات موضوعية وجيهة[2] أشرنا إلى بعضها في داخله.

وختاماً، إني لأرجو أن يتفضل هؤلاء الأساتذة الباحثون جميعاً، وغيرهم من الفضلاء الأوداء الذين شملوا الكتاب بلطفهم وعطفهم وتشجيعهم بقبول شكري الصادق، وإكباري المقيم.

ومن الوفاء أن تجلو هذه المقدمة فضل مركز دراسة جهاد الليبيين للبحوث التاريخية، ومديره العام الدكتور محمد الطاهر الجراري والإخوة الباحثين والعاملين على فاعليته، لترحيبهم بإصدار هذا الجهد في طبعتيه الأولى والثانية ضمن منشورات المركز العلمية، وهو فضل لا يسعني إلا شكره، والإشادة به.

مجلة المجد 20/ 2/ 1990
محمد مسعود جبران
أستاذ مساعد بكليات اللغات
جامعة الفاتح

---

(1) كتب بتاريخ 27/ 2/ 1982.
(2) مجلة الفصول الأربعة، العدد 44، 1990.

مقدمة الطبعة الثالثة

أَحمد الله تعالى على نعمه الكثيرة والوفيرة التي لا تحصى، وأُصلِّي واسلِّم على سيّدنا ومولانا محمد رسوله المجتبى الأصفى..

أما بعد، فإنّه يطيب لي أن أُقدِّم للقراء الطبعة الثالثة من هذا الكتاب مزيدة ومنقحة ومصوَّبة، ومُدعَّمة بملحق لبعض المشاهد والصور، وأَشكر مكتب الأعلام والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على قيامه بإصدارها ضمن منشوراته العلميّة القيّمة في هذا الثوب من الإخراج الرفيع.

والله تعالى نسأَل أن يوفقنا جميعاً لخدمة دينه القيم، والعلم الشريف المعظم، والتعريف بالعلماء الصلحاء، والأعلام الأجلاء، وأن يتغمدنا في الدارين بواسع عفوه ورحمته، وكريم فضله ومنته، إنَّه نعم المولى، ونعم النصير.

أ.د. محمد مسعود جبران
رئيس قسم اللغة العربية
بكلية الدعوة الإسلامية

الباب الأول

الفصل الأول : الحيـــاة العامـــة.

الفصل الثاني: نشأته وتحصيله.

الفصل الثالث: إجازاته وسنده العلمي.

الفصل الأول

الحيـاة العامـة

1 ـ البعد السياسي:

يحسن بنا قبل البدء في ترجمة العلامة محمد كامل بن مصطفى، وتفصيل القول في حياته العلمية، وتأثيره الإصلاحي والعلمي في ليبيا، وما جرى له خلالها من لقيا الشيوخ والعلماء، ونيل الإجازات العلمية، والرحلات الهادفة التي قام بها في المشرق والمغرب لربط العلائق الثقافية والفكرية مع المنارات الشهيرة في ديار العالم العربي والإسلامي أن نمهّد لذلك بإلمامة مكثفة عن الحياة العامة تبين الظروف السياسية والثقافية والاقتصادية التي تقلّب فيها هذا المصلح في القرن الماضي، وتبرز أهم القضايا والأحداث الضخمة التي كان لها صداها في حياة أعلام ذلك القرن وتوجهاتهم.

لقد تزامن عمر مترجمنا وعمله الإصلاحي مع المرحلة النهائية الخاتمة من العهد العثماني أو الإمبراطورية العثمانية المسيطرة على الساحة الشرق أوسطية وشمالي إفريقيا أكثر من ثمانية قرون، وقد شهدت هذه المرحلة التاريخية بداية النهاية أو صحوة الموت لهذه الدولة الإسلامية وولاياتها الكثيرة، التي أخذت لأسباب متعددة في الانهيار، كان من أبرزها عوامل داخلية منها وقوف بعض القوى الفاعلة في وجه الإصلاح مثل الجنود

الانكشاريين الذين قاوموا محاولة السلطان سليم الثالث الذي قام بمحاولة إيجابية في الإصلاح تمثل في «تنظيم الجيش والأخذ بطرائق الإصلاح الأوروبية الحديثة»[1] فعملوا على إيقافه وأجبروه على الاستقالة في سنة (1222/ 1807)[2] ولم يقفوا عند ذلك الحدّ بل تجاوزوه إلى قتل المصلحين، وصنعوا الصنيع نفسه مع السلطان محمود الثاني، الذي قاوم نزعاتهم في الإفساد، وتغلب عليهم وقاومهم، ولكنه سرعان ما أصبح غرضاً لمكائد الدول الثلاث التي اصطلحت على ضربه في اتقافية سنة (1243/ 1827) وحطمت أسطوله في معركة نافارين[3] فبدأت الدولة العثمانية تسير منذ ذلك التاريخ نحو الانهيار والضعف. كذلك نجد من العوامل الداخلية الأخرى كثرة الثورات المحلية، والحركات المختلفة المنازع المطالبة بالاستقلال عن الدولة، ومنها الحركات المتعددة التي شهدتها ليبيا بلد المترجم[4] فضلاً عما كانت تعانيه الدولة العثمانية من أزمات مالية واقتصادية ضخمة، ومن بلوغ مؤسساتها العامة المتنوعة درجة لا مزيد عليها من الانحلال والترهل، أسهم في إيجادهما ما جنحت إليه الدولة من اتخاذ مبدأ العزلة والانزواء، وقفل الدروب المفضية للإفادة من أوروبا المتوثبة والعالم الصناعي الجديد، ومقاومتها في أحيان كثيرة لصور التفتح ورجال الإصلاح[5].

لقد اجتمعت هذه العوامل الداخلية والخارجية لتسهم دون شك في إضعاف الدولة، وإبعادها عن مسرح الحياة، بل في ضربها بأيدي خصومها من الصليبيين واليهود، وأبناء المسلمين والنصارى الذين حاربوها وثاروا ضدها، وألبوا عليها، وسموها كما سمتها الدوائر الاستعمارية الدولة العجوز أو الرجل

(1) تاريخ الأمة العربية «عصر الانبعاث»: 6.
(2) م. ن، وراجع الشرق الأوسط في التاريخ الحديث.
(3) م. ن، وراجع الشرق الأوسط في التاريخ الحديث: 92.
(4) العرب والعثمانيون: 377.
(5) م.ن.

المريض، ثم سعوا بوسائل مختلفة إلى تفجيرها من الداخل، واقتسام تركتها، وسوق الولايات التابعة لها إلى التبعية إلى أوروبا[1].

لقد أدرك مترجمنا عهد السلطان عبد المجيد وعهد أخيه السلطان عبد العزيز، اللذين كانا «يحميان حركة الأخذ عن الغرب»[2] ثم عهد السلطان مراد الخامس الذي كان على علائق جيدة مع بعض دول أوروبا، بل مع جماعة الاتحاد والترقي، وقد تولى العرش بعد أبيه في سنة (1293/ 1976)[3] واستقبل ببعض الأمداح الشعرية، ومنها أمداح بعض شعراء ليبيا ومنهم الشيخ محمد كامل ابن مصطفى نفسه[4] بيد أن هذا السلطان لم يدم حكمه طويلاً، بل لم يمكث فيه مائة يوم إذ أعلن عن جنونه فخاب أمل الأوروبيين والعثمانيين الجدد فيه وفيما كانوا يعلقونه عليه من آمال في تغريب الدولة، واعتلى أخوه السلطان عبد الحميد كرسي السلطنة بعده في العام المذكور؛ فكانت اتجاهاته وقيمه تختلف اختلافاً يكاد يكون كلياً عن اتجاهات أخيه مراد. كان من أبرز خصائص عبد الحميد الثاني أنه كان يريد الانتفاع من أوروبا ولكن في حيطة وحذر، بل كان يرفض الانبهار بتراث الغرب وثقافته، وكان على خلاف شديد مع جماعة تركيا الفتاة والعثمانيين الجدد الذين مالؤوا الغربيين والماسونية واليهود، وانحاز انحيازاً كاملاً للحفاظ على الإسلام ودياره، وتقوية الرابطة والجامعة الإسلامية[5] ومن أقواله في ذلك «يجب تقوية روابطنا ببقية المسلمين في كل مكان، يجب أن نقترب من بعضنا البعض أكثر وأكثر؛ فلا أمل في المستقبل إلاّ بهذه الوحدة، ووقتها لم يحن بعد، لكنه سيأتي، سيأتي اليوم الذي يتّحد فيه كل المؤمنين،

---

(1) راجع في ذلك: في تاريخ العرب الحديث، وتاريخ الأقطار العربية الحديثة، الشرق الأوسط في التاريخ الحديث. تاريخ الشرق الأوسط الحديث.

(2) مذكرات السلطان عبد الحميد: 4.

(3) المجموع: ورقة 25، ب.

(4) المجموع: 25، ب.

(5) راجع مقدمة د. محمد حرب عبد الحميد لمذكرات السلطان عبد الحميد السلطان عبد الحميد الثاني (مذكراتي السياسية) ص5، وما بعدها.

وينهضون فيه نهضة واحدة، ويقومون قومة رجل واحد يحطمون رقبة الكفار»[1].

لقد قاد السلطان عبد الحميد الذي تجنّى عليه خصومه والمنخدعون بهم ـ سفينة الدولة العثمانية التي تحطمت الكثير من ألواحها، وتمزقت جلّ أشرعتها وسط أمواج عاتية كاسحة، وقد كانت تلك السنوات من عهد هذا السلطان التي عايش المترجم جلها وتأثّر بها، وسار في مسار فلسفتها، الخاتمة لحكم العثمانيين في الآستانة، وفي الولايات الملحقة بها، ومنها ليبيا التي كانت تسمى عهدئذٍ ولاية طرابلس الغرب المستهدفة من المستعمرين.

لا خلاف في أن أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي تجلّت في مسيرة الدولة العثمانية في القرن الماضي تمثلت في إعلان الحرب من قبل روسيا على السلطان محمود الثاني سنة (1244/ 1828)[2] وفي الحرب التي كان يخوضها مع اليونان قبل سبع سنوات من حرب روسيا والتي انتهت بانفصال اليونان عن الدولة سنة (1246/ 1830) نتيجة تخالف الدول الأوروبية والصليبية مع اليونانيين[3] كذلك حملت الدولة على الدخول في حروب ضارية مع محمد على الذي استقلّ بحكم مصر وخاض حروبه ضدها في بلاد الشام وفي بعض جنوب آسيا الصغرى[4] ليكون ملك أسرته في تاريخ مصر الحديث.

وقد تلاحقت فجائع الدولة في أراضيها وممالكها، وذلك باستيلاء فرنسا في سنة (1246/ 1830) على الجزائر في شمال إفريقيا، كما عمد محمد علي في العام اللاحق (1247/ 1831) إلى شنّ الحرب على الدولة بتحريض من فرنسا، وقد أنهكت هذه الحرب وما سبقها ليس الدول العثمانية فحسب بل البلاد المصرية التي عادت من جديد ولاية عثمانية تحت حكم أسرة محمد علي[5].

---

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد: 8.
(2) الشرق الأوسط في التاريخ الحديث: 92.
(3) الشرق الأوسط في التاريخ الحديث: 89.
(4) العرب والعثمانيون: 402.
(5) م.ن: 431.

وقد أظهرت الدول الأوروبية بعد ذلك أطماعها ـ التي لم تكن تقف عند حدّ ـ في الرغبة في السيطرة على أراضي الدولة العثمانية والدول التابعة لها، فقد صار التهديد المباشر لولاية طرابلس من فرنسا تهديداً ظاهراً بعد صراع دام طويلاً بين الحكومة الفرنسية والحكومة الإنجليزية ممثلاً في تنافس قناصل هاتين الحكومتين لاغتصاب هذه الولاية ذات الموقع الاستراتيجي المهم من حكم الآستانة[1]. ولكن اللعبة السياسية الدولية التي شرع فيها مؤتمر (لندن) سنة 1883[2] اقتضت أن تكون هذه الولاية التي كانت تمر آنئذ بأسوأ ظروفها من نصيب إيطاليا التي كانت تبحث لها عن موقع قدم في شمال إفريقيا، وبخاصة بعد أن احتلّت فرنسا تونس المجاورة لها[3] وغير خافٍ أن هذا الاحتلال المخطط له قد تمّ بالفعل من سنة (1330/ 1911)[4] أي بعد مرور أربعة عشر عاماً من تاريخ وفاة مترجمنا، الذي شهد مرحلة الغزو السلمي الذي سبق ذلك الاحتلال.

بيد أنه لم تمض على الغزو الفرنسي الغاشم لتونس ـ في سياق السيطرة على العالم الإسلامي إلا مدة خمسين سنة تقريباً حتى تقدمت الأساطيل الإنجليزية لتدكّ بمدافعها في سنة (1300/ 1882) حصناً آخر من حصون الشرق الإسلامي الإسكندرية؛ ثم تمضي قواتها لتكتسح مصر المعدودة ضمن الولايات التابعة للدولة العثمانية[5].

على أن هذا الطور من الاحتلال العسكري والغزو المادي المتتابع كان مسبوقاً في الحقيقة بطور آخر ممهد لا يقل خطورة وفظاعة عن مآسي الطور اللاحق، أعني طور الغزو الفكري والروحي أو ما يسمى الغزو السلمي الذي توجهت فيه قوى المستعمرين إلى تهيئة نفوس كثير من الحكام في الدولة

(1) الحوليات الليبية: 550، 565.
(2) «التمهيد للغزو الإيطالي وموقف الليبيين منه» من كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي: 27.
(3) العرب والعثمانيون: 462.
(4) بحوث ودراسات في التاريخ الليبي: 15 ـ 47.
(5) العرب والعثمانيون: 439، في تاريخ العرب الحديث: 357 تاريخ الأقطار العربية: 274.

العثمانية وولاتها، أيضاً رعايا الدولة العثمانية من مسلمين ومسيحيين ويهود وأرمن وغيرهم لكراهية الدولة، والتبرم بالخلافة، ونقض البيعة لهما، والنظر إلى السلطان على أنه رمز استبداد وفساد وتخلف؛ وتزيين التعلق بالدولة الأوروبية على مختلف اتجاهاتها السياسية ومطامعها، والانجذاب إلى حضارتها[1] وهو ما كثرت معه كما أسلفنا الثورات والحركات والانتفاضات المحلية في الشرق والغرب، وقد كان الكثير منها غير مبرأ من الهوى، ومن الاتصال بالقناصل الأوروبيين، والوكالات الأجنبية المشبوهة، كما كثر ما كان يعرف بـ «الاحتماء بالقناصل»، وتخلي هؤلاء الرعايا من تبعيتهم للدولة العثمانية، وتجنسهم بجنسية من الجنسيات الأوروبية، وهو ما كان قد حذر منه مترجمنا محمد كامل في ذلك الوقت سداً للذريعة كغيره من المفتين الذين رأوا في ذلك المسلك ما يسارع بتقويض الدولة، وما يهدد الإسلام في عقر داره[2].

فقد ظهرت في مصر حركة محمد علي الذي عمل على استقلال مصر من جهة، كما عمل من جهة أخرى على شنّ الحروب على الدولة العثمانية، والاستيلاء على كثير من ولاياتها، وقد مرَّ القول في اتصال هذا الحاكم الطموح بفرنسا، وتعاونه معها، حتى أنه أوشك ـ كما يروي المؤرخون ـ أن يعين فرنسا في احتلالها الجزائر سنة (1264/ 1830)[3].

كذلك نشبت فتن كثيرة في بلاد الشام، وتتالت انتفاضات قامت بها جماعات من المسيحيين، وطوائف من المسلمين بدت بواعثها من الظلم الذي أحسّوا به، وما وجره عليهم جور بعض الحكام تارة، ومن الحقد الصليبي الأوروبي الذي ما فتئ يغذي شعور التمرد في الثائرين تارة أخرى[4].

---

(1) العرب والعثمانيون: 429، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر: 50. السلطان عبد الحميد الثاني (مذكراتي السياسية): 34 وما بعدها، 111 وما بعدها.

(2) الفتاوى الكاملية: 268.

(3) الشرق الأوسط في التاريخ الحديث: 93، العرب والعثمانيون 404.

(4) العرب والعثمانيون: 415.

وغير خافٍ أيضاً أن الدولة العثمانية تعرضت فيما تعرضت إليه من الزعازع في القرن الماضي ضمن هذا المظهر المتململ والانتفاضات لظهور العديد من الحركات في المشرق والمغرب مثل الحركة المهدية والحركة الوهابية وغيرهما من الحركات القوية. فقد ظهرت في السودان المهدية التي تزعمها محمد أحمد المهدي في الفترة (1881/ 1885) والتي استولت على أبار كردفان وجبال النوبه[1] وقد وقفت الدولة العثمانية من هذه الحركة موقف المعاداة والمخاصمة على نحو ما عبّر به أحمد الفقيه حسن أحد تلاميذ الشيخ محمد كامل في إحدى رسائله الديوانية الرسمية التي أدان فيها الحركة المهدية، بل عمد في مخاطبة الشيخ أبي بكر الكانمي سلطان برنو إلى الأسلوب الذي عالجت به الدولة العثمانية في استنبول وولاتها في مصر وليبيا والحركة السنوسية هذا الحدث أو الثورة وهو سلب محمد أحمد المهدي وأتباعه الكثير من علائم الاهتداء[2]. وما قيل عن موقف الدولة العثمانية من الحركة المهدية في السودان يمكن أن يقال عن موقفها من الحركة الوهابية التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الحجاز[3]، وبقية الحركات التي أشرنا إليها. فإذا اتجهنا بأنظارنا بعد ذلك إلى ولاية طرابلس الغرب بلد المترجم فإننا نجد جواً سياسياً وعسكرياً لا يقلّ عن الجو الذي لاحظناه في مصر الشام والحجاز والسودان، من حيث الثورة على ولاة الدولة، والطموح إلى تحقيق الاستقلال عن الآستانة؛ فقد اشتعلت نيران كثير من الثورات المحلية التي قادها غومة المحمودي في الجبل الغربي وفي كثير من أماكن سهل الجفارة[4] كما تزعمها عبد الجليل سيف النصر في المنطقة الوسطى من ليبيا وفي الجنوب[5] وقد بذل الولاة المتعاقبون جهوداً مضنية في مقاومة هذه

---

(1) م.ن: 446، في تاريخ العرب الحديث: 305.

(2) أحمد الفقيه حسن وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه: 55، 125.

(3) في تاريخ العرب الحديث: 3225.

(4) ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911: 360. الحوليات الليبية: 599. ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني: 26، ولاة طرابلس: 139.

(5) الحوليات الليبية: 587.

الحركات، وفي مقاومة الأطماع الأوروبية، وأنفقوا أرواحاً وأموالاً كثيرة في إخماد نيرانها[1].

كذلك عرفت هذه الولاية خلال ذلك الطور التاريخي بعض مظاهر الحركات والتنظيمات السياسية كالتي ظهرت في بعض أقطار المشرق والمغرب، وقد شغلت هذه الحركات الدولة العثمانية والحاكمين في الآستانة، كما شغلت أيضاً الولاة والقضاة وغيرهم من رجال الدولة والولايات، نذكر منها على سبيل المثال ما حدث في ولاية طرابلس ممثلاً في قضية إبراهيم سراج الدين[2] والتي سنعود في الفصل ما قبل الأخير إلى الحديث عنها لصلتها بأخريات حياة المترجم، وقضية الشريف حميد والشريف محمد في إقليم فزان[3] وقضية سليمان الباروني التي نشبت بعد سنوات قليلة من بروز تينك القضيتين[4].

2 ـ البعد الاجتماعي والاقتصادي:

تكوّن المجتمع السكاني في ليبيا إبان القرن السابق من مزيج من العناصر التي تألف من مجموعها أهالي هذه البلاد؛ منها عنصر السكان الأصليين، وعنصر الطارئين من أوروبا وآسيا مثل الكريتيين والكورغلية واليهود والإيطاليين والإنجليز ومنهم عنصر الوافدين من إفريقيا على متعدد بلدانها[5].

ولقد انصهر بعض هذه الأجناس في بعض وامتزجت وتآلفت وبخاصة من كان يربط بينها الدين الإسلامي، وبذلك بدت التركيبة الاجتماعية الغالبة للسكان

---

(1) المراجع السابقة.

(2) توجد وثائق هذه القضية ضمن وثائق دار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب، وقد نشر الدكتور أحمد صدقي الدجاني طرفاً منها في كتاب: وتناولها من قبل في كتابه ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي: ص349 وما بعدها.

(3) ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي: 379.

(4) راجع كتاب ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي: 348، لمحات أدبية عن ليبيا: 69 سليمان الباروني آثاره.

(5) ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911: 386، حكاية مدينة: 164، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني: 17 بلدية طرابلس: 411 وما بعدها.

تكاد تكون موحدة بالعقيدة الإسلامية ما عدا العناصر غير المسلمة التي تعايشت مع تلك البُنية في إطار من الاتفاق تارة، وفي إطار من الافتراق تارة أخرى بحسب ما كانت تمليه المعطيات السياسية والاقتصادية والعلائق والمؤثرات بين هذه البنية ومن كان يعايشها من الجوالي الغريبة.

وغير خافٍ أن أعظم رباط عقدي كان ولا يزال يربط هذه البنية السكانية لهذه البلاد الليبية هو الدين الإسلامي الذي يدين به جلّ السكان بل كلهم، بيد أنهم كانوا ينقسمون في تمذهبهم الفقهي إلى ثلاث مذاهب رئيسة هي على الترتيب: المذهب المالكي والمذهب الإباضي والمذهب الحنفي الذي كانت تتبناه بعض الأسر وبخاصة الأسر التركية والكورغلية، ومنها أسرة مترجمنا عائلة ابن محمود. ولقد توزّع سكان ليبيا على مختلف نزعاتهم الدينية والعرقية في القرن الماضي بعض من وجوه النشاط الاقتصاد الذي تقومت به حياتهم المعيشية كالزراعة والتجارة وامتهان بعض الحرف الصناعية البسيطة، نشير هنا بإيجاز إلى الأوضاح منها لتتكامل نظرتنا إلى الحياة العامة التي تفاعل بها المترجم، وتأثرت بها مسيرة حياته.

فمن المعلوم أن إمكانيات البلاد الليبية الاقتصادية سواء في ولاية طرابلس الغرب، أو متصرفية بنغازي أو في مناطق الدواخل لم تكن كبيرة أو ضخمة خلال القرن الماضي، إذ كان معتمدها الأساسي على الزراعة القائمة على الأمطار أو الري البدائي من الآبار والعيون، وهو ما يكون مع الإنتاج بل المردود الاقتصادي نزراً يسيراً في الغالب، وبخاصة في سنوات الجفاف التي كانت تجتاح البلاد في دورات متعاقبة[1] ويظهر أن قطاع الزراعة حظى ببعض العناية الرسمية في ظل محاولة النهوض بالولاية ومواردها في تلك الحقبة. وقد ذكر ليزا اندرسون أن رجال الإصلاح أو التنظيمات شجعوا على «تطوير الزراعة

---

(1) «الضرائب العثمانية في طرابلس ومتصرفية بنغازي» «أنماط التجارة الداخلية في ولاية طرابلس وبرقة» ـ مجلة البحوث التاريخية العدد 2 ـ السنة 6 ـ 1984 ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني: 99.

وتسجيل الأراضي، والتوسع في الملكية الخاصة طبقاً لقانون الأراضي العثماني 1858»[1]. ويظهر أيضاً أن الدولة العثمانية وولاتها كانوا قد عوَّلوا كثيراً على هذا الإصلاح الجزئي كثيراً، وعلقوا آمالاً ضخمة عليه، إذ حرصوا على جباية الضرائب المقدرة على المزارعين والفلاحين حرصاً مبالغاً فيه، وتشدّدوا في ذلك سواء أكان المحصول أو الموسم وفيراً أم نزراً يسيراً، وهو ما أثقل كواهل الأهالي؛ وكان سبباً مباشراً في ظهور حالات من التشكي والتظلم، أو في الجنوح نحو الحركة والتمرد، أو الامتناع عن آداء الضرائب والديون المستحقة والزيادات الضريبية المفاجئة[2].

والذي لا جدال فيه أن الباعث الأكيد الذي كان وراء هذا الاهتمام الكبير أو الحرص المبالغ فيه في تحصيل الضرائب وجبايتها على الرغم من مظاهر فقر البلاد وجفاف أراضيها كان منحصراً حسب التفسير الموضوعي للدكتور صلاح الدين حسن السوري للمسألة في عاملين أساسيين هما: تأكيد الدولة العثمانية على مظهر «البيعة والاعتراف بالرعوية للسلطان، وبالمفهوم الحديث تأكيد مبدأ السيادة»[3] والعامل الآخر تحقيق ما كانت تطمح إليه الدولة من الإنعاش الاقتصادي، إذ إن في استمرارية جباية الضرائب من هذه الولاية ومن غيرها كما قرر «استمرارية الدولة وبقاءها»[4].

كذلك عرفت ليبيا خلال القرن المذكور بعض الأنشطة الاقتصادية الأخرى كالتجارة[5] والقيام ببعض الحرف[6] إلى جانب الزراعة، إذ اشتغل بعض الأهالي

(1) آراء غربية في إصلاح عثماني (ليبيا في أواخر القرن التاسع عشر) مجلة البحوث التاريخية العدد 2 السنة 7 1985.

(2) راجع الحوليات الليبية: 629 ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911: 360 ليبيا الاحتلال الإيطالي: 118 ـ مجلة البحوث التاريخية العدد 2 السنة 6 ـ 1984 «الضرائب العثمانية» «أنماط التجارة الداخلية».

(3) الضرائب العثمانية في طرابلس الغرب ـ مجلة البحوث التاريخية العدد 2 السنة 6، 1984.

(4) م.ن.

(5) ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني: 127.

(6) ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني: 107.

بالتجارة والصفق في النطاق المحلي فيما كانت تجود به جهود المزارعين من إنتاج الحبوب والخضروات والفواكه وتربية المواشي والأغنام وغيرها من المنتجات المحدّدة التي كان يبيعها أصحابها في الأسواق التي كانت تعرف عهدئذ ببعض أيام الأسبوع التي تنعقد فيها، أو في الأسواق الأخرى التي اشتهرت بأسماء بعض الغلال التي كانت تعرض فيها، وقد لوحظ أنه كان يتم في ذلك الوقت نوع من التبادل الإنتاجي بين أسواق المناطق والقرى المختلفة في البلاد كتبادل بيع الصوف والزيوت والحبوب والمواشي ونحوها[1] ولا مشاحة في أن أهم المنتجات التي كانت تفيض عن السوق الليبية الداخلية أو التجارة المحلية في سنوات الخصب ومواسم الأمطار، ويعمل التجار على بيعها إلى بعض الشركات وإلى تصديرها إلى الخارج كان ممثلاً في محاصيل القمح والشعير والمواشي ونبات الحلفاء[2].

ومن المعلوم أن كثيراً من أفراد الجوالي الأجنبية كانت تهمين هيمنة توشك أن تكون تامة على النشاط التجاري وعلى المنشآت الصناعية والاقتصادية الصغيرة كالمطاحن ومعاصر الزيوت، وعلى الوكالات التجارية والشركات، ومن أبرز هذه العناصر المسيطرة على هذا النشاط طوائف من اليهود والمالطيين والإنجليز والفرنسيين والإيطاليين ممن كانوا يقيمون في المدن الساحلية أو في الدواخل[3] ويستمتعون بحماية دولهم أو قناصل الدول الأوروبية فكانوا بذلك من أبرز المستغلين والمحتكرين والمستفيدين من موارد التجارة في طرابلس الغرب، ومن أظهر المقاومين للتجارة والتجار البلديين أو الأصليين[4]. وإذا كانت الدولة العثمانية أو الولاة في هذه الولاية قد استفادوا مما فرضوه من

---

(1) أنماط التجارة الداخلية في ولاية طرابلس الغرب، مجلة البحوث التاريخية العدد 2 السنة 6، 1984.

(2) المصادر المذكورة.

(3) المراجع المذكورة.

(4) م.ن.

الضرائب على هذه التجارة، أو على تجارة القوافل التي نشطت هي الأخرى كثيراً في عقود من هذا القرن بما كانت تستجلبه من إفريقيا[1]، فإن الفائدة التي جناها الأهالي من هذا المورد أو المظهر الاقتصادي المهم ظلّ محدوداً بل محصوراً في الغالب ضمن دائرة التجارة المحلية، وسوف نلحظ أن أسرة المترجم، بل المترجم نفسه اشتغلوا إلى جانب أعمالهم الحكومية والرسمية ضمن هذه الدائرة لتحسين الظروف المعيشية؛ فيما مارسوه كما يفصح المجموع الذي كتبه المترجم من زراعة وتجارة وإيجار عقارات.

3 ـ البعد الفكري والتعليمي:

عاشت ليبيا في العهد القره مانلي وفي العهد العثماني الثاني إذا استثنينا بعض الظواهر، حياة ثقافية وفكرية جامدة خاملة نتيجة لما ألمّ بها من انتكاسات وفوضى وقلاقل على المستوى السياسي، ولما حلّ بساحتها من تقهقر وضعف في المستوى الاقتصادي، وقد كان هذان المستويان السياسي والاقتصادي مسؤولين مسؤولية مباشرة على تلاشي المحيط الثقافي والمناخ الفكري الذي يحتضن العلماء، ويحضهم على العطاء ويغري طلاب العلم وشداة الأدب بالدرس والتحصيل، ويفسح المجال لظهور بيئة ثقافية صالحة للإبداع في متعدد الاتجاهات.

ومع التسليم بالنسبية فيما بين البلاد العربية والإسلامية من تفاوت فإنه يمكن القول إن العالم الإسلامي مرَّ خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي بمرحلة عامة من الجمود والخمود، وعايش ظرفاً زمانياً ممتداً وممتلئاً بالتكلس والانزواء والاجترار؛ فكان جلّ أعلامه ـ باستثناء من ظهرت فيه وقدة الذكاء والرغبة العارمة في الإصلاح ـ يرسفون في قيود التقليد، ويأنسون بأجواء الكسل العقلي والاسترخاء الذهني ويميلون إلى المعاد المكرور من

(1) مجلة البحوث التاريخية العدد 1 السنة 3 ـ 1981 عدد خاص بتجارة القوافل عبر الصحراء.

المتون والحواشي التي تقادم عليها الدهر، وتخطاها الزمان، فلم يعد بمقدورها أن تثري عقلاً أو تغذي وجداناً، أو تعالج واقعاً معيشاً.

وما من شك في أن الدول العثمانية التي كانت تهيمن على الكثير من أقطار العالم الإسلامي، ثم منيت في ذلك القرن بالانحلال والانحطاط والتخلف كانت مسؤولة عن جوانب كثيرة من ذلك القصور فيما فرضته على مؤسساتها من عزلة وتضييق، وما أخذت به نفسها من سياسة متبعة في تجاهل واقع أوروبا الصناعية وطموحاتها الاستعمارية التي لم تكن تنتهي عند أمد؛ فقد آثرت ـ خلال فترات قصيرة حكم فيها بعض السلاطين الطامحين إلى الإصلاح ـ الميل إلى ضرب الأسوار الرهيبة لعزل مواطنيها ورعاياها عن الحضارة المادية الجديدة الحية في أوروبا؛ وإلى إيثار عدم اكتشاف هذا العالم العلمي والصناعي المجتاح[1].

كذلك طحنت أرواح المصلحين والمثقفين في الآستانة وفي سائر الولايات التابعة لها بتولي كثير من الولاة زمام الحكم في بلدانهم، ولم يكونوا من أهل العلم والفضل والتهذيب، بل كان دأبهم وديدنهم كبت الأصوات المخلصة المنادية بالنهوض، والمطالبة بالإصلاح، والعمل على قمع الأفكار المتميزة المتحررة، والعمل على ضمان ما يكفل مصالح هؤلاء الولاة من جباية الضرائب وتحصيلها، دون أن يعرف عن الكثير منهم مظهر من مظاهر تشجيع العارفين وأهل العلم، أو احتضان تطلعات أهل الإصلاح، أو إدناء الأدباء والاستماع إلى بوحهم أو التأثير بخلجاتهم[2].

وقد لقي المترجم غبَّ عودته من مصر، وفي بداية حياته الإصلاحية ـ كما سيتضح ـ شكلاً من أشكال المحاصرة والتضييق[3].

لذلك ظلّ العلم والأدب يدوران خلال القرن المشار إليه في دائرة ضيقة،

---

(1) راجع العرب والعثمانيون ـ اكتشاف التقدم الأوروبي.
(2) في الأدب الحديث: 11 وما بعدها.
(3) راجع في المجموع الخبر المتصل بأبعاده إلى الجبل الغربي.

كستهما في الأفشى مما وصل إلينا من نتائج العلماء والأدباء بطوابع متشابهة إن لم تكن موحدة، تصطبغ بالضعف والجمود والرتابة في كثير من مضامينها وشكولها[1].

ويبدو أن هذا الضعف قد بلغ درجة لا مزيد عليها من الوهن، مما لفت في بعض الأحايين وبخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الراعي والرعية على حد سواء إلى ضرورة العمل على علاجه وإصلاحه والقيام على أمر التفكير في النهوض بجوانب وروافد الحياة الفكرية والتعليمية، كضرب من المقاومة الإيجابية للصمود أمام زحوف الحضارة الغربية، والتصدي للانهيار الشامل الذي منيت به الدولة العثمانية وولاياتها، ضمن ما كان يعرف عهدئذ بسياسة التنظيمات[2].

والذي لا خلاف فيه أن جهود العلماء والمصلحين الذين علت صيحاتهم في ذلك الفراغ قد تضافرت ـ نتيجة هذا الإحساس مع جهود الدولة في بعض المراحل، واستقلّت بالعمل والتأثير والنهوض بالواقع المعاش في البلاد الإسلامية في مراحل أخرى، حينما افتقدت النصير والمعين من السلطة، وبدت في منارات العلم ومعاهدة العلمية في الشرق والغرب، وبخاصة في الجامع الأزهر وفي جامع الزيتونة وفي علبكرة وغيرها. روح عامة من الرغبة في الإصلاح الديني والتعليمي والفكري، تريد أن تعيد الإسلام والمسلمين إلى سابق المجد الذي عرفوا به، وتتحدّى الروح الغربية التي كانت تؤمن آنذاك بالتفوق العقدي والأخلاقي، وتحلم بالسيطرة الاقتصادية والعسكرية على الدولة العثمانية وولاياتها، بل على العالم الإسلامي بأجمعه.

لقد امتلأ الجو بأصداء صيحات المصلحين من أمثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة، والشيخ طاهر الجزائري في الشام، والشيخ محمد أحمد

---

(1) راجع: في الأدب الحديث حـ1: 13، الفنون الأدبية وأعلامها: 44 الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث: 1: 47، مدرسة الإحياء والتراث: 15.
(2) العرب والعثمانيون: 378، اكتشاف التقدم الأوروبي: 45.

المهدي في السودان، ومحمد بن علي السنوسي في ليبيا، وتشبعت النفوس بدعواتهم المنادية بالخروج بالمسلمين مما آلوا إليه من ضعف ووهن[1] ومن انحطاط وانحراف عما جاء في شريعتهم السمحة التي ارتقت بأقدار أسلافهم، وخلقت منهم أمّة عظيمة حية متحضرة، ولقد بدا مظهر الإصلاح أول ما بدا في المجال التعليمي الموروث حيث عملت طائفة شيوخ الأزهر، ومن شيوخ الزيتونة والنجف الأشرف والقيروان والقرويين، وغيرهم من علماء العالم الإسلامي في المشرق والمغرب، ومنهم علامتنا المصلح الذي وظّف جهوده الإصلاحية في طرابلس الغرب، وقد تزامن جهده مع تلك الجهود الإصلاحية الكبيرة لنشر العلم الذي كانت دائرته ضيقة بين المسلمين، وللثورة على بعض مناهج الدراسة وكتبها المقررة حينما أحسّوا أنها لا ترتقي بالعقول ولا تغذي الأرواح، ضرورة أن العصر تخطاها واجتواها.

وفي الحق فإن بعض الحاكمين أحسّوا هم أيضاً بهذا الإحساس فتوجهوا ضمن دائرة هذا الإصلاح إلى تأسيس المدارس الحديثة في الولايات، وافتتحوا المعاهد والمدارس النظرية والعملية كما هو الحال في الآستانة وتونس ومصر، وأدخلوا في برامجها بعض المناهج العصرية، كما سمحوا بظهور الصحافة وغيرها من المظاهر الثقافية التي شعر المثقفون معها بازدهار الحياة الفكرية، كما تبينوا خلالها الوضع الأوروبي والطموح التوسعي لحكوماته.

وليس غريباً بعد ذلك أن تهتز بلاد المترجم لهذا المظهر الحيوي من الإصلاح الفكري والتعليمي الذي شمل كثيراً من البلدان والأقطار؟ فتشهد هي الأخرى ـ بعد أن خيَّم عليها ظل كئيب من الجهل والظلام الدامس ـ صحوة تجسّدت في ظهور الحركات إصلاحية رسمية كالتي قام بها بعض الولاة الجادين، وحركات أهلية شعبية كالتي نهض بها الشيخ محمد بن علي السنوسي

---

(1) راجع في ذلك: أحمد تيمور ـ أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، محمد كرد على المعاصرون أحمد أمين: زعماء الإصلاح: محمد علي دبوز نهضة الجزائر المباركة محمد الفاضل ابن عاشور: تراجم الإعلام.

الخطابي واتباعه ومريدوه من أمثال الشيخ عبد الله السني وابنه محمد عبد الله السني[1]، وتلاميذه الآخرون كالشيخ أبي القاسم العيساوي والحاج أحمد التواتي[2] أو الإصلاح الديني والتربوي كالذي برزت به المدرسة البارونية على يد الشيخ عبد الله يحيى الباروني[3] أو أسرة بني منيع في الجبل الغربي[4] أو أسرة الحضيري في فزّان[5] والأسرة المدنية في مصراته[6] وغيرها من الأسر والأفراد الذين سعوا إلى الإصلاح والنهضة، فقد انتشرت بجهودهم العديد من الزوايا والمساجد والجوامع ووسائط نشر المعرفة والعلم؛ كما سعى بعض الولاة ـ في الجانب الرسمي ـ من أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى نشر المدارس الرشدية المؤسسة وفاق المدارس الثانوية العصرية، وإنشاء مدارس ومؤسسات مماثلة للذكور والإناث[7]، مع العمل على إظهار آفاق ثقافية وروافد معرفية مثل الصحافة الرسمية والشعبية التي شهدتها ليبيا في أواخر القرن الماضي، وكانت من أبرز مظاهر الحياة الفكرية فيها[8].

وعلى الرغم من أن المترجم قد جوبه غبَّ عودته إلى ليبيا، ومع بداية أعماله الإصلاحية ببعض أشكال المحاصرة والتضييق ـ كما سيتبين[9] ـ فإنه

---

(1) راجع بحثنا عن الشيخ عبد الله محمد السني، وهو في الأصل نصُّ المحاضرة التي ألقيتها في قصر الثقافة بمدينة ود مدني بالسودان، وراجع بحثنا عن محمد عبد الله السني مجاهداً بالسيف والحرف، مجلة البحوث التاريخية، العدد 1، السنة 6. والذي طورناه فصار كتاباً بعنوان «محمد عبد الله السني» ترجمته وتحقيق ما تبقى من آثاره.

(2) راجع د. محمد فؤاد شكري في كتابه «السنوسية» 39.

(3) راجع بحثي في شخصية الشيخ عبد الله الباروني في المجلة التاريخية المغاربية بتونس 1992، وكتاب عن سليمان الباروني آثاره وكتاب سليمان الباروني في أطوار حياته.

(4) مجلة البحوث التاريخية «الحياة العلمية بالجبل الغربي».

(5) مجلة البحوث التاريخية د. حبيب وداعة الحسناوي

(6) المنهل العذب. مؤرخون من ليبيا: 197.

(7) تطور التعليم في ليبيا: 131، أثناء العهد العثماني: 99.

(8) راجع صحافة ليبيا في نصف قرن، وتاريخ الصحافة العربية، المطابع والمطبوعات الليبية قبل الاحتلال الإيطالي بلدية طرابلس: 415.

(9) المجموع: ورقة 16، أ.

استطاع أن يتجاوز هذه العوائق، وينحاز إلى ما وطّن عليه نفسه من الرغبة في الإصلاح، وسوف يهدينا البحث إلى حقائق وفيرة مؤثقة ومعتمدة لا يرقى إليها الشك، تجلو تفاعله مع حركة الإصلاح الديني والعلمي والتعليمي في داخل ليبيا وخارجها، وإلى إيثاره طريق الإصلاح الهادي الرصين الذي سلكه بعض المصلحين في الغرب الإسلامي وشرقه، كما يدلنا سلوكه منهجاً معتدلاً مؤثراً، استطاع بفاعليته أن يجعله منطلقاً للكثير من المظاهر التي شهدتها ولاية طرابلس الغرب في القرن الماضي في السياسة والتعليم والصحافة والقضاء، وجسراً لتأهيل طبقة من العلماء والمثقفين عملوا بعده على تحقيق بعض ما كان يطمح إليه هذا المصلح.

الفصل الثاني

نشأته وتحصيله

اسمه ولقبه:

قبل الشروع في الرحلة الشائقة في حياة الشيخ محمد كامل بن مصطفى نبتدئ بذكر ما يتصل باسمه ولقبه الذي يصادفنا في بعض المواطن والمظان مختلفاً في رسمه وترتيبه؛ فقد وجدت في تقييد كتبه مترجمنا بخطه[1] أن العلامة شيخ الإسلام في تونس أحمد بن الخوجة[2] وصفه بأنه «الفاضل الهمام، العالم الجليل سيدي محمد ابن محمود رئيس علماء طرابلس الغرب»[3]، ونعته الرحالة التونسي محمد عثمان الحشائشي بـ «العالم الفاضل، النحرير المنعم، الشيخ محمد بن مصطفى باشا»[4].

---

(1) في النسخة التي كان يمتلكها المترجم من كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار والموجودة بمكتبة الأوقاف.

(2) هو أبو العباس أحمد بن الخوجة نشأ في بيت علم وفضل تحت رعاية والده شيخ الإسلام محمد ابن أحمد بن جموده الخوجة، وأخذ عنه كثيراً من علمه، كما أخذ عن عمه حسن بن الخوجة، والشيخ حسين البارودي والشيخ محمد النيفر والشيخ محمد ابن عاشور وغيرهم من علماء زمانه، ثم تولى التدريس والفتوى والقضاء، وكانت مجالسه ماماً للعلماء من أهل تونس والطارئين عليها وقد توفي في سنة (1310/ 1892) بعد أن ترك عدداً من الآثار والمؤلفات راجع ترجمته في: أعلام الفكر الإسلامي: 373 ـ تراجم الأعلام: 93.

(3) كتب ذلك في النسخة التي كان يمتلكها المترجم من كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

(4) الفتاوى الكاملية: 1.

وورد اسمه في كتاب الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية[1] هكذا «الشيخ محمد كامل بن مصطفى» وأثبته علامتنا بخطه في صدر كتابه المخطوط المسمى «مجموعة العبد الذليل على ربع التنزيل» بهذا الترتيب «محمد بن مصطفى بن محمود»[2]. ويستنتج مما ذكر أن لمترجمنا اسماً ثنائياً مركباً «محمد كامل» وهو الاسم الذي عرف به واشتهر عند كثير من الكتّاب والباحثين، وقد يستغنى في بعض البحوث والإشارات عن الصفة «كامل» فيسمى محمداً كما وقع في تعريف العلامة أحمد بن الخوجة[3] وفيما كتبه المترجم بجوار ما كتبه الحاج علي كوتري في وقفه للفتاوى الانقروية[4]، وفي التعريف الذي كتبه في الصفحة الأولى من حاشيته من «مجموعة العبد الذليل على ربع التنزيل»، وكما جاء أيضاً في كتابه المفقود «فتح الودود في حلّ نظم المقصود»[5]، وربما استغنى عن الاسم الأصلي، وذكرت الصفة فينعت بالشيخ «كامل» على ما هو متداول على الألسنة، وما يلحظ في بعض كتابات الأستاذ علي مصطفى المصراتي وغيره[6].

والذي يستفاد مما قدمنا به أن اسم والده كان موضع اتفاق بين جميع الدارسين الذين أجمعوا على أنه «مصطفى» وهو ما جاء في آثار المترجم له، وما جاء في إشارة الحشائشي وغيره[7].

ولئن لم تذكر لنا المصادر المذكورة معلومات دقيقة ومفصلة عن والده «مصطفى بن محمود» وعن طبيعة تكوينه العلمي والثقافي، وعن الوظائف التي

---

(1) نشر هذا الكتاب في أواخر القرن الماضي سنة (1313/ 1895).

(2) مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل مخطوط موجود لمكتبة الأوقاف تحت رقم 105 عام، الرقم الخاص 2، 288، وكتب ذلك الحاج علي باشا كوتري في النسخة التي أوقفها على المترجم من كتاب فتاوى انقروي والموجودة في المكتبة المذكورة تحت الرقم العام 785، الرقم خاص 1/ 254.

(3) راجع المجموع، والنسخة التي امتلكها المترجم من عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

(4) فتاوى أنقروي مكتبة الأوقاف عام 785 خاص 1/ 254.

(5) راجع ملحق هذا الكتاب.

(6) راجع لمحات أدبية عن ليبيا، وأعلام من طرابلس، وصحافة ليبيا في نصف قرن.

(7) رحلة الحشائشي إلى ليبيا: 67.

كان يشغلها، فإننا استنتجنا من بعض القيود المتفرقة أنه كان على حظّ من العلم والمعرفة والوعي؛ وعلى صلات طيبة مع بعض العلماء والوجهاء في بلاده وفي خارجها[1]، وأنه ينتمي إلى أسرة عريقة معروفة في طرابلس الغرب الأمر الذي كان له مردوده على الوالد والولد كما سيتضح.

وقد وقفنا بعد ذلك التحقيق في اسمه المنضبط بتلك القيودات وهو محمد كامل بن مصطفى بن محمود، على إضافة جيدة موثقة كتبها الشيخ الفقيه محمد المهدي بن سودة في الإجازة التي أجاز بها المترجم له حيث نعته بـ «االفقيه العالم اللبيب اللطيف الخير الدين السيد محمد ابن الشيخ مصطفى بن محمود بن يوسف بن سليمان»[2] ولا شك في أنها معلومة مفيدة ومتفردة. فيتأكد نعته وتحليته بمحمد كامل بن مصطفى بن محمود بن يوسف بن سليمان.

ولادته ونشأته:

ذكر الأستاذ خير الدين الزركلي في كتابه الموسوعي القيم «الأعلام» أن محمد كامل بن مصطفى بن محمود الحنفي مفتي طرابلس الغرب ولد عام (1245هـ/ نحو 1830م)[3].

والحق أن هذا التاريخ التقديري القريب من الحقيقة والذي أورده الزركلي، ومن قبله مجلة الزيتونة ومعجم المطبوعات العربية لا يمكن إثباته ولا التعويل عليه، خصوصاً وقد ترك لنا مترجمنا نفسه معالم دالة من التوثيق تدلنا على ما يخالفه، وترشدنا إلى التاريخ الحقيقي الدقيق لمولده.

فقد ذكر في مقدمة كتابه (الفتاوى الكاملية) أن والده أرسله سنة ألف

---

(1) راجع المجموع أو الكناش الذي كتبه المترجم، وبعض إجازاته العلمية التي أجيز بها وبخاصة من الشيخ ابن سودة.
(2) راجع إجازة الفقيه عن المهدي بن سودة ـ شعبة الوثائق والمخطوطات مركز دراسة جهاد الليبيين، طرابلس الغرب.
(3) الإعلام جـ 7: 234.

ومائتين وثلاث وستين إلى الجامع الأزهر، وهو حينئذٍ ابن تسع عشرة سنة[1]، وبأدنى نظر مقارن بين السنة التي نزح فيها والسنين التي بلغها خلالها، يتبين أن تاريخ ميلاده لم يكن حاصلاً في ذلك التاريخ الذي نصت عليه المراجع المذكورة، بل تمّ في السنة المستنتجة من أقوال المترجم وعلى ذلك نقرر باطمئنان أن استهلال الشيخ محمد كامل واستقباله للحياة، قد قبل ذلك التاريخ الذي ذكره الأستاذ الزركلي ـ رحمه الله ـ بمدة سنة تقريباً أي في عام (1244/ 1828) وهو التاريخ الذي قرره الأستاذ علي المصراتي[2] والشيخ الطاهر الزاوي[3].

وقد ولد ـ باتفاق المراجع ـ في مسقط رأسه منطقة الزاوية الغربية التي تقع على بعد ثلاثة وأربعين كيلو متراً غرب مدينة طرابلس الغرب، لأسرة شهيرة في ربوعها هي أسرة «ابن محمود» التي تدل القرائن على مكانتها العلمية ومنزلتها الاجتماعية في ذلك المجتمع، كما تدل على تعظيمها للعلم، وتوفيرها للدين[4] الباعث الذي حفزها إلى صيانة مترجمنا محمد كامل في كنف الدين والأخلاق، ورعايته بموجبات التقوى والعرفان.

ومن تاريخ ميلاده الذي قررناه، يظهر أنه ولد في أواخر العهد القره مالي، وبالتحديد في أخريات عهد يوسف باشا القرمانلي الذي تولّى الحكم في طرابلس الغرب عام (1211/ 1796) وتنازل عنه في عام (1248/ 1832)[5].

وقد عانت ليبيا (أو أيالة طرابلس الغرب) كما كانت تسمى في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أي في أخريات العهد القره مالي مظاهر مختلفة

---

(1) الفتاوى الكاملية: 2.
(2) أعلام من طرابلس: 214.
(3) أعلام من ليبيا: 325.
(4) راجع المجموع والفتاوى الكاملية.
(5) ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911: 313، الحوليات الليبية: 467 تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور: 99. حكاية مدينة: 145. في تاريخ العرب الحديث: 102.

من الضعف والانهيار السياسي والتصدع الاقتصادي بعد مرحلة ازدهار، كانت تلوح في مراحل منها هزات وانتكاسات[1]. ونحن حينما نستقرئ العوامل التي أفضت بهذه الأيالة إلى هذه الحالة الواهنة نجدها متمثلة ومتجسّدة في العديد من الأسباب المهلكة التي عملت مباشرة على انهيار صرح الدولة القره مانللية التي شهد المترجم خواتيمها، منها ما يرد إلى الجانب السياسي سواء إلى الصراع الذي كان ناشباً ومحتدماً بين أفراد هذه الأسرة في سبيل السلطة والحكم، أو إلى العلائق الدولية، والقوى العالمية في ذلك الأبان التي كانت تنظر إلى موقع ليبيا على أنه موقع استراتيجي مهم، فكان الفرقاء المتنازعون على صراع دائم ليتخذ كل منهم هذا الموقع منطقة من مناطق نفوذه، ومنها ما يردّ إلى الأسباب الداخلية والوضع الاجتماعي والاقتصادي؛ فقد ظهرت خلال هذا العهد النعرات القبلية، وثارت العديد من الزعامات المحلية إما رغبة في الاستقلال عن هذه الدولة القره مانللية التي دبّ فيها الفساد؛ وإما لأجل الثورة على ما لحقها من الضرائب الباهضة، والجبايات التي لم تكن ـ نتيجة للانهيار الاقتصادي ـ لتقف عند حدّ حتى وإن كانت الظروف الطبيعية غير مساعفة للمواطنين بالوفاء بذلك، وقد نشبت خلال هذا العهد أيضاً الحرب الأهلية المشهورة سنة (1248/ 1250)[2] وكلها عوامل أكيدة قربت هذا العهد من خاتمته المتوقعة وذلك سنة (1251/ 1835) ليحل محلة عهد آخر هو المنعوت في تاريخ ليبيا المعاصر بالعهد العثماني الثاني[3].

شهد مترجمنا الشيخ محمد كامل هذا الانتقال التاريخي من عهد يوسف باشا وعهد ابنه علي باشا القرماللي إلى العهد العثماني الثاني الذي كان أول ولاته مصطفى نجيب باشا سنة (1251/ 1835)[4].

---

(1) المراجع المذكورة.

(2) المراجع المذكورة.

(3) في تاريخ العرب الحديث: 113، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911: 356 الحوليات الليبية: 629.

(4) المراجع المذكورة.

لقد عاش في العهد القره مانلي طفولته المتأخرة أي سبع سنوات تقريباً، وواكب من العهد العثماني الثاني اثنتي عشرة سنة قبل نزوحه إلى مصر.

وبصورة إجمالية فإننا نسلم بأن بلاد المترجم طرابلس الغرب قد مرت في تلك الفترة بظروف سياسية واقتصادية حرجة، وبخاصة الحياة الثقافية والعلمية التي أصيبت بشيء غير قليل من الهزال والوهن، وقد استمرت هذه الظروف البائسة الشديدة إلى أواخر القرن الماضي.

وقد كانت تلك المرحلة التاريخية بما اشتملت عليه من جمود وإفلاس وضعف، ومن اضطرابات وحروب أهلية، وندرة العلماء وجمود الحياة العلمية في هذا البلد من البواعث الأكيدة والرئيسة التي حملت أسرة الشيخ محمد كامل بن مصطفى على إيفاده ـ بفضل ما تيسّر لها من منظور فكري وسعة اقتصادية ـ إلى مصر المستقرة بالتطور الذي شهدته في ظلّ محمد علي باشا، فأرسل للاغتراف من منهل جامعها المعمور الأزهر الشريف.

ومن الحق أن نقول إنه لم تصلنا معلومات دقيقة ومفصلة عن نشأته الأولى وعن مرحلة تحصيله العلمي، ولذلك فحسبنا أن نتصوره كما نتصور تحصيل أبناء جيله، فنزعم أنه اختلف في أوائل حياته مثلهم على الكتاب في بلدته الزاوية حيث اشتغل بحفظ القرآن العظيم، وعنى بتجديده وترتيله حتى حفظه وأتقنه[1] ثم أخذ مبادئ القراءة والكتابة وأوليات العلم على بعض العارفين. في تلك البلدة، وقد رجع الأستاذ فوزي البشتي أن يكون قد أخذ مبادئ العلوم في الزاوية التي أسّسها الشيخ ابن شعيب أو زاوية الأبشات لقربها من قبيلة أولاد زميرلو التي ينسب إليها ابن مصطفى، واستند في ذلك على أن تأسيس هذه الزاوية كان في سنة (1233) أي أنه سابق لتاريخ ميلاد المترجم من جهة، وللقرب من مكان إقامته من جهة أُخرى[2] وهو ترجيح وجيه، ويترتب على ذلك أخذه العلم عن

(1) الفتاوى الكاملية: 2.
(2) مجلة الفصول الأربعة العدد 44 ـ 1990.

شيوخ هذه الزاوية، وأخال أن أشياخاً من أسرته «بني محمود» كانوا من بين أولئك الشيوخ، فقد كان والده معدوداً ـ كما مرّ ـ من جملة شيوخ العلم، وجاء في مجموعة أوكناشه أن الشيخ عبد القادر بن محمود من أسرته كان في جملة شيوخه[1] وظل على هذا التحصيل إلى أن بلغ السادسة عشر عاماً من عمره؛ فرحل إلى مدينة طرابلس ليتصل بمن كان فيها من الشيوخ والعلماء، وليستقى من نمير الحلقات العلمية ما يستوعبه عقله الغضّ، وما يمكن أن تحيط به ملكاته فكان كما وصفه الأستاذ علي المصراتي في غشيانه تلك المجالس «ينطلق من فنن إلى فنن، من مدرسة أحمد باشا إلى مدرسة عثمان باشا، وجامع الناقة، وجامع المغاربة، ومكث بين المدارس والمساجد ثلاثة أعوام يلتقط الشوارد، ويشارك في تفهم المسائل»[2].

وبذلك الانطلاق عبَّ وارتوى بمقدار من شيوخه الذين عبّر عنهم بـ «علماء الوطن»[3] والذين لم يحدثنا عنهم بشيء.

ولما رأى أهله ـ وهم من أهل العلم ـ فحائل النجابة والذكاء تلوح بوضوح على فرع شجرتهم المورقة، تذاكر جده وعمه ووالده في مستقبله العلمي، وفي سبل إعداده وتخريجه ليكون له شأن بين أنداده وأترابه في المستقبل، والغالب أن يكون قد حملهم على هذا التفكير العملي أيضاً تزكيات شيوخه من علماء الوطن، وإقرارهم بنبوغه وتفوقه، والشهادة له بأنه إذا أرسل إلى مصر للتلقي سوف يكون من أوعية العلم المنتفعة النافعة، كما حملهم على ذلك ما كانوا يشاهدونه من الأحوال السياسية غير المستقرّة في البلاد، فقالوا في مجلس من المجالس التي عقدوها في شأنه ـ كما أخبر في كتاب الفتاوى ـ «إن وطن طرابلس الغرب لم يبق به عالم ماهر في المذهب الحنفي ينشره ويعلمه

(1) المجموع: ورقة: 10.
(2) أعلام من طرابلس: 215.
(3) الفتاوى الكاملية: 2.

الناس»[1] وقد اجتمعت رغائبهم على وجوب رعايته ليكون ذلك العالم الماهر في المذهب الحنفي الذي كان ـ كما هو معلوم ـ المذهب الرسمي للدولة العثمانية أنئيذ، والتي كانت ولاية طرابلس الغرب إحدى ولاياتها.

وقد انفضّ الاجتماع ـ كما أخبر المترجم ـ بعد أن اتفقت الكلمة على إيفاد هذا الفتى ابن التاسعة عشر وإرساله إلى أرض الكنانة ليلتحق بالأزهر سنة (1263/ 1846) كما تقدم، وأياديهم مرفوعة إلى السماء بالرجاء، تسأل الله حسن توفيقه وحفظه وهدايته والنفع به، ولعلها صادفت بصدقها ساعة استجابة فتم لهم وله ما أرادوا.

وقبل البدء في ذكر حياته في الأزهـر ومصـر أحب أن ألفت النظر ـ باستطراد أرجو ألا يطول ـ إلى ما لفتني من توكيد أسرته في ذلك الاجتماع على ضرورة أن يتبحر ابنها «محمد كامل» هذا الاسم الثنائي المركب النادر الاستعمال في أسماء أهل البلد طرابلس الغرب، يومئذٍ ـ في فقه الإمام أبي حنيفة في ولاية يسود فيها ـ كما هو معروف ـ المذهبان المالكي والإباضي، بحجة أنه «لم يبق عالم ماهر في المذهب الحنفي»[2].

لقد أثار هاذان الأمران في نفسي تساؤلاً مهماً، دلني فيما بعد على حقيقة موضوعية جديرة بالتسجيل، وأودّ ألا أغفلها كما أغفلها الذين ترجموا لهذا الرائد المصلح من قبل.

لقد حملني هاذان الأمران على البحث عن أصل هذه الأسرة؛ فراجعت أحد أصدقائي الشيخ يوسف شقليلة ـ رحمه الله تعالى ـ من العارفين بالزاوية الغربية وقبائلها فدلني على أن أسرة الشيخ هي من أولاد زميرلو بالزاوية وهي قبيلة معروفة بهذا الاسم إلى اليوم، ثم بحثت فوجدت أن الكاتب الإيطالي هنريكو دي أغسطيني قد أشار إليها بأنها «من قولو غلية الوسط، أو أولاد الأعور»[3].

(1) الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية: 2.

(2) الفتاوي الكاملية: 2.

(3) سكان ليبيا: 382.

ومعنى ذلك أن أسرة ابن محمود التي ينتمي إليها المترجم من الأسر الطارئة على البلاد في تاريخ لم نتحقق من تحديده إلى الآن، وأن أصلها على الراجح يرجع إلى الجنس التركي أو الكورغلي، ولعل هذا الانتماء يحمل لنا تفسيراً لتلك الإشكالية البادية في تسميته الثنائية المركبة المألوفة ـ دون شك ـ عند أهل هذا الجنس المسلم، في اختيار أهله ليكون فقيهاً حنيفاً؛ وهو المذهب الفقهي الذي يتمذهب به الأتراك.

كما يرشدنا اهتمامهم بإيفاده إلى مصر، وتحملهم لنفقات سفره وإقامته خلال سنوات طوال إلى مستوى أسرته الاقتصادي، وأنهم ربما كانوا ـ وهم على هذا المستوى ـ من موظفي الدولة الكبار، أو التجار والفلاحين المشهورين[1].

إن هذه المعلومات الصغيرة، والإضاءات السريعة، وإدراك الصّلة بين اسم علامتنا ومذهبه وقبيلته، ووضع أسرته الاقتصادي والثقافي يميط اللثام عن حقائق مهمّة في هذا البحث.

لنعد الآن إلى عام (1263/ 1846) أي إلى سنة نزوحه وارتحاله إلى مصر، والتحاقه بالأزهر فقد غادر في ذلك العام الفتى ابن التاسعة عشرة من عمره طرابلس الغرب ليحلّ بالقاهرة مراح النيل الفياض الجميل، ومحط الأزهر قبلة الدارسين وأهل العلم، دخل مصر ـ ولكنه لم يحدثنا عن رحلته والطريق الذي سلكه إليها ـ وحلَّ بها ومعه حقائبه فيها الزاد والبلغة، وملء أذنيه توجيهات جده ووالده وعمه في وجوب الإفادة من إقامته، وبين جوانحه آمال واسعة، وشوق أكيد للتعرف على آثار ماضي هذه البلاد في تاريخها القديم، وفضول للإلمام بمظاهر التحديث والتجديد وواقعها المعيش الذي شهدته مصر منذ الحملة

---

(1) أكد المجموع الذي كتبه المترجم بقلمه هذا الافتراض الذي ذهبنا إليه؛ فإلى جانب الوظائف الرسمية التي تقلدها عدد من أفراد هذه الأسرة في الحكومة العثمانية؛ فقد اشتغلوا بالزراعة في الزاوية، كما كان لهم نشاط تجاري واستثماري في مدينة طرابلس العاصمة.

الفرنسية التي اكتسحتها عام (1213/ 1798) إلى عهد أسرة محمد علي باشا في ذلك الزمن الذي تميّز هو الآخر بالتطوير[1]، وله إلى ذلك كله ولع شديد بالاطلاع على الحياة العلمية والثقافية النامية، وتعلق برؤية أعلام الجامع الأزهر وشيوخيه الذين سمع عنهم كثيراً، وودّ الأخذ عنهم، وتمنى ـ وهو طالب علم من طرابلس الغرب ـ ربط الوشائج بمعارفهم وإجازاتهم.

وأغلب الظن أن مترجمنا وقد مضى إلى مصر في تلك السنّ المبكرة كان محاطاً بعناية بعض أقاربه أو بمن يثق بهم والده من الشيوخ أو المجاورين في الأزهر، لذلك فقد تسنى له أن يحصل بفضل هذا التوجيه والإشراف، وبفضل الهمّة الذاتية الطماحة على كثير من رغائبه في ذلك الوسط الزماني والمكاني، وأن يحقّق عديداً من أمنياته ومطالبه، ومن روافد ثقافته وعلمه.

لقد أنفق في هاتيك الديار المصرية سبع سنوات موصولة، اتصل فيها بأشكال الحياة المتغيرة المتطورة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والفكر، وتأثر إلى حدّ بعيد بالحياة العقلية المتمثلة في المجالس العلمية، وظهور المطابع والصحافة ونشر الكتب، وحركة البعثات العلمية والمترجمة، وفي بواكير الصلات الفكرية بين التراث العربي والتراث الغربي في العصر الحديث[2].

في ظلال ذلك الزمن المتحرك، والموزع على لوحة أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر وأوائل النصف الثاني منه كان حاكم مصر هو محمد علي باشا صاحب الطموحات الواسعة، والذي اتجه إلى العمل لاستقلال مصر عن الدولة العثمانية في محاولة للرقي بهذه البلاد اقتصادياً وعسكرياً وثقافياً، ثم وليه من جاء بعده من ذويه، وقد أدرك منهم مترجمنا ابنه إبراهيم باشا الذي لم يدم حكمه فيها أكثر من سنة واحدة وهي الواقعة بين

---

(1) راجع في ذلك: تاريخ الأقطار العربية الحديثة 43، 57. في تاريخ العرب الحديث: 149، الشرق الأوسط في التاريخ الحديث: 82 أعيان القرن الثالث عشر: 115.
(2) في الأدب الحديث: 15، الفنون الأدبية وأعلامها: 35 مدرسة الإحياء والتراث.

سنتي 1264 ـ 1265[1] ثم عهد حكم الخديوي عباس باشا الأول الذي تولاها بعد وفاة عمه المذكور إبراهيم باشا، وقد واكب الشيخ محمد كامل جميع أيام ملكة تقريباً، وشهد طائفة من إصلاحاته المدنية الممثلة في إنشاء المدارس الحربية في العباسية، ومده الأسلاك البرقية، وشروعه في إنشاء الخط الحديدي الرابط بين القاهرة والاسكندرية، وتأسيس بعض المنشآت العمرانية والمساجد كبنائه مسجد السيدة زينب وغير ذلك من المستحدثات[2] وقد وصف الخديوي عباس بأنه كان «حازماً مقداماً راغباً في تعزيز شأن البلاد»[3].

وظاهر أن مصر أفادت من أعمال هؤلاء الحاكمين الطامحين، وتطورت بمشروعاتهم وتوسعاتهم، ولكنها خسرت فيما بعد ـ بفعل هذه الطفرة ـ من دخول الرأسمال الأجنبي وطغيانه، الذي طوّقها وأسلمها إلى صدمة الاحتلال الإنجليزي.

أما في المحيط العلمي الذي عايشه خلال تلك المدة فقد عاين عن قرب اتجاهين بارزين في التعليم والتدريس، اتجاه المحافظين الذين ألفوا ما انتهى إليهم من المناهج التقليدية الموروثة، ومن التآليف والكتب المعتمدة في الأزهر منذ عصور قديمة، وتيار أو اتجاه آخر يعمد إلى التطوير والتجديد، وإلى دعم الدراسة بالأزهر بكتب ومناهج أخرى؛ وقد بدا هذا التيار فيما نادى به الشيخ حسن العطار أولاً[4]، ثم جاء من بعده الشيخ محمد عبده وجعله من أولى مهماته الإصلاحية[5].

لقد أتيح لعلامتنا في هذه الفترة بالذات أن يكوِّن بعض اتجاهاته الأساسية في العلم والإصلاح، وأن يبني تصوراته المعتدلة في السياسة والحياة العامة،

(1) أعيان القرن الثالث عشر: 120.
(2) أعيان القرن الثالث عشر: 122.
(3) م.ن. 122.
(4) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث: 27.
(5) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث: 143، زعماء الإصلاح في العصر الحديث: 280، ثلاثة من أعلام الحرية: 153.

وفي تقديري أنه تفاعل إلى حدّ كبير مع ذلك المحيط الهادر المتحول؛ فاتصل بشخصيات علمية وإصلاحية في الأزهر من أمثال الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوي، والشيخ حسن العدوي والشيخ محمد الأشموني، والشيخ محمد عليش والشيخ محمد عليش والشيخ محمد ابن سوده الفاسي وغيرهم[1].

وأطلع ـ وهو الطلعة ـ على ما كانت تقذف به المطابع في مصر من كتب ومؤلفات قديمة وحديثة مترجمة وغير مترجمة، ومن دوريات وصحف بدأت آنئذٍ في الظهور، وتابع ـ على المستوى السياسي ـ ما كان يجول في المحافل الاستعماية من كيد للدولة العثمانية والجامعة الإسلامية ولم نعلم من حياته الخاصة في هذا الطور القاهري الأزهري إلا أخباراً قليلة محدودة، تتّسق مع غرض سفره وارتحاله إلى مصر، منها اشتغاله بالتحصيل والدرس، والعكوف المستمر على الكتب والبحث، وقد أخبرنا بذلك مفصلاً في كتابه الفتاوى الكاملية، وذكر الكتب التي قرأها في حلقات شيوخه، والطريف فيها أنها لم تقتصر على كتب مذهب الإمام أبي حنفية، وإنها شملت أيضاً كتب المالكية التي ربما بدأ بها في الدرس، قال ـ رحمه الله مصوراً ما استفاده من الأزهر ـ «فلما وصلت الجامع الأزهر، والمسجد الأنوار ـ لا زال إن شاء الله تعالى بأنوار العلوم معموراً ـ اشتغلت بتحصيل العلوم المتنوعة، ومنها مذهب سيدنا مالك ـ رحمه الله تعالى ـ فقرأت فيه شرح أقرب المسالك لمؤلفه سيدي أحمد الدردير بحواشي الشيخ الصاوي، وشرح الأستاذ المذكور على مختصر الشيخ خليل بحواشي الشيخ الدسوقي مع مراجعة الخرشي، ومجموع الشيخ الأمير، ثم أخذت في قراءة المذهب الحنفي فقرأت شرح العيني على الكنز بعد قراءة مراقي الفلاح وحواشيه لسيدي أحمد الطحطاوي، وتحفة الملوك والسلاطين، ثم قرأت شرح الدر المختار على متن تنوير الأبصار بحواشي الشيخ الطحطاوي المذكور»[2].

---

(1) راجع ما كتبه المترجم في المجموع: ورقة 58 وما بعدها.
(2) الفتاوى الكاملية: 2.

كذلك أخبرنا في المجموع بشيء من نشاطه العلمي الذي كان يزاوله خارج الحلق العلمية، وهو نشاط غير مقصور على الدرس والمراجعة والقراءة الموصولة فحسب، بل تجاوز ذلك إلى اكتساب مهارات لغوية وعلمية أخرى فيما كان يحاوله من نظم بعض القصائد والأشعار التي سوف نعرض بعضها فيما بعد، وفي نظم بعض الحقائق العلمية، وجملة من مسائل بعض العلوم والفنون، يروض بذلك فن القول، ويسهل على نفسه استيعاب تلك الحقائق والمسائل ضرورة أن النظم أعلق بالذهب من النثر؛ فمن نظمه في ذلك نظمه للمقولات، قال «نظمتها حال حضوري بالجامع الأزهر»[1] ونظمه ضابطاً لما يسقط بالموت[2] وللفرق بين الفقير والمسكين[3] وضابطاً لما ذكره العلائي في الدر المختار من عدم سماع الدعوى بعد خمسة عشر عاماً إلا ما استثنى[4] وما قاله ضابطاً لشروط صحة الدعوى الثمانية[5] وما قاله ضابطاً لموانع ترجيع الهبة السبعة[6] ولضبط معاني لفظ الربّ[7] كذلك ضبط في سبعة أبيات الأقسام السبعة للفعل وأمثلتها[8] كما جمع معاني من حسبما ذكرت في مغني اللبيب في بيتين[9] ولغات رب الّثمانية عشر[10] وغير ذلك من المسائل العلمية المختلفة في بعض الفنون التي كان يدرسها في الأزهر على أيدي أشياخه المبزرين؛ وما من شك في أن هذه المثابرة التي عرف بها دارساً ومحصلاً في الأزهر كانت من أظهر الأسباب في تفوقه ونبوغه بين أقرانه، ومن البواعث

(1) المجموع: ورقة 13، ب.
(2) م. ن: ورقة 13، ب.
(3) م. ن: ورقة 13، أ.
(4) م. ن: ورقة 13، أ
(5) م. ن: ورقة 14، أ.
(6) م. ن: ورقة 14، أ.
(7) م. ن: ورقة 14، أ.
(8) م. ن: ورقة 14، أ.
(9) المجموع ورقة 24، ب.
(10) المجموع ورقة 24، ب.

التي حملت كبار شيوخ الأزهر على الإقرار بعلمه وحفظه فيما أجازوه به من إجازات.

ويظهر أنه كان حريصاً على المذكورة والبحث في حلقات العلم بالأزهر وفي خارجها، وفي أوقات الدراسة وأحياناً في أوقات الفراغ والراحة على نحو ما نجده في قصته أو خبره مع ذلك القسيس من النصارى الذي التقى به في الوقت المجعول للنزهة والتريض؛ فقد ذكر في فتاويه «سئلت وأنا بمصر مشتغلاً بالتحصيل والسائل قسيس من النصارى اجتمعت به في بعض البساتين التي نخرج إليها للتسلي والتفرج وقت التعطيل عن وجوب تعميم البدن بالغسل من خروج المني مع أنه دون البول والغائط في الاستقذار، ما الحكمة فيه عندكم، وهلا اكتفيتم بغسل خصوص الذكر؛ فأجبته إذ ذاك بجواب ألهمته وهو أن ذلك ليس لاستقذار المني، بل لحصول اللذة وسريانها في عموم البدن، فلم تختص اللذة بخصوص الذكر، ثم بعد حين عثرت على هذا السؤال في اليواقيت للشعراني»[1].

فهذه حادثة من الحوادث التي تدلنا على ما كان يشغل به المترجم أوقاته من مباحثة ومفاتشة ومراجعة مدة إقامته في مصر، وقد كان هذا المظهر من العكوف العلمي، ومن أخذ الكتاب بقوة نتاج همّته وعزيمته، ومراعاة بارة لشعور والده الذي كان يحرص ـ مع آله وذويه ـ على تفوقه ونجاحه، وعلى متابعة أخباره، ومن الطريف الذي نسري به على القارئ ونؤكد به ما ذكرناه ما أورده الأستاذ على المصراتي متعلقاً بحرص هذا الوالد الشيخ المصطفى بن محمود، ومتابعته لسلوك ولده ودراسته في مصر، وطريقته التي كان يلتزمها معه في الثواب والعقاب قال «ومن طرائف، ما يذكر أن كامل طلب من والده طاقية طرابلسية، زهيدة الثمن إنها شيء هين، ولكن الوالد في طرابلس يرسل إلى الشيخ الذي كان يدرّس عليه كامل يسأله هل ولدي كامل مجتهد ومثابر في

---

(1) الفتاوى الكاملية: 277.

دروسه؟ فكان الجواب شهادة طيبة، ثم أرسل الوالد طاقية طرابلسية فاخرة»[1].

ومهما يكن من شيء فقد أجمعت الأخبار على انتفاعه الكبير من مكثه في مصر، والتحاقه بالأزهر[2] واتصاله بالجلّة من شيوخه الكبار الذين سنعرض لذكرهم وثنائهم عليه، ويكفي أن نقول في هذا المقام أن الزاد الذي عاد به من تلك الموارد كان من أبرز عوامل تأثيره وإصلاحه وشهرته.

ومن أخباره الخاصة ـ في تلك الفترة بل في خواتيمها ـ ما أخبرني به الأستاذ عبد الحفيظ بن ضو وله ماتة بالمترجم ـ أنه استكمل نصف دينه بالزواج من زوجه المصرية المحافظة السيدة نفيسة القريتلي من أسرة القريتلي المشهورة بمصر؛ فغذت شريكة حياته ورفيقة كفاحه، وعوناً له على ما استقبله في حياته وفي رحلة عمره، التي حفلت بعدئذٍ بالجهاد والإصلاح.

شيوخه

ينقسم زمن تحصيل الشيخ محمد كامل بن مصطفى ـ كما تبين ـ إلى مرحلتين واضحتين، مرحلة تعلّمه في بلاده طرابلس الغرب، وهي المرحلة التي سبقت ذهابه إلى مصر، والتي دامت إلى حين بلوغه التاسعة عشرة من عمره (1244/ 1263)[3].

ثم مرحلة دراسته الأزهرية القاهرية المنظمة التي أعقبت الأولى، وجلس فيها في حلقات شيوخه الأزهريين طوال سبع سنوات من سنة 1263هـ إلى سنة 1270هـ.

وفي الحق فإن مترجمنا أغفل ذكر شيوخه الذين تلقى عنهم العلم في المرحلة الأولى إغفالاً يكاد يكون كاملاً، كما أغفل الإشارة إلى مبالغ معارفهم

(1) أعلام من طرابلس ـ 218.
(2) علي الفقيه حسن «أعيان ليبيا الأستاذ محمد كامل بن مصطفى» مجلة ليبيا المصورة العدد 4 ـ السنة 3 ـ 1938.
(3) راجع الفتاوى الكاملية: 2.

وتكوينهم العلمي، وإلى ثبت الكتب والفنون التي تعلمها منهم قبل أن ينزح عن وطنه إلى مصر، ولعله قيد ذلك أو شيئاً منه في برنامج، ولكنه لم يصل إلينا، ولو وصلنا لأمكننا أن نكون صورة واضحة أو قريبة من الوضوح عن أسمائهم ومعارفهم وما أجازوه به، بل كان بمقدرونا أن نكوِّن ـ من خلال هذا البرنامج ـ فكرة موضوعية عن فترة دقيقة من تاريخ ليبيا يعمّها الظلام واللبس والغموض وخصوصاً من الناحية الفكرية والأدبية.

والذين عرضوا لترجمة الشيخ محمد كامل من قبل لم يذكروا لنا أشياخه الذين أسهموا في تأهيله، ولم يوردوا معلومات تزيل الأضلام عن هذا الجانب؛ فكان من اللازم على هذا البحث أن يجتهد بقدر المستطاع لأن يكشف عن بعض هذا المجهول، وأن يمحو رقعة من السواد والتطليس متعلقة بشيوخ المترجم في ليبيا وفي خارجها ممن أسهموا بقسط وافر في تكوينه الثقافي، وإعداده الإصلاحي.

والذي أذهب إليه أنه كان قد درس في المرحلة الأولى ـ أعني مرحلة تعلّمه في طرابلس ـ على أيدي من درس عليهم أنداده ومعاصروه من طلبة العلم عهدئذٍ من أمثال الشيخ محمد علي أبن موسى المتوفى سنة (1303/ 1885) والذي دلتنا المراجع على أنه درس وقرأ على والده الشيخ علي بن موسى «وتفقه على الشيخ محمد الريفي المغربي»[1] والشيخ محمد محمد قاجة المتوفى عام (1283/ 1866) الذي أخد العلم ـ هو الآخر ـ عن والده الشيخ محمد قاجة «ونفقه على الشيخ أحمد بن محمد النعاس»[2].

ومعنى ذلك أن مترجمنا قد يكون بحسب ذلك الاستنتاج معدوداً من جملة الطلاب والدارسين الذين انتفعوا ـ في تلك المرحلة الطرابلسية ـ من علوم الشيخ علي بن موسى، والشيخ محمد الريفي المغربي، ومن الشيخ محمد قاسم

(1) دليل المؤلفين العرب الليبيين: 402.
(2) م.ن: 404.

قاجة والشيخ أحمد محمد النعاس. وربما استفاد أيضاً من شيوخ آخرين في مسقط رأسه الزاوية الغربية، التي حفظ فيها ـ كما أخبرنا في مقدمة فتاويه ـ القرآن الكريم[1] وشدا فيها شيئاً من أوليات العلوم والفنون، أو في طرابلس التي حلّ بها بعد ذلك التحصيل من شيوخ جوامعها وزواياها الذين لم تصلنا أسماؤهم وجهودهم في تكوينه وتأهيله خلال هذا الطور.

ويذهب الأستاذ الجليل على الفقيه حسن إلى أن الشيخ محمد كامل ابن مصطفى، ربما أخذ بعض معارفة في مدينة طرابلس عن شيخ فقيه عالم مشهور في خلال الفترة، وهو المفتي الشيخ أحمد شكري الجزائري ـ رحمه الله.

وقد أشار في المجموع إلى الشيخ عبد القادر بن المصطفى[2] وأرّخ بطلب من ابنه محمد عبد القادر وفاته، ونعته بأنه من شيوخه، قال «هذا تاريخ وفاة شيخنا الشيخ عبد القادر بن المصطفى ـ رحمه الله تعالى ـ أنشأته في مصر عن طلب من ابنه محمد»[3].

ثم ساق أبيات التاريخ الشعري الذي نظمه، والذي ألمح فيه إلى تاريخ وفاة الشيخ سنة (1269/ 1852) حيث قال:

لعبد القادر ابن المصطفى قد	غدا كل الأكابر في اصطلاء
ولكن خلف ابنا ذا ذكاء	به صيري غدا يعلو بكائي
أتى يبغي له تاريخ موت	فقلت الشيخ نزر الأزكياء

ولا يعنينا هنا تقويم هذا النظم بمقدا ما يعنينا إبراز مناسبته، وما يتصل بغرضنا فيه، وهو ذكر اسم شيخ من شيوخه المغمورين، والذي جلا هذا النظم اسمه وتاريخ وفاته في الزمن الذي كان يستكمل فيه المترجم تعلّمه في مصر.

(1) الفتاوى الكاملية: 2.
(2) المجموع: ورقة 10، أ.
(3) م. ن: ورقة 10، أ.

على أن الحسّ الثقافي، والمستوى الفكري الناضج الذي اتّسمت به نظرة أسرته، والذي تجلّى لنا مظهر من مظاهره في اجتماع جده وعمه ووالده بمناسبة التفكير في تعليمه، وفي ضرورة إرساله إلى مصر حيث الجامع الأزهر بقصد إعداده فقيهاً متمكناً ليسدّ الفراغ القائم في المذهب الحنفي، الذي كان آنذاك في حاجة إلى فقيه حاذق ماهر، يدلنا هو الآخر على رافد علمي مهم في تكوين مترجمنا الفكري، كما يحملنا على الاعتقاد بأنه أخذ جانباً من العلم والعرفان في تلك الأوقات عن بعض أفراد أسرته وقد وردت الإشارات في مجموعة أوكناشة بل في الإجازات العلمية التي أجيز بها من الشيوخ في المشرق والمغرب ما يشي بهذا، فقد نعت والده بالشيخ مصطفى[1] ولا يذكر هذا النعت ـ وبخاصة من العلامة محمد المهدي ابن سودة ـ إلا إذا تحقق من بلوغ المنعوت درجة من العلم تقتضي الإشارة إليه بهذا النعت.

بيد أن ما واجهنا من صعوبة في تلمّس أسماء شيوخه في طرابلس الغرب لا يواجهنا بالحدّة نفسها في المرحلة القاهرية التي انتظم خلالها في الحلق الأزهرية، واغترف فيها من نمير شيوخه الذين أشار إليهم أو إلى بعضهم في أماكن متفرقة من قيوداته.

فقد أخبرنا في تلك القيود المثبتة في كتابه الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية ـ وفي الكناش الذي سمّاه المجموع بإشارات لطيفة عابرة أحياناً، وفيها شيء من التفصيل في أحيان أخرى ـ إلى بعض أساتذته وشيوخه الذين انتفع بهم،ونهل من مواردهم، وتأهّل بتجاربهم، الملحظ الذي أوقفنا أمام صورة واضحة بينة، تتصل بالتكوين الفكري، والمستوى العقلي لأولئك الأساتيذ والشيوخ، وسوف تساعدنا على وضع بعض الفروض فيما استقاه من أخلاقهم وقدراتهم العلمية.

والذي يستخلص من تلك القيود أنه أخذ علومه مفهومه في المرحلة

---

(1) راجع نص الإجازة في شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز الجهاد بطرابلس.

الأزهرية القاهرية عن أبرز علماء ذلك الجامع العريق، وعن كبار المدرسين فيه، ومن أبرز أولئك الأعلام الذين اتصل بهم، وتقومت بتوجيهاتهم مداركه وشخصيته:

1 ـ الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوي[1] المولود سنة (1233/ 1818) والمتوفى سنة (1302/ 1885)

وهو من شيوخ الأزهر الكبار، وصف بأنه «عالم أديب ولد بطهطا في 26 من ذي الحجة من تلك السنة، وتعين كاتباً في محكمتها، ثم تعلم بالأزهر واحترف التعليم، وانتقل إلى تحرير جريدة الوقائع المصرية، إلى أن توفي بالقاهرة في رمضان 1302»[2].

وقد كان مترجمنا معجباً بهذا الشيخ أيما إعجاب، كما كان مكبراً لعلمه وأدبه، ومتعلقاً بطرائقه، وقد وصفه في المجموع عند الحديث عن مشائخه بأنه «أحبهم إليَّ، وأخصهم عندي»[3] كما وصفه بأنه «العالم المحقق، والفهامة المدقق، فريد عصره، وحيد دهره، المتطلع من كل الفنون، الشاعر الذي لا يضاهى ولا يدانى»[4] وكثيراً ما يشير إليه في كتابه الفتاوى بـ «شيخنا سيدي أحمد عبد الرحيم الطهطاوي»[5] كما أشار إليه في كتابه «فتح الودود» بـ «شيخنا العلامة وأستاذنا الفهامة أحمد بن عبد الرحيم الطهطاوي الشافعي»[6] بل وصفه في موضع آخر منه بأنه «من أكابر أهل العلم والعمل وقد أخرج كثيراً من ظلمات الجهل، ومواقع الزلل»[7].

---

(1) راجع ترجمته في: الأعلام: 1: 149.
(2) الأعلام: 1: 271.
(3) المجموع: ورقة 58، ب.
(4) المجموع: ورقة 58، ب.
(5) الفتاوى الكاملية:
(6) فتح الودود: 6.
(7) م.ن: 6.

ويكثر مترجمنا من الاحتجاج بأقوال شيخه هذا، ومن الثناء عليه، واللهج بفضله وأياديه، وقد مدحه بأبيات سوف نعرض لها فيما بعد كما نعرض إلى وفائه له بزيارته في الرحلة المصرية الحجازية التي نهض بها في حدود سنة (1295/ 1878) ومن مظاهر تعظيمه لهذا الشيخ ذي التأثير البعيد على شخصيته أنه أورد في مجموعه جملة من أشعار كما شرح أرجوزته في فن الصرف بشرح أسماه «فتح الودود في حلّ نظم المقصود».

2 ـ الشيخ محمد عليش:

ومن أظهر الشيوخ الذين اتصل بحلقاتهم ودروسهم في الأزهر، وتتلمذ عليهم الفقيه المالكي الشهير الشيخ محمد عليش المولود في سنة (1217/ 1802) والمتوفى سنة (1299/ 1882) وهو عالم ضليع من كبار فقهاء المالكية «اشتغل بطلب العلم في الأزهر حتى صار من كبار العلماء، وكان أحد مشائخ السادة المالكية بمصر، وقد أخذ عنه جلّ الأزهريين»[1]، وله تآليف كثيرة شهرة يأتي في مقدمتها كتابه الفتاوى المعروف باسمه «فتاوى عليش» وكان معروفاً بين أعلام عصره بأنه «فقيه، متكلم، نحوي، صرفي، بياني، فرضي، منطقي، أصله من طرابلس الغرب»[2].

وقد عدّه بعض الباحثين ـ على الرغم من تلك النعوت العلمية المشرفة ـ في زمرة العلماء الأزهريين المتحرجين، الذين قاوموا الإصلاح وناصبوا الشيخ محمد عبده العداء، بدعوى أن هذا الشيخ لوّح «بعكازه في وجه محمد عبده، ولعله همّ بضربه، لأنه سمعه يلقي على الطلاب دروساً لا تقرها عقليته المتحجرة»[3]!!! بل ذكر غيره أنه قاوم قبل الشيخ محمد عبده الشيخ محمد بن علي السنوسي ورمى إلى ضربه بالحربة بعد التصريح بتكفيره[4]!!!

---

(1) أعيان القرن الثالث عشر: 247.

(2) معجم المؤلفين ـ 11: 160، دليل المؤلفين العرب الليبيين: 331. الأعلام: 6: 19.

(3) ثلاثة من أعلام الحرية: 173.

(4) السنوسية: 34، زعماء الإصلاح: 288.

على أننا لا نأخذ ذلك الكلام مأخذ التسليم؛ فمترجمنا وهو أعرف الناس بشيخه عليش لا يقف منه هذا الموقف المتحامل، ولا ينقل لنا عن شخصيته مثل ذلك الانطباع القاسي، بل يفهم من كلامه عنه أنه أخذ بعض معارفه منه، واستفاد من علومه التي تخرج عليه فيها طبقات من الطلاب والعلماء، والتي يعد فيها ـ كما تواترت الروايات ـ حجة ومرجعاً. وآية إعجاب مترجمنا بعلوم شيخه محمد عليش، أنه كثيراً ما يستشهد بفتاويه ويعوِّل عليها ويورد آراءه وتحقيقاته واجتهاداته، ويستأنس بها، وقد وصفه في كتابه فتح الودود بـ «إمام عصره، وفريد دهره، شيخنا الشيخ محمد عليش المالكي»[1] كما وصفه في المجموع بقوله «شيخنا العلامة، وإمامنا المدقق الفهامة، مَنْ ملأ صيته الأقطار، واشتهر في المشارق والمغارب، وظهر اسمه ظهور الشمس في رابعة النهار، خاتمة المحققين، الولي الصالح ذي الكرامات الظاهرة، والأسرار الباهرة»[2].

ويكفي هذان الحكمان أو هاتان الشهادتان وحدهما في دحض دعاوى الجائرين عليه، وقد زار مترجمنا شيخه عليشاً في الرحلة المصرية الحجازية وذكر مقدار فرحه به وانبساطه معه انبساطاً زائداً على عادته حتى عجب لذلك الحاضرون[3]، وليس لمترجمنا مأخذ على شيخه عليش سوى رأيه الخاص في كتابه وتآليفه حيث وصفه بأنه «يطنب في سائر مؤلفاته»[4].

3 ـ الشيخ محمد الأشموني:

من أعلام المدرِّسين في الأزهر، وهو من نسل أبي مدين التلمساني، ذكر الأستاذ أحمد تيمور أنه «حضر إلى الأزهر فتلقى عن شيوخه القويسني

---

(1) فتح الودود في حل نظم المقصود: 3.
(2) المجموع: ورقة 58، ب.
(3) المجموع: ورقة 58، ب.
(4) فتح الودود في حل نظم المقصود: 3.

والبولاقي، والفضالي، والأمير، والباجوري والمرصفي وغيرهم، وكان أكثر حضوره على البولاقي والباجوري»[1]. قال «واشتهر بالذكاء وجودة التعليق، وإتقان التحصيل إلى أن تأهل للتدريس فدرس الكتب المتداولة بالأزهر صغيرة وكبيرة، وقرأ المطول وجمع الجوامع وكتب التفسير والحديث والعقائد وغيرها مرات بعذوبة منطق وحسن إلقاء»[2]وقد قرر الشيخ محمد كامل هذه النعوت العملية الفائقة التي عاينها في شيخه الأشموني، وانتفاعه بمعارفه في الأزهر، جاء في المجموع قوله «قرأت عليه مختصر السعد بحواشي الصبان، وكان محرراً محققاً، فصيح اللسان ما رأيت من يعادله في طلاقة لسانه، وحسن عبارته حالة إلقاء الدرس»[3] وقد أجاز الشيخ الأشموني ابن مصطفى بإجازة ذكر فيها أسانيده، ثم أجازه بإجازة أخرى مفضلة أرسلها إليه في بلاده طرابلس الغرب كما سيأتي ذكر ذلك.

4 ـ الشيخ حسن العدوي:

كذلك عَدَّ ـ رحمه الله ـ الشيخ حسن العدوي في عداد شيوخه بالأزهر، وكان الشيخ العدوي في ذلك من مشاهيرهم، وقد أشار إلى أستاذية هذا الشيخ في كتابه الفتاوى في مسألة أولاد النبي ﷺ هل كانوا ثمانية أو سبعة[4] فأجاب بأنهم كانوا سبعة ثلاثة منهم ذكور، وأربعة إناث، ثم ذكر بأن الذكور ماتوا صغاراً، وأما الإناث فتزوجن كلهن ومتن في حياته ﷺ ما عدا فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ فإنها ماتت بعده بستة أشهر ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وذكر مترجمنا أن ذلك أفاده شيخه حسن العدوي في شرح الدلائل[5].

وفي مسألة هل يجوز إطلاق المتوكل على سيد الخلق ﷺ أشار إلى

---

(1) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث: 41.
(2) م.ن: 41.
(3) المجموع: ورقة 59، ب.
(4) الفتاوى الكاملية: 4، 5.
(5) م. ن: 4، 6.

جواز ذلك، استناداً على ما ضبطه الشيخ حسن العدوي الذي أشار إليه بـ «شيخنا»[1].

وقد ورد في المجموع في معرض الرحلة المصرية التي قام بها المترجم سنة (1295/ 1878) ذكر لقائه بشيخه هذا في المحطة وهو داخل إلى القاهرة بينما شيخه خارج منها متوجهاً إلى الاسكندرية، وقد أهداه شيخه كتابه الدلائل ورجاه إذا وصل الحرمين الشريفين أن يقرأه في حضرة الرسول ﷺ[2].

5 ـ الشيخ محمد المهدي بن سوده:

ومن الشيوخ الذين أفاد من علمهم في فترة إقامته بمصر الشيخ محمد المهدي الفاسي بن سودة، ولم يحدثنا الشيخ ابن مصطفى عن أستاذه هذا في الفتاوى الكاملية ـ حديثاً مفصلاً، واكتفى بالقول إنه «من نسل الشيخ التاودي»[3] ويستنتج من هذه الإشارة وغيرها أن الشيخ محمد المهدي هذا عالم من علماء المغرب الأقصى حلّ مصر وأقام بها، ونتساءل هنا هل لازم مترجمنا هذا الشيخ المغربي الطارئ على مصر كما لازم شيوخه الآخرين في الأزهر؟ أو كانت صلته به صلة قصيرة عابرة؟ ونتساءل أيضاً هل أجيز من الشيخ ابن سودة بإجازة علمية ما؟ أو اكتفى منه بمجرد حضور بعض مجالسه، وسماع تقريراته فيها؟

إن المجموع الذي كتبه المترجم بخطه ووقفنا عليه أخيراً استطاع أن يضع بين أيدينا مادة وحقائق خرجنا بها من طور التخمين والتقدير والظن إلى طور الجزم واليقين فيما يتصل بتحصيله عن الشيخ محمد المهدي بن سودة.

ومن هذا اليقين أنه قدر له أن يلقي شيخه هذا لقاء غير قصير، استطاع

---

(1) م. ن: 134.
(2) المجموع: 58، أ.
(3) الفتاوى الكاملية: 134.

خلاله أن يقرأ عليه رسالة الوضع في الجامع الأزهر، كما استطاع أن يقرأ عليه غيرها، وقد أعجب المترجم بطريقة شيخه الفاسي في التوضيح والتقرير فمدحه عند الختام بقوله[1]:

ختمت رسالة الوضع المنيفة | بتحقيق وألفاظ شريفه
فكم أبديت فيها من معان | لقد خفيت وأبحاث لطيفه

كما أنه استجازه بعد أن حضر دروسه وبعض الكتب التي كان يدرسها بأبيات امتدح فيها شيخه ابن سودة قال فيها[2]:

ألا يا خاتم العلماء يا مَنْ | له سبق إلى العليا أجازه
ويا بحراً يكنى بابن سوده | أتيتك راجياً منك الإجازة
ولكن لست مكتفياً بقول | فهب طرساً وزين لي طرازه
فابقى في مديحك طول عمري | بنظم لا تخالطه حزازه

وسوف نرى في معرض إجازاته العلمية وسنده المعرفي ما أجازه به شيخه ابن سودة من إجازة علمية عامة تامة شاملة[3].

6 ـ الشيخ إبراهيم السقا:

ومن شيوخ الأزهر المشهورين المغمورين في الفترة التي درس فيها مترجمنا العلم بالأزهر «الشيخ إبراهيم السقا الشافعي، والشيخ خليل الرشيدي الحنفي، والشيخ البلتاني وغيرهم»[4]. والمرجح عندي أن علامتنا ابن مصطفى قد درس على أولئك العلماء لأنهم من الشيوخ الذين درس عليهم زميله في التحصيل وأخوه في العلم ـ كما يعبّر ـ الشيخ محمد العباسي

(1) المجموع: ورقة 11، أ.
(2) م. ن: ورقة 10، أ.
(3) راجع نص الإجازة في شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز دراسة الجهاد الليبي.
(4) أعلام الفكر الإسلامي: 62.

المهدي[1] وقد أكدّ المجموع الذي انتهى إلينا صحة هذا الترجيح، وبخاصة ما يتصل بالشيخ إبراهيم السقا الشافعي، فقد أفاد بأنه تأهل به، وتلقى عنه جملة من علومه، كما أفاد أيضاً بحصوله منه على إجازة علمية، وذكر الشيخ محمد كامل أنه زار شيخه هذا للوفاء في رحلة سنة (1295/ 1878) فوجده مريضاً بداء الفالج، وملازماً الفراش؛ فجلس إليه، وقبّله بين عينيه، وسرَّى عن نفسه، ومن المعروف أن الشيخ إبراهيم السقا هذا كان من شيوخ الأزهر المبرزين، وقد تولّى الخطابة فيه كما يقول الزركلي نيفاً وعشرين عاماً، وكان من فقهاء مصر والمؤلفين فيها[2].

---

(1) هو الشيخ محمد العباسي ابن الشيخ محمد أمين الحنفي ولد بالإسكندرية سنة (1243/ 1827) وتوفي في سنة (1315/ 1897) تولى القضاء بمصر كما تولى الفتوى، ودرس بالأزهر واشتغل بالتأليف ومن أبرز آثاره الفتاوى المهدية في الوقائع المصرية، راجع ترجمته في أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث: 62.

(2) الأعلام: 1 ـ 54.

الفصل الثالث

إجازاته وسنده العلمي

تفرغ الشيخ محمد كامل في أثناء السنوات السبع التي أمضاها في التحصيل والمجاورة في الأزهر تفرغاً كاملاً للعلم والاستفادة من شيوخه، وبذل الوسع للانتفاع بالحلق العلمية المختلفة، والكتب المتنوعة في شتى الفنون، كما نهل في حياض مشائخه الذين قدروا همّته، وأعجبوا بحرصه وأكبروا إخلاصه للمعرفة، وتوقيره للعلماء، وسجّلوا له في العديد من الإجازات العلمية التي أجازوه بها ما عرف به في فترة مجاورته للأزهر من الرغبة العارمة في التلقي، ومن الخلائق السامية في المعاملة، وأثنوا في هذه الإجازات العلمية على مواهبه وما استقاه من أمواه العلم العذبة خلال زمن التحصيل.

فقد أجازه جملة من شيوخه في الأزهر إجازات عامة شاملة بما نالوه وتناولوه مناقلة عن أساتيذهم بالسند الصحيح المتصل؛ وخصّوه لما تيقنوا من أهليّته بالأخذ عنهم، والدخول في شرف مسانيدهم، كما منحوه حقّ الإجازة والمناولة؛ نذكر من هؤلاء الأعلام الذين اطلعنا على إجازاتهم المعتبرة الشيخ محمد المهدي بن الطالب ابن سودة القرشي، والشيخ عبد القادر الريماوي المقدسي الحنفي، والشيخ إبراهيم ابن محمد السياني التونسي التوزري والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري[1].

---

(1) راجع أصول هذه الإجازات في شعبة الوثائق والمخطوطات في مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس.

إن سوق هذه الإجازات، وإثباتها بل إثبات قطوف دالة منها ستكون مجلى مفصحاً عما ناله الشيخ المترجم به من علم، وعن شهادات هؤلاء الجلّة من شيوخه فميا أفادوه به من معرفة، وهي في الجملة برهان صادق غير منكور في أن حركته العلمية الإصلاحية ـ التي سوف نجلوها ـ انطلقت من منطلقات أصيلة راسخة؛ ضرورة أن سندها العلمي جاء موثقاً ومزكى من أبرز مشاهير العلماء والمصلحين في المشرق والمغرب خلال ذلك العصر.

الإجازات المشرقية:

ونعني بها الإجازات العلمية التي تحصل عليها بعد انتهاء دراسته في الأزهر، وخص بها أشياخه اعترافاً بكفاءته، وأيضاً الإجازات الأخرى التي أجيز بها من بعض العلماء في مصر والحجاز تكريماً لعلمه وفضله بعد مدارسة ومباحثة. فقد استجاز مترجمنا شيخه العلامة محمد المهدي بن سودة الفاسي غب مرحلة التحصيل بأبيات قال فيها[1]:

ألا يا خاتم العلماء يا من ... له سبق إلى العليا أجازه
ويا بحراً يكنى بان سودة ... أتيتك راجياً منك الإجازه
ولكن لست مكتفياً بقول ... فهب طرساً وزين لي طرازه
فأبقى في مديحك طول عمري ... بنظم لا تخالطه حزازه

ثم استجاب الشيخ ابن سوده لرجاء تلميذه الذي عرف مواهبه في حلقات دروسه بالأزهر، فكتب له إجازة شاملة، أقرّ فيها بحذقه ونجابته وانتظامه الدائم في دروسه التي أظهر فيها المقدرة على التناول، وكان مما جاء فيها بعد الديباجة «وبعد فإن ممن طلع في فلك العلوم بدراً، ولاح سعده ضوءاً وفجراً، الفقيه العالم اللبيب اللطيف الخير الدين السيد محمد ابن الشيخ مصطفى بن محمود بن يوسف بن سليمان الطرابلسي أصلاً، الحنفي مذهباً، الأزهري قراءة ومجاورة

(1) المجموع: ورقة 10، أ.

في تاريخه[1] فلقد طالما زاحم فرسان العلوم في تلك الأطلال والرسوم، واعتكف في بقاعه أدهر، ونادمه أزمنة وأشهر، واقتطف من أغصانه أثمر، وأفنى في اقتناصه شبابه، وتعاطى في تحصيله أسبابه، حتى ملأ صيته والمنة لله منه دوراً، وحاز منه نفائس وغرراً؛ فساد به على الأثراب والأقران، واشتهر فضله وكماله في الأوان، وفي الحديث «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2] وكان قد حضر درسنا بالأزهر، واقتطف من الرياض الأغرّ ما به البر وأبر؛ ثم طلب منا لحسن طويته، وجميل سريرته أن نجيزه على وفق العادة، وسنن السادة؛ فلبينا دعوته، وقضينا نهمته، وأبدينا جلوته؛ فتقول أجزت الفقيه المذكور إجازة عامة شاملة تامة في المنقول والمعقول، وعلوم الشريعة والواردة عن مولانا الرسول ﷺ، ومجد وكرم ـ على وفق ما أجازنا به أشياخنا السادات المغاربة والمشارقة ـ جزاهم الله عنا أفضل الجزاء، وسلك بنا سبيلهم إلى دار الجزاء ـ على نهج يرضي ربنا، ويحصل قربنا»[3].

ثم خلص الشيخ بعد منح تلك الإجازة التامة إلى وصاه تلميذه ومريده الذي رآه أهلاً لها بالحرص على التقوى وهي خير ما يتواصى به المؤمنون فقال «ثم أوصى المجاز المذكور أعلاه ـ نوّر الله لبه سناه ـ ما أوصانا المولى به في كتابه من التقوى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[4] فبالتقوى فاز كل أحد وساد، واستنار حسّه ومعناه فاستفاد وأفاد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»[5].

وكتب له الشيخ عبد القادر الريماوي المقدسي الحنفي إجازة عامة شاملة أيضاً، وكان مما ورد فيها بعد الحمد له والتصلية «أما بعد لما كان وجود السند

---

(1) كتب هذه الإجازة من التاسع والعشرين من شهر شعبان عام (1269/ 1852).
(2) صحيح البخاري وصحيح مسلم.
(3) نص الإجازة بشعبة الوثائق والمخطوطات في مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس.
(4) سورة النساء، الآية: 131.
(5) نص الإجازة في شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين.

من قواعد الدين، والسعي في بابه يدرك في دأب المحصلين، ومن ليس له سند كالدعي في قومه، فقد طلب مني الهمام الفاضل واللوذعي الكامل، أخونا السيد محمد ابن الشيخ مصطفى الطرابلسي بعد أن شمر عن ساعد جده، وبذل همته في التحصيل بغاية جهده، أن أجيزه بما تجوز لي روايته ودرايته، وبما تلقيته عن أشياخي الجهابذة الكرام، وأجازوني به ظناً منه أني أهل لذلك، والله أعلم مما هنالك فأقول وبالله التوفيق، وأسأله بمنه أن يهديني لأقوم طريق، قد أجزت حضرة أخينا المذكور بما أجازني به أشياخي، وما تلقيته عنهم وأجازوني به من منقول ومعقول لكن بالشرط المعتبر عند أهل الإجازة، وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته»[1].

ثم أوصاه بما أوصى الله به عباده من ملازمة التقوى لأنها كما ذكر «السبب الأقوى»[2] ودعا الله له بالنفع وأن ينفع به، وأن يجمعه به في جنات النعيم[3].

كذلك استجاز شيخه العلامة أحمد بن عبد الرحيم الطهطاوي[4] المعدود في مقدمة شيوخه الأثيرين لنفسه، فأجازه ـ كما ذكر ـ «إجازة بليغة، لطيفة، فائقة»[5] والرسالة بين أيدينا وهي مفصحة عن تقدير الشيخ الطهطاوي لتلميذه ابن مصطفى، ومبينه عن مظاهر الإعزاز التي يكنها له، ومما جاء في ديباجتها بعد التقدمة «أما بعد فقد أصبح إصباح مصباح الفضل، وجنح خافض الجناح بعد جماح وعضل، حتى إذا أشرقت من فضاء المشرق شمسه، جرى ذهبها على المغرب فصاء أمسه، كما أن كواكب الأنوار ومواكب الأسرار ما راق منها له تشرق، من حرز المغرب يد المشرق، فسبحان مجرى الشمسين والقمرين، رب المشرقين، ورب المغربين، ثم لم تزل تلك المنّة، من قديم الزمان سنة،

(1) راجع نص الإجازة بشعبة الوثائق والمخطوطات في مركز دراسة جهاد الليبيين.
(2) م. ن.
(3) م. ن.
(4) المجموع: 58، ب.
(5) راجع نص الإجازة بشعبة الوثائق والمخطوطات في مركز دراسة جهاد الليبيين.

يتوارثها جيلاً بعد جيل، جليل قوم أحدهما عن جليل، إلى أن انتهت إلينا، وحلَّت بين يدينا، فاستنارت ولا نهار وإصباح، واستضاءت ولا استصباح ومصباح، بطالع هلال السعد، وكوكب سماء المجد عين إنسان بني الزمان، وإنسان عين أولي العرفان ذي الصفاء والوفاء، الشيخ محمد بن مصطفى المغربي الطرابلسي، متع الله به نفسي، وأنجح عمله، وبلغه أمله، حيث لاح لوح الفجر، وواصل وصال الهجر، يسوق العير، ويواصل المسير، إلى منيف بيت حرم الأزهر المعمور، والحلول بشريف مجرة أولئك البدور، ليلتقط الدرر الحسان، من كل إنسان»[1].

ثم أشار بعد تلك الفاتحة التي أشاد فيها بخلال المستجيز إلى ما عرف به من الرغبة الأكيدة في التلقي، وما برز خلال إقامته في الأزهر، وبين حلق شيوخه من مثابرة وصبر، ووصفه بأنه آثر «إسعاد الجدّ، وشمر عن ساعد الجد، وبذل كل المجهود ابتغاء المقصود، وصبر صبر الكرام، في تحصيل المرام، ولم يهو مهداً، أو يأل جهداً، في تحصيل ما فيه راغب، والتنصل مما عنه راغب، حتى بلغ به تجمل، وفوق ما قد أمَّل، ووكفت سحائب فضله، وسبقت سوابق نضله، وعلم وأعلم، وفهم وأفهم، وأفاد واستفاد، وأعاد واستعاد، ولقن ولقن، ويقن ويقن، وعاج وعيج عليه، وسعى وسعى إليه، فلا جرم صفا لبه، وصفاً للحكمة قلبه، وكان حريّاً أن ينزل منزلة السها، وتمتحن به بصائر أولي النهى»[2].

وفي الحق إننا نتفق مع المترجم فيما وصف به هذه الإجازة من البلاغة واللطف؛ فقد تفنن الشيخ في اختيار الألفاظ، وانتقاء المحسنات؛ ونزيد فنقول إنها استطاعت بالإضافة إلى ما برعت فيه من التجويد الأسلوبي أن توفي المعاني، وتستقصي جملة من الأفكار التي صورت المستجيز إبان تحصيله في

---

(1) م. ن.
(2) م. ن.

الأزهر في صورة وصفية تامّة ونادرة، دلت على عكوفه على العلم، واتصاله الدائم بالعلماء، إلى أن بلغ درجة التبحر، التي شهد له بها أكبر شيوخ الأزهر أحمد عبد الرحيم الطهطاوي في ذلك الوقت.

ثم مضت الإجازة في ذلك النسق من التبليغ في المبنى والمعنى، إلى أن أشعرت بحرص المترجم على نشدان الإجازة من شيخه الأثير الذي أجابه مقدراً مواهبه «فوجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، وقدمت رجلاً، وأخرت أخرى، خوف يوم العرض، وأجبته رجاء دعواته، لا لفضل لي في معلوماته، معتبراً شروط الشيوخ التي منها كمال التثبت والرسوخ، وذلك بعد أن استجازني بملح أبيات، ومدح لمثلي أبيات، فطال وتغالى وقال وتعالى[1]:

أستاذنا قد فاق كل الناس ... علماً فأسس فيه خير أساس
وغدا يبين خفيه ونكاته ... للواردين عليه مع إيناس
فهو الذي في الصدر تشرق شمسه ... فتنير آفاق الفؤاد القاسي
لولاك ما الآداب يدرك سرها ... من بعد ما درست أتم دراس
كلا ولا حاك القصائد حائك ... في عصرنا يا طيب الأنفاس
سميت أحمد فالمحامد كلها ... تتلى عليك فأنت كل الناس
هذا وأرجو منك منح إجازة ... يا خير من زكوا من الأرجاس
أبقاك ربي هادياً ومقرراً ... متناً وتفسيراً على الجلاس

قال الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوي في معرض منحه إجازته لتلميذه في أبيات نظمها في غرة شوال من سنة (1269/ 1852) «وأجبته بقولي، لا بقوتي وحولي، وذلك من البحر والقافية، وإن كانت قولتي ليست الكافية الوافية»[2]:

إن كان قلبي فيك كالآسي ... فلأنت بالكلمات تلك الآسي

(1) المجموع: 52، ب.
(2) المجموع: ورقة 52، ب.

طرقت بخير مسمعي فقرطت أدنى درّاً من حباب الكاس
وتسابقت مع سابقي بلواحق كانت لديه سوابق الأفراس
خطبت بها مني عروس إجازة وترى الصداق وعن الكفاءة ياسي
فأجبت خطبتها وطاب تبسمي في وجهها الضحاك بالعباس
وأجزته بالنفس فضلاً عن حلى ذاتي التي وزنت بلا قسطاس
فلعلي أحظى قبول محمد وختام حسن لي وكل الناس

وأوصيته بالتقوى فهي السبب الأتمّ الأقوى، وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته، وصلى الله وسلم على خاتم المرسلين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه المسلمين»[1] وظاهر أن هذه الإجازة لم تحتو ذكر سندات الشيخ في الرواية والمناقلة، لذا فقد طلب مترجمنا من شيخه الطهطاوي في رحلته التي قام بها إلى مصر في حدود سنة (1295/ 1878) أن يكتب له إجازة مشتملة على هذه السندات فوعده بذلك[2]؛ ولكن لم يقدر لنا الاطلاع عليها.

وممن أجازه من علماء مصر أيضاً الشيخ عبد الهادي الأبياري فقد خاطبه مترجمنا ببيتين خطرا بباله ـ في أثناء رجوعه إلى بلاده من الرحلة الحجازية والمصرية ـ فأرسلهما إلى هذا الشيخ مع بعض الطلبة وهما:

يا من غدا في العلم فردّ زمانه يا من بدا كالشمس في الأقطار
أرجوك منح إجازة أشفى بها من علتي يا سيدي الأبياري

ويبدو أنه لم يطل المكث في مصر بعد نظم هذين البيتين؛ فقد رجع سريعاً إلى بلاده، حيث وصلته فيها الإجازة من الشيخ عبد الهادي الأبياري منظومة كإجازة الشيخ الطهطاوي وتتميز أيضاً بشيء من الطول والتفصيل؛ وإن نظمت هي الأخرى على وفاق البحر والقافية المختارين من المستجيز في بيتيه

---

(1) م. ن: ورقة 52، ب.
(2) م. ن: ورقة 58، ب.

المذكورين؛ يقول الشيخ الأبياري مبادلاً مترجمنا التقريظ والمدح والثناء في مفتتح الإجازة[1]:

يا بحر فضل بالمعارف جاري مهلاً فما لعلاك قط مجاري
يا كامل الأوصاف يا ابن المصطفى يا رافعاً علم العلا بوقار
مني التمست إجازة ظناً بأني من أولي الأبصار والأنصار
ما ذاك إلا من كمالك إن حسن الظن شأن السادة الأبرار

ثم يشهد للمترجم - وقد فاتشه وبادهه من قبل - بها لمسه من علومه وفهومه، وصرح في هذه الشهادة بأنه هو الجدير بأن يجيز ويمنح، لا بأن يستجيز ويمنح[2]:

أنت الجدير بأن تجيز ومن تجيز يفوز بالحسنى وعقبى الدار
شهد العيان لنا بأنك واحداً لآحاد في الأعصار والأمصار
أنى لمثلي أن يجيز لكامل عن قدره انحطّ الشهاب الساري

ثم شرع في الإجازة التامة المفصلة التي طلبها منه الشيخ محمد كامل في تفضل ومسارعة.

لكن أجيب بأن أجيز ولا أجيز تأخراً لتقدم الأعذار
وأقول ممتثلاً أجزتك بالذي أروي من الأخبار عن أخيار
من كل منقول ومعقول تصحّ روايتي فيه بلا استنكار
كالستة الكتب الصحاح وكالشفا وجميع ما أروى من الآثار
عن سادة غر كشيخي والدي بل سيدي رضوان الأبياري
عن شيخه الحبر الأمير وثبته بادٍ كنار فوق رأس منار
وكذلك الدردير والصبان ثم الجوهري والنهج والتذكار

---

(1) المجموع: ورقة 51، ب.
(2) م. ن: ورقة 51، ب.

وكشيخنا الباجور عن أشياخه والحبر فتح الله ذي الأسرار
وكشيخنا عبد الغني الدمياط والمهـ ـدي أبي سودة صاحب الأنوار
فالله ينفحنا بنفحة سرهم وبكم يديم النفع في الأقطار
ثم الصلاة على النبي وآله ما سار في جنح الدجنة سارى

ومضى بعد هذه الأبيات الرقيقة التي اشتملت على إجازته الشاملة للشيخ ابن مصطفى في الاعتذار إليه بكلمات نثرية نمت على تحقيق فضل المستجيز، وأيضاً على سماحة نفس المجيز ورجاحة عقله وروعة أخلاقه، يستشف ذلك جميعه من كلامه المنثور في مخاطبة المترجم «سيدي إليك الاعتذار عن هذه الكلمات القصار، فإن لساني فيما يليق أن ينمق لحضرتك حصير، وباعي في الإنشا والإنشاد قصير، وميدان فضلك لا يسابق فيه من الكتاب، إلا من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، ما جرأني على إجابتك إلا امتثال أمر حضرتك، وأني وحق آبائك وأنجالك فقير لأن أجاز من أمثالك، ومع ذلك فإنا جميعاً إلى الله نهرع، ولوجهه الكريم نفزع، أن يحسن أعمالنا ونياتنا، ويتقبل حسناتنا ويتجاوز عن سيئاتنا، وأن يجعل لنا حظاً من حسن مرضاه، ولا يحرمنا من شفاعة خاتم أنبيائه وصلى الله عليه وعلى جميع آله، عدد جماله وكماله»[1].

لذلك أخبر الشيخ محمد كامل بن مصطفى في مجموعه أنه تحصل على إجازات علمية أخرى من شيوخه في الأزهر، إذ أشار إلى أنه أجيز من شيخه إبراهيم السقا. ومن شيخه العلامة الشيخ محمد الأشموني الذي كتب له إجازة عامة، إلا أنه لم يفصل فيها سنداته، وأخبر أن الشيخ الأشموني أرسل إليه هذه الإجازة في بلاده طرابلس الغرب[2]، ولكننا لم نهتد إلى هاتين الإجازتين وإلى غيرهما من الإجازات المشرقية والمغربية، كما سيتبين.

---

(1) كتبت هذه الإجازة في سنة (1297/ 1879) والإجازة موجودة مستقلة، وضمن المجموع في شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس.
(2) المجموع: ورقة 59، ب.

كذلك أجيز من علماء الحجاز، ومن الطارئين عليه بإجازات مختلفة، وصلتنا أخبارها ومناسباتها ولكن لم تصلنا أصولها، وما أثبته المجيزون فيها من حقائق ودقائق.

جاء في المجموع أنه التقى بالشيخ أحمد زيني دحلان عالم الحجاز المشهور، ومفتي الشافعية في مكة بجوار الكعبة المباركة فتدارسا بعض الأحاديث المشرفة، ثم زار مترجمنا الشيخ في داره، وطلب إليه أن يجيزه بمروياته، فكتب له هذه الإجازة في الحين، وأحال سنداته ومروياته كلها إلى الشيخ الأمير خاتمة المحققين[1].

كما قرر فيه أنه أجيز من مفتي المالكية الشيخ محمد ابن الشيخ حسين الذي أثنى على علمه وتبحّره، وعلى خلائقه وأفضاله، وقد أجازه بما حواه ثبت خاتمة المحققين العلامة الشيخ محمد الأمير الكبير المالكي، وقد أجازه الشيخ محمد كامل بن مصطفى بأَسانيده العلمية[2].

ومن أعلام الحجاز وفضلائه الذين نال إجازاتهم «الشيخ الكامل، والهمام الذكي الفاضل، الشيخ حسين صالح جمل الليل العلوي، المدرِّس والخطيب بالمسجد الحرام»[3] الذي أجازه إجازة غالية السند، وذلك باعتبار ما اشتملت عليه من الرجال، وأهداها إليه بغير طلب منه لما تحقق من أهليته وعلمه[4].

كلما أجازه من علماء الروم المجاورين في مكة المكرمة الشيخ محمود الشكري ابن إسماعيل بالتبت الذي جمع فيه مسموعاته، وضبط في ألفافه مشائخه ومروياته[5].

إن هذه الإجازات العلمية التي أجيز بها من الحجاز، وصلتنا ـ كما أسلفنا ـ

(1) م. ن: ورقة 59، ب.
(2) م. ن: ورقة 61، ب.
(3) المجموع: ورقة 61، أ.
(4) م. ن: ورقة 61، أ.
(5) م. ن: ورقة 61، أ.

أخبارها والإيماءات إليها في مجموعة أوكناشة، ولكننا لم نقف على أصولها، ولكن الذي يلحظ عليه من خلال تلك الإيماءات أنها موزعة بين الشكلين المعروفين في نسق الإجازات، شكل الإجازة المفردة في كتاب معين أو علم محدّد على نحو إجازة الشيخ حسين صالح جمل الليل في علم الحديث، وفي صحيح البخاري بالذات، وشكل الإجازة العامة الشاملة كالتي أجيز بها من الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي السادة الشافعية.

الإجازات المغربية:

كذلك أجيز بإجازات مماثلة من الغرب الإسلامي، ممثلة فيما أجازه به بعض علماء بلده من أمثال الشيخ عبد الله السني[1] والشيخ محمد الطاهر الغدامسي[2]، والشيخ أبي القاسم العيساوي[3] وأيضاً من بعض علماء تونس من أمثال الشيخ أحمد بن الخوجة، وشقيقه الشيخ محمود الخوجة والشيخ إبراهيم التوزري والشيخ المختار شويخه، فقد وردت إشارات في المجموع في مواضع متفرقة إلى هذه الإجازات، ولكننا لم نعثر على نسخ منها لنعرضه كما عرضنا لنماذج من الإجازات المشرقية، باستثناء إجازة واحدة كتبها له الشيخ إبراهيم بن محمد الشابي التونسي التوزري هي التي سنقتصر على إيرادها في هذا المقام بعد قليل.

فقد ذكر في المجموع اجتماعه مرات عديدة بالشيخ عبد الله السني الذي أجازه جملة إجازات في العديد من الكتب والعلوم، ومنها طرق القوم؛ كما ذكر ما أخذه عن الشيخين الجليلين محمد الطاهر الغدامسي وأبي القاسم العيساوي من أتباع الطريقة السنوسية الخطابية في السياق الذي أشار فيه إلى إجازته من الشيخ عبد الله السني؛ والذي يظهر فيه السند العلمي مرفوعاً إلى الشيخ محمد ابن علي الخطابي والشيخ أحمد بن إدريس وشيوخهم المتقدمين؛ قال في وثيقته

(1) المجموع: ورقة 62، أ.
(2) م. ن: ورقة 62، أ.
(3) م. ن: ورقة 62، أ.

المثبتة في المجموع «الحمد لله، وقد منَّ الله تعالى عليَّ بالاجتماع بالعالم الفاضل السيد الورع الكامل الولي الصالح سيدي عبد الله السني الذي هو من خلفاء الأستاذ الأكبر والقمر الأنور الشيخ سيدي محمد السنوسي مراراً عديدة، وفي الاجتماع الواقع سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف لقنني ذكر الطريق الشاذلية، وألبسني الخرقة، وناولني السبحة، وأطعمني الأسودين التمر والماء، وأجازني بالطريق المذكورة وبغيرها من الطرق الأربعين التي احتوى عليها السلسبيل تأليف الشيخ السنوسي المذكور، وأجازني بجميع الكتب والعلوم التي احتوى عليها المنهل الرائق تأليف الشيخ المزبور بجميع مسموعاته ومروياته إجازة عامة مطلقة تامة بعد أن قرأت عليه الأوليات، وهو يسمع، ولمدة كم سنة مات الشيخ عبد الله المذكور عليه سحائب الرحمة والرضوان»[1].

هذا وقد تقدّم أن الشيخ عبد الله السني قد أجاز مترجمنا في رواية تفسير أنوار التنزيل للإمام البيضاوي. وقد ألمعنا إلى أن المترجم ذكر ذلك في حاشيته على هذا التفسير[2].

ثم أشارت الوثيقة إلى ما أخذه عن شيخيه الآخرين الغدامسي والعيساوي اللذين أجازاه بما في كتابي المنهل والسلسبيل من مرويات، فقرر ذلك بقوله «وممن أجازني بما في المنهل والسلسبيل المذكوين الشيخ سيدي محمد الطاهر الغدامسي، والشيخ سيدي الحاج أبو القاسم العيساوي، أما الأول فقد مات في أنور الربيعين سنة 98 ـ رحمه الله تعالى ـ وأما الثاني فهو باق بقيد الحياة فالله تعالى يحفظه، وينفع به آمين، نعم وأجازني الشيخ الطاهر المذكور بكتاب الشفا للقاضي عياض مناولة عن شيخه الأستاذ الشيخ السنوسي المذكور عن شيخه سيدي أحمد بن إدريس عن شيخه شمهروس الجني عن سيد الخلق ﷺ، والمقصود من مثل هذه الإجازة التبرك والتيمن بأولئك السّادة»[3].

---

(1) المجموع: ورقة 62، أ.

(2) مجموعة العبد الذليل ورقة 1.

(3) كتبت هذه الوثيقة في المجموع من ثالث عشر المحرم (1301/ 1883).

ذلك ما يتصل بما وصلنا إليه من الإجازات التي حظي بها من علماء وطنه طرابلس الغرب، وربما كانت هناك إجازات أخرى نالها من غير الأعلام المشار إليهم لم نقف عليها.

فإذا انتقلنا بعد ذلك بانتقال المترجم به إلى تونس في رحلاته العلمية الثلاث، التي سيأتي تفصيل القول فيها بعد قليل؛ فإننا نلحظ الشيخ محمد كامل ابن مصطفى سالكاً السبيل نفسه من الإجازة والاستجازة، وحريصاً الحرص كله على توثيق السند العلمي من العلماء الكبار في هذه القطر؛ فقد أخبرنا في مجموعة أن شيخ الإسلام مفتي تونس العلامة أحمد بن الخوجة طلب إليه في رحلته الأخيرة إلى البلاد التونسية أن يجيزه وأخاه الشيخ محمود بن الخوجة وأولادهما في الطريقة القادرية فكتب لهم جميعاً إجازة متصلة السند إلى الشيخ عبد القادر الجيلي، كما أجازه شيخ الإسلام أحمد بن الخوجة ـ في المقابل ـ بجميع مروياته ومنها ما احتوى عليه ثبت الشيخ العلامة الشيخ الشافعي كما أجازه من شيوخ تونس في هذه الرحلة الشيخ محمد الملقب بالمختار شويخه المجاز بالسند المتصل في ثبت الشيخ أحمد الصباغ السكندري، في هذا الثبت بإجازة منظومة، اقتصر مترجمنا على ذكر البيتين الأولين منها وهما من البسيط[1]:

الحمد لله ذي الإحسان والجود ومانح العبد فضلاً غير محدود

ثم الصلاة على عين الحقيقة من مكامن الغيب تنهل بترديد

وقد أجاز الشيخ محمد كامل بن مصطفى الشيخ المذكور إجازة بسند عال في صحيح البخاري؛ ولكن الإجازة التونسية المغربية التي عثرنا على أصلها كاملاً، دون أن نعثر على المناسبة التي أجيز فيها الشيخ محمد كامل بها، هي إجازة الشيخ إبراهيم بن محمد الشابي التونسي التوزري، التي كتبت في سنة (1299/ 1881) أي بعد مرور سنة تقريباً على رجوعه إلى بلاده من رحلته الأخيرة

(1) المجموع: ورقة 57، أ.

الخاتمة إلى تونس، والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا، هل التقى مترجمنا بالشيخ إبراهيم الشابي التوزري في تونس خلال تلك الرحلة الأخيرة وطلب إليه أن يجيزه فوعده بذلك، ثم كتب له هذه الإجازة في التاريخ المذكور الذي ذيلت به؟ أو أن الشيخ إبراهيم مرَّ في تلك السنة ببلاد المترجم فالتقى به وأجازه خلال ذلك اللقاء بهذه الإجازة؟

في الحق إننا لا نستطيع أن نقطع بإجابة دقيقة حاسمة لافتقادنا الوثائق الكافية في الترجيح. على أن الذي يعنينا الآن هو جلاء قطوف مما جاء في هذه الإجازة المغربية لسببين:

الأول: لأنها الإجازة الوحيدة من الإجازات المغربية التي جاءتنا كاملة، ومكتوبة بخط صاحبها.

الآخر: لأنها تجسد الحكم الموضوعي للمجيز في شخصية الشيخ محمد كامل بن مصطفى، فيلتقي على ذلك حكم المغاربة مع حكم المشارقة فيه.

لقد قرر الشيخ إبراهيم الشابي التوزري في هذه الإجازة العامة بعد الديباجة المعهودة، أن المترجم استجازه؛ ولما تحقق من أهليته، وقدرته على المناولة منحه الحقّ في الرواية فيما درسه من شيوخه:

«ثم طلب مني الأخ الصادق أن أمنح له إجازة تبركاً وتواضعاً منه كما هي عادة الرجال الكمل ـ جازه الله عنا خيراً ـ وكيف يحتاج فيض النيل للأنهار، وقم الليل إذا بدّ ذهب به شمس النهار؛ فقلت أجزت الفقيه العالم العلامة، الحسيب النسيب، الخير الشيخ محمد بن مصطفى الطرابلسي منشأ، الأزهري مجاورة وقراءة، المالكي الحنفي مذهباً، فيما تلقيته عن أشياخي كلهم قراءة في الدرس ومطالعة، وغير ذلك ـ نفعنا الله بهؤلاء السادات الأعلام، وجعلنا الله وإياهم في زمرة الإسلام، بجاه الأنبياء والرسل الكرام، من اقتفى آثارهم من العرب والأعجام»[1].

---

(1) راجع نص الإجازة في شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس.

ثم ختمت هذه الإجازة التونسية المغربية بما جرى عليه العرف في الإجازات المغربية والمشرقية من الوصية وصية المستجيز بالتقوى والصلاح، حيث ذكر «ثم أوصيك وإياي أيها الواقف على هذا الباب بتقوى الله يؤتيك الحكمة، وفصل الخطاب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1] وقال ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [2] وعليه الصلاة والسلام «إنما الأعمال بالنيات»[3] وآخر دعوانا أن الحمد لله رب ٱلعالمين[4].

(1) سورة البينة، الآية: 5.
(2) سورة البقرة: الآية: 269.
(3) صحيح البخاري بدء الوحي: 1 صحيح مسلم، إمارة: 155.
(4) كتبت الإجازة بتاريخ 27 من ذي الحجة (1299/ 1881).

الباب الثاني

الفصل لأول: عودته إلى بلاده ووجهته الإصلاحية

الفصل الثاني: شخصيته

الفصل الأول

عودته إلى بلاده ووجهته الإصلاحية

بعد أن تضلع الشيخ محمد كامل بن مصطفى ـ خلال السنوات السبع السمان في مصر من أمواه تلك الروافد الثقافية الفياضة في الأزهر، وكرع من مناهل العلوم التي كان يتدفق بها أساتذته وشيوخه الجلّة من كبار علمائه، وأصاب زاداً مغدقاً من ثمرات الحياة العقلية النشيطة آنذاك في مصر «وقبل الرماء تملأ الكنائن»[1] كما في الأمثال العربية ـ عاد خفيفاً إلى بلاده ليبيا في عام (1270/ 1853) فنزل ربوعها العطشى نزول الماء الفرات العذب على ذي الغلة الصادي، حيث أفسحت له مساحة كبيرة من ودّها واحتفائها، قابله بما يوازيه من أريحية وتودّد، فأحال ـ بفضل همته وعزيمته ـ صحارى الجهل الجرداء في بعض ربوعها، وفيافي الأمية القاحلة في سوحها إلى ربيع دائم الخضرة بالعلم، يانع الجنى بالمعرفة، عبق الأزاهير بالإصلاح.

لقد بدأ حياته العلمية والإصلاحية في طرابلس الغرب التي كانت تشهد في ذلك الوقت خضماً متلاطماً في الحياة العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بداية هادئة غير متسرّعة تتّسق مع توجهات طالب علم، بل عالم أكمل كثيراً من

(1) مجمع الأمثال، 2: 64.
مثل عربي يضرب للاستعداد للأمر، ويروي أيضاً قبل الرمي تراش الكنائن.

علومه في الأزهر، واشرأب بعد ذلك إلى نقل ما أخذ من معارف إلى أهله ووطنه قال ـ رحمه الله ـ «وفي أوائل سنة سبعين من القرن المذكور [يعني القرن الثالث عشر الهجري] رجعت بحمد الله تعالى إلى وطني المذكور؛ فوجدت جدي وعمي قد ماتا ـ رحمهما الله تعالى ـ ووجدت والدي حيًّا؛ فاشتغلت بالتدريس، ونشر العلوم والإفتاء على المذهب الحنفي»(1).

وقد وافقت هذه البداية الهادئة عهد الولاية الأولى للوالي أحمد عزت باشا الأرزنجاني، الموصوف عند المؤلف، وعند غيره من بعض المؤرخين بأنه كان من الولاة الصالحين في سلوكهم ومن أهل الذكاء والرغبة في الإصلاح(2) وما من ريب في أن توافق مجيئه مع ولاية مثل هذا الوالي الحصيف قد أعطى لجهوده وإراداته في الإصلاح قوة ومدداً، بيد أنه لم يصلنا من أخبار المترجم في هذا العهد إلا ما ذكره من الاشتغال بالتدريس ونشر العلوم والإفتاء، أو تأليفه وطبعه لكتابه الذي سماه «فتح الودود في حلّ نظم المقصود» وهو الكتاب الذي لم يشر إليه أحد من المتقدمين في ترجمته لابن مصطفى، وسوف نعرض للحديث عنه في فصل لاحق.

وقد واكبت مسيرة إصلاحه منذ عودته إلى ليبيا إلى تاريخ وفاته، وهي الفترة التي تُعَدُّ أكثر من نصف قرن أكثر من أربعة عشر والياً كان منهم الحصيف الواعي الطامح إلى الإصلاح والنهوض بالولاية، ومنهم ضيق العطن الجامد الذي لا يلوى على شيء إلا على البقاء في الحكم، والافتتان بالمظهر الشكلي، وسوف نلحظ أن المترجم قد جنح خلال هذا الزمن الممتد طوال نصف قرن مع جملة الولاة الذين عاصرهم إلى كثير من الأناة والصبر والحكمة في تمرير مشروعاته الإصلاحية؛ ضمن الإطار الإصلاحي العام المهيمن آنذاك على العالم الإسلامي، وعلى عاصمة الدولة العثمانية ـ التي كانت تشعر ـ كما قدمنا ـ بحالة

(1) الفتاوى الكاملية، 2.
(2) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب: 368.

الضعف والانحطاط الداعية إلى تضافر الجهود من أجل التطوير والتحديث والإصلاح؛ فما المنهج الإصلاحي الذي اختاره الشيخ محمد كامل بن مصطفى؟ وما أبعاده؟ وما هي مظاهر التأثير التي أثّر بها في بلاده ليبيا أو في خارجها؟

يجدر بنا قبل البدء في الحديث عن الوجهة الإصلاحية للشيخ محمد كامل ابن مصطفى أن نشير إلى الخطأ العلمي التاريخي، الذي وقع فيه الدكتور محمد الصادق عفيفي، والمتصل بهذه الوجهة.

لقد ذكر الدكتور عفيفي في كتابيه «الشعر والشعراء في ليبيا» و«الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث» عبر إشارات خاطفة أن الشيخ محمد كامل بن مصطفى الذي ينعته بالأزهر الصغير[1]، هو تلميذ من تلاميذ الشيخ جمال الدين الأفغاني[2]، وأنه استفاد من حركته الإصلاحية، وقد جاراه بعض الكتّاب والباحثين ممن جاؤوا بعده، وقرروا ـ اتباعاً لا ابتداعاً ـ ذلك القول الذي سأدلل على تهافته وزيفه.

فمن المعلوم أن مترجمنا قد مكث سبع سنوات في مصر للتحصيل من شيوخ الأزهر، وهي المدة الواقعة بين هذين التاريخين (1263هـ/ 1270هـ) ومن المحقق أيضاً أن أنفع أيام الشيخ جمال الدين الأفغاني وأصلح أيام غرسه ـ كما يعبّر الدكتور أحمد أمين ـ ما كان في مصر مدة إقامته بها من (أول محرم 1288هـ/ 1296) الموافقة لـ(مارس 1871 ـ أغسطس1879)[3].

وبأدنى مقارنة ونظر في تلك التواريخ الصحيحة التي انضبطت بها إقامة

(1) الشعر والشعراء: 248 ـ الاتجاهات الوطنية: 195.
(2) بل ذكر أنه تتلمذ أيضاً للسراجي سراج يقصد إبراهيم سراج المكي الذي لم يلتق به المترجم وكان قاضياً ونائب مفتي الأمدة وجيزة اعتقل بعدها إبراهيم سراج ـ كما سنوضح ـ بتهمة تأسيس جمعية سرية، وبقي في السجن إلى أن توفي، ولا ندري على أي شيء اعتمد الدكتور محمد الصادق عفيفي فيما ذكر؟!!
(3) زعماء الإصلاح في العصر الحديث: 62.

مترجمنا في مصر، وإقامة الشيخ جمال الدين بها نرى أنه لم تكن بين مترجمنا والشيخ الأفغاني أية صلة يمكن أن تتحقق بها تلك التلمذة المزعومة، أو المشيخة المدعاة، إذ جاء الشيخ الأفغاني إلى مصر بعد أن غادرها الشيخ الطرابلسي ابن مصطفى، ورحل عنها بسنوات عديدة.

والذي قيل في نفي الصلة بين المترجم والشيخ الأفغاني يمكن أن يقال أيضاً في نفي حدوث الصلة بينه وبين الشيخ محمد عبده، وبالأولى نفى أن يكون الشيخ محمد كامل تلميذاً له، فلقد كان الشيخ محمد عبده ـ كما يحدّثنا التاريخ ـ صغير السنّ إبان وجود علامتنا المصلح في القاهرة، بل إن شهادة أو إجازة الشيخ محمد عبده من الدرجة الثانية التي حصل عليها من الأزهر كان منحه إياها الشيخ محمد العباسي المهدي شيخ الأزهر وقتذاك، وقد أسلفنا القول إن الشيخ محمد العباسي هذا كان صديقاً حميماً لمحمد كامل كما كان زميله في التحصيل، وقد منحت هذه الإجازة العلمية للشيخ محمد عبده عام (1294/ 1877)[1] أي بعد رحيل الشيخ ابن مصطفى عن مصر بسنوات عديدة تناهز أربعاً وعشرين سنة، لذلك أقرر باطمئنان أن الصّلة العلمية بين شيخنا والشيخين لم تحصل على الإطلاق في تلك الفترة بل يُعَدُّ ذلك الزعم محض توهم من الدكتور عفيفي، وأن القول بأنه تتلمذ عليهما، أو أنه أخذ عنهما طرائق الإصلاح قول مردود.

وقد بحثت كثيراً عما إذا كانت ثمّة وثائق أو إشارات تفصح عن تلك الصلة، سواءً في ذلك الزمن المبكر أو في تاريخ لاحق؛ فلم أجد من ذلك شيئاً أعوِّل عليه، ولست أدري على أي شيء عوَّل الدكتور عفيفي ومن لفّ لفه من الباحثين!!

إن هذه المقدمة تجعلنا الآن أمام حقيقة لا جدال فيها وهي أن مترجمنا المصلح كان من أوائل المصلحين في العالم الإسلامي في العصر الحديث، وفي

---

(1) زعماء الإصلاح: 290.

طليعة الرواد المغفول عنهم في البلاد الإسلامية، وأن منهاجه الإصلاحي على الرغم من أنه لم يأتنا مفصلاً لغياب الوثائق كان منهجاً مستقلاً عن منهج ذنيك الشيخين، وأنه كان وليد تأملاته وتصوراته في الحياة الإسلامية، وواقع البلاد العربية والديار الليبية بخاصة وليس امتداداً لمنهج الشيخ جمال الدين الأفغاني أو الشيخ محمد عبده، حتى وإن التقى معهما في بعض الوسائل والغايات.

وضبطاً للبحث، وللإجابة عن ذنيك السؤالين اللذين مهدنا بهما فإنني أحب أن أبين معالم المنهاج الإصلاحي للمترجم ولمظاهر تأثيره في بلاده ليبيا إبان النصف الأخير من القرن الماضي بتتبع أعماله وآثاره في المجالات المتعددة التي هدتنا الوثائق المعتمدة إلى مساهماته فيها، وسوف نقتصر على أهمها وهي المجال السياسي والمجال التعلمي والتوجيهي، ومجال القضاء والفتيا.

أ ـ في المجال السياسي والإصلاحي:

انطلق المنهاج الإصلاحي عند الشيخ محمد كامل أو إن شئت عند المدرسة الكاملية في النصف الأخير من القرن المذكور من الإحساس الملحّ بالحالة البائسة اليائسة التي وصل إليها المسلمون، ومن الشعور بما لابس النفوس من الضعف القاتل الذي لابس البلاد العربية والإسلامية فصارت نتيجة تخلفها الحضاري، واهنة القوى، خائرة العزائم، فاقدة أسباب النهضة، متجافية عن بواعث الرقي، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تنمو وتتطور، وتحيا وتزدهر في ظلّ التقدم الصناعي، بل صارت تشحذ لانحسار ظل المسلمين مخالبها وسكاكينها للانقضاض على الرجل المريض الدولة العثمانية، ولتقسيم تركته العريضة الموزعة في الولايات والسناجق المختلفة التابعة لها في الشرق والغرب.

وقد كان محمد كامل في هذا الشعور والإحساس العام عارفاً كغيره من رجال الإصلاح، وقادة الفكر في العالم الإسلامي، حينئذٍ أن هذه العلّة المهلكة التي استقرّت في هذا الجسد العليل الهامد، ليس من السهل إزالتها، أو شفاء المريض منها في فترة وجيزة أو التغلب على مظاهرها وأعراضها في وقت

قصير؛ إن الأمر يحتاج في رأيه وفي رأي سائر المصلحين إلى أناة وصبر وطول نفس، ويكفي أن يجنّد كل مسلم نفسه لبذل ما يستطيع، ولإعطاء ما يقدر عليه من الموقع الذي يرابط فيه.

والذي يستفاد من أقوال الشيخ محمد كامل وسلوكه في الوجهة الإصلاحية السياسية أنه كان عثمانياً ومن المصلحين المتعلقين بالجامعة الإسلامية، وبدار الخلافة، يتخذ ذلك المسلك منهجاً له لا يحيد عنه ومبدأ من المبادئ التي كان يرى فيها ما من شأنه تحقيق وحدة الصف، وجمع الكلمة تجاه تلك الأعاصير العاتية في ذلك الصراع التاريخي العصيب.

فالخليفة الذي يعتلي سدّة الحكم في استنبول كان يعدّه رمزاً جامعاً موحداً يجب التنويه به والحفاظ عليه، وتجديد الولاء له في كل مناسبة من المناسبات، فقد أشاد في مواقف مختلفة بالسلطان عبد المجيد وأثنى على أخلاقه وأعماله، وعرض لذلك في المدحيات التي خصّ بها ولاته في ولاية طرابلس الغرب.

وعندما توفي هذا السلطان، وتولّى السلطنة العظمى بعده ابنه مراد في سابع جمادى الأولى من سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف[1] (1876) احتبل هذه المناسبة فأظهر فرحه وفرح المسلمين بها، وأرّخ ذلك في بيتين قال فيهما[2]:

تـولّـى مـراد بـن عـبـد الـمـجـيـد فـنـال مـراداً بـه الـمـسـلـمـون

وفـي سـورة الـروم تـاريـخـه ويـومـئـذ يـفـرح الـمـؤمـنـون

وعلّق على السلطان مراد أملاً في أن يكون دعامة للإسلام والمسلمين في التذييل الذي ولّى البيتين حيث قال «جعله الله تعالى عزّاً للإسلام بحرمة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله البررة، وأصحابه به الكرام ـ آمين»[3].

---

(1) المجموع، ورقة 25، ب.

(2) م.ن: ورقة 25، ب.

(3) المجموع: ورقة 25، ب.

ومن المعلوم أن مدة هذا السلطان ـ الذي تأثر بأفكار غربية وغريبة ـ لم تدم طويلاً؛ إذ اعتلى العرش بعد مائة يوم من حكمه أخوه السلطان عبد الحميد ابن عبد المجيد؛ وأفصح عن طرائق في الحكم والتوجّه تخالف مسار أخيه مراد، حيث انحاز كما ذكرنا في الفصل الأول إلى الإسلام والمسلمين، ونظر نظرة الحيطة والحذر من أوروبا وحضارتها، ومن الاتحاديين وغاياتهم، وقد رأى الشيخ محمد كامل بن مصطفى ـ كما سيتضح ـ في وجهة السلطان عبد الحميد الإصلاحية السياسية مظهراً علمياً جامعاً يجب صونه، وعدم التحامل عليه في معترك حضاري يراد فيه زعزعة الخلافة، وإسقاط الخليفة والسلطان الرمز، بل يقصد به تمزيق المسلمين في مختلف الديار، وتفريق كلمتهم؛ فكان مترجمنا من هذا المنظور معدوداً في عداد المصلحين الذين رفضوا شعار الجامعة الإسلامية، ونادوا بالاعتداد بالخليفة، الذي إذا ذكر عنده أردف ذلك بقوله «أيده الله» «ونصره الله» ونحو ذلك من الدعاء المشعر بالتشبث بهذا الرمز الذي كانت تسعى الصليبية والصهيونية للإحاطة به[1].

وقد سئل في ذلك الظرف الحاسم عمن يشتغل بسبب الرعاة وولاة أمر، والطعن فيهم بأنواع من الذّم، فهل لا يجوز لهم ذلك؟ فأجاب بما كان يمليه واقع العالم الإسلامي يومئذ «لا يجوز لهم ذلك»[2] مستنداً على ما جاء في الكشاف للزمخشري، وما ورد في بعض الكتب، من أن الله بيده مقاليد الأمور، وقلوب خاصة الناس وعامتهم، وهو وحده القادر على هدى الولاة، وجعلهم رحمة إذا استقامت الرعية وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام «**كما تكونوا يولى عليكم**»[3].

وفي إجابته السابقة وفتواه ما كان من شأنه العمل على وحدة الصف، ونبذ الخلاف، والدعوة إلى التحلق حول الرمز السياسي الموحّد، ونصرة الجامعة

---

(1) راجع السلطان عبد الحميد الثاني «مذكراتي السياسية» ومذكرات السلطان عبد الحميد.
(2) الفتاوى الكاملية: 9.
(3) م.ن.: 9.

الإسلامية. وسئل ـ أثابه الله ـ هل يجوز تعدد الخليفة؟ فأجاب بما يتمشى مع الوجهة الإصلاحية السياسية ومستنداً على شرح البخاري للإمام العسقلاني «لا يجوز إلا خليفة واحد، لأن الشارع أمر ببيعة الإمام والوفاء ببيعته، ثم من نازعه يضرب عنقه»[1].

وسئل في ذلك الظرف الذي كثرت فيه القلاقل والثورات المحلية في الولايات المختلفة التابعة للدولة العثمانية، ومنها ولاية طرابلس الغرب، هل تجب طاعة الخليفة ـ نصره الله تعالى ـ فقال نعم تجب طاعته، قال في أنوار التنزيل، ودلّت الآية على أن طاعة أولي الأمر واجبة إذا وفقوا للحق، فإذا خالفوه فلا طاعة[2].

فليس في تلك الإجابات والفتاوى ـ كما ترى تزيين لحال الخليفة أو الإمام، أو ترغيب في مجرد الحفاظ على ذاته ومصالحه، أو دعوة إلى تمسك بزعيم معين سواء أكان السلطان عبد الحميد أم من سبقه بمقدار ما فيها من دعوة ملحّة للمسلمين إلى تجاوز الخلافات المبيرة، والبعد عما يحدث في صفوفهم الشقاق والانقسام، واستحثاثهم في ذلك الظرف الخطير على الترابط والاتحاد على أمر جامع، كان يرى فيه مظنة التصدي لألاعيب الغرب ومكايده وأحقاده وهو ما ظهر فيما بعد في شعار الجامعة الإسلامية الذي رفعه السلطان عبد الحميد في قولته الشهيرة «يا مسلمي العالم اتحدوا»[3] الذي أراد به إظهار خطورة الموقف الذي كانت تمر به الدولة العثمانية وديار الإسلام، مما كانت تسعى به الدول الأوربية المستعمرة لاحتواء العالم الإسلامي بغزوها المباشر، أو عن طريق أعوانها من المسلمين الذين كانت تحركهم القنصليات الأجنبية، وتغريهم بالتمرد والثورة.

---

(1) الفتاوى الكاملية: 10.

(2) م.ن.: 265.

(3) فتح الودود في حل نظم المقصود: 3.

لقد كان المترجم ـ كما أشرنا ـ عثمانياً بأصوله وبتفكيره الإصلاحي، متعلقاً بالخلافة وشعارها حريصاً أشدّ الحرص على أن تكون راياتها في ذلك الزمن الذي كشرت فيه أوروبا المستعمرة عن أنيابها، خفاقة عالية صامدة، وكان إلى ذلك كله معجباً إلى حدّ بعيد برمز هذه الرابطة السلطان عبد الحميد خان الذي كان يسميه وينعته بـ«رافع راية الإسلام، ظل الله تعالى في أرضه على الأنام، المخصوص من الله تعالى بالعناية واللطف العميم، الموصوف بكمال الدراية والخلق العظيم، مالك رقاب العالم، تاج ملوك بني آدم، فريد العصر والشأن، مفخرة سلاطين آل عثمان، مولانا السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان عبد المجيد خان، نصره الله تعالى، وزان أيامه، وأعلى في جميع الأقطار أعلامه»[1].

ويتبين من تلك الكلمة السابقة تعظيم المترجم للخليفة العثماني، وإعجابه به وتوقيره له ومغالاته في ذلك مغالاة ظاهرة، وأمله في أن تظل بنود الدولة العثمانية عالية مصونة في ظل هذا السلطان ورعايته إلى أن يتحقق الأمل المرجو.

وكما يوجب ـ رحمه الله ـ هذه المناصرة للخليفة ومؤازرته في خططه، ومساعدة عماله ورجاله، يذهب أيضاً في أقواله وما يصدر عنه من عمل إلى ما كان يذهر إليه رجال الإصلاح أيامئذٍ من تحريم الخروج عن صفّ المسلمين، والالتجاء إلى الكافرين أو الاحتماء بهم، أو عمل ما يبث الفرقة والخلف بين المؤمنين، الذين هم ـ كما جاء في الحديث الشريف ـ «**كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[2].

ولعل من نافلة القول أن نذكر هنا بما شاع في عهده من طلب رعايا الدولة العثمانية ـ مسلمين وذميين ـ الحماية من دول أجنبية غير مسلمة رغبة منهم في

(1) فتح الودود في حل نظم المقصود: 3.
(2) في صحيح البخاري مع اختلاف في بعض اللفظ أدب: 27 وفي صحيح مسلم برّ: 66.

الحصول على منافع ومصالح ذاتية، وسعياً للجوسسة لتلك الدول التي كانت تغدق عليهم من أموالها وحمايتها، وتمنيهم بالاستقلال وتكوين الدول المتحررة، وكان الشيخ محمد كامل وإضرابه من المصلحين يحذرون من هذا الخروج، ويستنكرون هذا المسلك على فاعليه، ومن المسائل التي تدلنا على هذا المنزع في إصلاحه الديني والسياسي إجابته عن سؤال قدم إليه فيما شاع وكثر في زمانه من احتماء المسلمين بالكفار، بعد نقضهم البيعة الإسلامية، وإذا طلبهم ولاة الأمر يتمنعون، ويقولون نحن تحت حماية الدولة الفلانية؛ فأجاب بما مؤداه وخلاصته أنه لا يجوز هذا الصنيع القبيح السيء في الشريعة بل هو حرام، بل قيل إنه كفر، واستنتج من الآيات القرآنية المتعلقة بذلك، أنه لا يفعل ذلك إلا من كان في قلبه مرض ونفاق والعياذ بالله، ثم قال رحمه الله «وهؤلاء المحتمون أشد ضرراً على المسلمين من الكفار الأصليين، فإنهم سبب في مداخلة الأجنبيين في الحكومة الإسلامية، وفي تشويشهم على الأمراء المسلمين، ومعاكستهم ومع ذلك فإنهم يلقون إليهم أسرار الإسلام، ويطلعونهم على عوراتهم، فهم لهم جواسيس فما أحراهم بالعقوبة الشديدة»[1].

وقد تعرضت ليبيا قبل أن يتم احتلالها عسكرياً من إيطاليا لغزو فكري، وتغلغل سلمي ثقافي، شوهّت به حقيقة الدولة العثمانية في نفوس المواطنين، وزينت به الدول الأوروبية المستعمرة، وبخاصة إيطاليا وفرنسا اللتين كانتا تطمحان لاحتلال ليبيا واحتوائها، وقد أشار الرحالة الحشائشي إلى ذلك المعنى عقب حديث عن مجلس الشيخ محمد كامل الذي شهده في رمضان من سنة (1313/ 1895) في جامع قرجي، حيث أبان عن تعاطف الرعاع وضعاف النفوس مع الإيطاليين وتغلغلهم السلمي بقوله «وفي مدة إقامتي بهاته المدينة [طرابلس الغرب] رأيت أوباش البلد لهم مخالطة مع الجنس الطلياني، وغالبهم يتكلمون معه باللغة الإيطالية»[2]. ولم يقف محمد كامل إزاء هذا الغزو المقيت مكتوف

(1) الفتاوى الكاملية: 268.

(2) رحلة الحشائشي إلى ليبيا: 68.

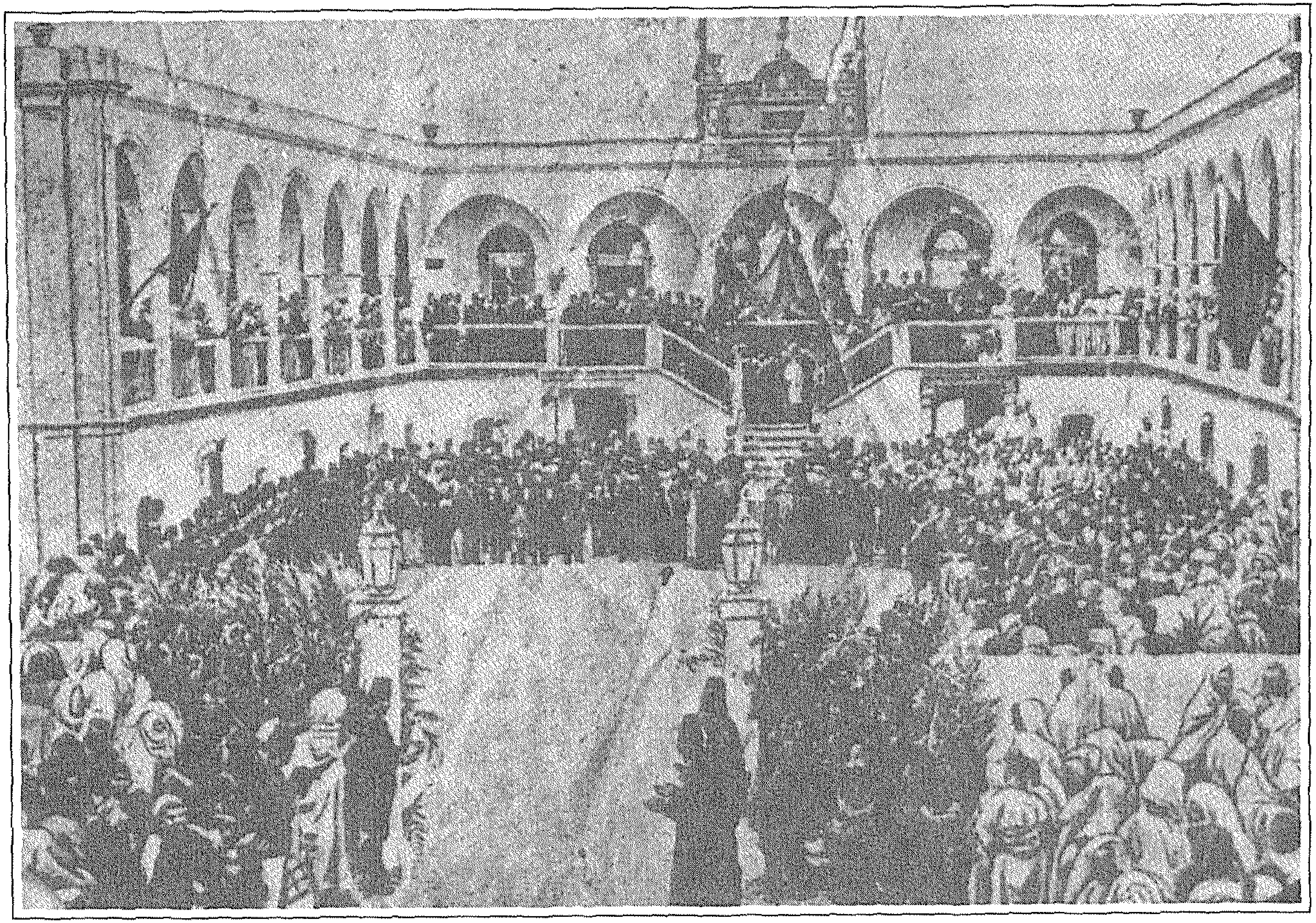

الشيخ محمد كامل بن مصطفى في إحدى المناسبات الرسمية للدولة العثمانية بطرابلس

الأيدي ساكت اللسان، جامد الوجدان، بل كان له دور فعال إزاءه تجلّى في تحذير العامة والخاصة من التنكر للرابطة العثمانية، وفي دعوته الدائمة لهم بالتشبّث بالجامعة الإسلامية، والتنفير من التعلق بإيطاليا وغيرها من الدول الأجنبية التي يحسبها الظمآن ماء، وكان كثيراً ما يقبح في مجالسه وحلقات تدريسه وفي فتاويه الاتصال بأعداء الدين، ويشوّه بل يكفر من يتجرأ على نقض البيعة الإسلامية، وتلك هي نظرته الإصلاحية السياسية في ذلك المعترك بل الصراع التاريخي، الذي نشب بقوة بين أوروبا الغازية، وبين الديار الإسلامية التي تجلّت فيها القابلية للاستعمار، وهي نظرة موضوعية تكونت عنده من مطالعاته الواسعة، ومن مشاهداته الكثيرة في البلاد الإسلامية التي زارها وبخاصة تونس ومصر؛ ومن هنا فعماد إصلاحه السياسي تجسّد في التحذير المستمر من مكائد الغرب، والدعوة الموصولة إلى الانضواء تحت لواء الخلافة الإسلامية، التي كان يرى الخير كل الخير في مساندتها لا الخروج عليها، وتمزيق أواصرها، ومعنى ذلك أن طريقته الإصلاحية كانت تقوم على طبيعة هادئة واعية واضحة، تحرص على إصلاح القائم الموجود من الكيان الإسلامي برأب صدعه، وترميم ما انهار منه بالوسائل العلمية الناجعة والعملية الذاتية، وتنأى عن أشكال التنظيم السرّي أيّاً كان نوعه، والذي فشا وشاع في ولايات الدول العثمانية ومنها طرابلس الغرب، بقصد تغيير الأوضاع القائمة ولو أدّى ذلك إلى التحالف مع الأعداء، كما تتجافى من أجل وحدة الصف عن التنظيم الخفي، سواءً أكان ذلك التنظيم نظيفاً أم مشوّهاً، بل ترتضي التفكير الإسلامي بصوت واضح النبرات جلي القسمات في زمن كثرت فيه البربرة، والأساليب غير السوية «وأخف من بعض الدواء الداء» كما يقول شوقي[1] ـ ولا يستنكف منهجه في الإصلاح عن مدّ يد العون للولاة العثمانيين، والعمال الصادقين من أجل القيام بالإصلاح والوصول إلى الأوضاع النهضوية المرجوّة.

---

(1) في قصيدته الهمزية «ذكرى المولد» حيث يقول مادحاً الرسول ﷺ:

داويت متئداً وداووا طفرة ... وأخف من بعض الدواء الداء

لقد شهد الشيخ محمد كامل ـ منذ عودته إلى وطنه ليبيا عام (1270/ 1853) ـ إلى وقت وفاته (1315/ 1897) ثمانية عشر والياً تعاقبوا في أزمان قصيرة على حكم الولاية، وتأسيساً على منطلقه الإصلاحي الذي أومأنا إليه ومرونته التي عرف بها فقد تعاون مع كثير من هؤلاء الولاة الذين نصبتهم الدولة العثمانية، ويحملون نزعات حبّ التطوير والتجديد، والعمل على الرقيّ بهذه الولاية في ظل قانون التنظيمات، وتفاعل مع من كانوا يتسمون بالحكمة والاعتدال والميل إلى العطاء من أمثال الحاج أحمد عزت باشا ابن المرحوم الحاج عثمان باشا الأرزنجاني الذي كان في عهدي ولايتيه على جانب كبير من الوعي والحصافة والتهذيب الأمر الذي جعل معاصره صديق مترجمنا المؤرخ أحمد النائب الأنصاري ينعته بأنه كان «عالماً نبيهاً، صافي السريرة، متوشّحاً بالصبر والحلم والبأس، له الرأي الثاقب الذي تخفى مكائده، وتظهر فوائده، ويرى العواقب في مرآة عقله، وبصيرة ذكائه وفضله»(1) وقد تولى هذا الوالي مهمة الولاية في طرابلس الغرب ـ كما ذكرنا ـ مرتين أظهر خلالهما جهوده وإصلاحه، وبرهن فيهما عن إخلاصه، وحسن تدبيره وتفانيه في خدمة البلاد والعباد، وتقدير أهل الفضل والعلماء والأعيان، مما حمل المتعصبين من قناصل الدول الأجنبية على وصفه بالجمود والتعصب(2) وقد أعجب محمد كامل بهذا الوالي وبأعماله وولائه للديار، وعطفه الظاهر على أهلها، فكان يصفه بأنه «ذو الدولة والعز والشأن، الممتاز بكمال السياسة ومزيد العرفان، الدستور المكرم، والمشير المفخم»(3) وتلك نعوت حميدة تتطابق مع نعوت المؤرخ أحمد النائب في هذا الوالي، وتدل من جهة أخرى على مدى تقدير عالم مصلح لرجل مسؤول بذل الوسع لخدمة هذا البلد الطيب، ويظهر من تلك النعوت، ومن أخبار مترجمنا ومن أخبار هذا الوالي مجتمعة، أن المترجم قد عقد معه صلات

(1) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب: 368.
(2) فتح الودود في حل نظم المقصود: 3.
(3) فتح الودود في حل نظم المقصود: 3.

ووشائج لإظهار مشروعاته الإصلاحية، وخصوصاً في نشر التعليم وإبراز المدارس الرشدية إلى حيّز الوجود، كما ألف مترجمنا في عهد هذا الوالي كتابه «فتح الودود في حلّ نظم المقصود» في علم الصرف الذي نتحدث عنه ضمن الحديث عن آثاره.

كذلك تفاعل مع الوالي محمود نديم باشا الذي سميت في عهده أيالة طرابلس ولاية، وتمّ خلاله وضع مجالس الجنايات والحقوق والتجارة بتنظيم عصري، كما أسست مطبعة، وصدرت جريدة باسم الولاية، وقد خصّ مترجمنا هذا الوالي أيضاً ببعض الأمداح، أشاد فيها بفضله وخلائقه وما قام به من تحديث. وعندما أُتيح للولاية أن ترى والياً جديداً هو علي رضا باشا الجزائري خلفاً للوالي السابق، لمس فيه الشيخ المصلح شخصية إصلاحية كان يتوق إليها، فقد كان هذا الوالي كما وصفه النائب «حريصاً على ترقي الولاية، وتوسيع نطاق التجارة والصناعة والزراعة»[1]. بالإضافة إلى ما عرف به من إصلاحات أخرى في تمهيد الطرق وتنظيم المواصلات والبريد، وإمداد المدينة بالمياه، وتأسيس المنشآت المدنية العمرانية[2]، فتجاوب سعي المترجم مع جهود الوالي، وحظي عنده بالمكانة اللائقة.

بيد أنه لم يمض وقت طويل على هذا الوداد، والصفاء الذي كلّل بالمديح، إلاّ وقد تغير صفوه، واربدّ لونه، وتلبّدت سماء التقدير بين الوالي والمترجم بالغيوم التي اصطنعها بعض عمال هذا الوالي، حين سعى فيه في السنة نفسها، كما أشار إلى ذلك في تقييده في المجموع، وبالتحديد في أواخر جمادى الآخرة من سنة (سبع وسبعين ومائتين وألف)[3] (1860) شيخ البلد في ذلك الوقت على القرقني إلى الوالي محمود نديم باشا، ولم يحدثنا ابن مصطفى

---

(1) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب: 398.
(2) م.ن: 398، 399، ولاة طرابلس: 129.
ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني: 37.
(3) المجموع: ورقة 16، أ.

عن نوع هذه السعاية وأسبابها وظروفها التي حملت الوالي على إنفاذ هذه السعاية، ولكنه أخبرنا أنه أرسله بناء عليها إلى الجبل الغربي في فصل الشتاء القارص، حيث بقي فيه مدة ستة وثلاثين يوماً، ثم بعث إليه في المجيء[1] وقد سجّل لنا ابن مصطفى خواطره وارتساماته وأشجانه وما أحسّ به من الجور في قصيدتين ساقهما في تضاعيف المجموع، تحدث في الأولى منها عما كابده في تلك الظروف المناخية الصعبة من مقاساة ومكابدة خلال هذا الإبعاد القسري، وذكر العزلة الممضة التي عاناها، وما لقيه من أهل الجبل الذين تشاغلوا عنه، وعكفوا في بيوتهم على النيران والدفء لم يحفلوا بأمره، وهوالغريب المبعد؛ بيد أنه لم ينس أن يمتدح في تلك القصيدة المتصرف في الجبل الغربي آنذاك قاسماً المحمودي باشا وأخاه أحمد بيري؛ فقد أشاد بكرمهما، وتلطيف الأجواء الخانقة التي كانت تملأ أقطار نفسه.

وتحدث في القصيدة الأخرى حديث المناجاة والشكوى، توسل فيها إلى مولاه وخالقه جلّ وعلا، ورفع فيها شكواه من شيخ البلد علي القرقني؛ وتتضح أبيات هذه القصيدة بعلائم الألم الموجع، وبالإحساس بالظلم والجور من شيخ البلد، حيث أكّد فيها ما أشارت إليه بعض المراجع في شخصية هذا الشيخ المتّسمة ـ كما تذكر تلك المراجع ـ بالظلم والاعتداء والكياد.

فمن أبيات المناجاة التي بثّ فيها حزنه إلى ربه قوله[2]:

أيا من تعالى ومن قد سما	ومن هو قدير على كل شي
أغثني فإني ذليل حقير	أغثني أجرني فأنت القوي
أجرني فما لي ملاذ سواك	أغثني فأنت العزيز الغني
إلهي فإني حزين كئيب	أجرني فأنت قوي وحي

(1) م.ن. ورقة 16، أ.

(2) المجموع: ورقة 16، أ.

أجــرنــي أجــرنــي أيــا ســيــدي فـإنـي غـريـق وفـي الـقـلـب كـي

ومنها قوله مسترحماً:

إذا لـم تـكـن لـي فـيـا خـيـبـتـي فـمـن لـي سـواك لـه ألـتـجـي
إذا لـم تـجـرنـي يـا حـسـرتـي فـأدرك عـبـيـداً طـريـحـاً بـفـي
فـقـد زاد كـربـي وهـمـي نـمـا وقـد ضـاق حـالـي فـفـرج عـلـي
فــأنــت إلــهــي وأنــت الــذي يـجـيـر الـضـعـيـف بـلـطـف خـفـي
تـوسـلـت يـا ربّ بـالـمـصـطـفـى وآي عــظــام وكــل نــبــي
وآل وصــحــب كــرام هــداة ومـن جـاء مـن بـعـدهـم يـقـتـدي

وأنت تلحظ أن هذه الأبيات على الرغم من تقريراتها وأسلوبها الذي يكاد يكون أسلوباً مباشراً، تطفح بالصدق، كما أنها تنقل بأمانة الجوّ النفسي المتوتر الذي كان يعيش فيه في الجبل الغربي من جراء تلك الوشاية التي ظلم بها، وجرّت عليه هذا الضيق والتبرم، الذي جعله يدعو على ظالمه دعاءً قاسياً مرًّا، صوّر من خلاله ذلك الحيف الذي حاق به منه[1]:

فكن لـي نـصـيـراً عـلـى مـن ظـلـم فــأنــت ولــيــي ونــعــم الــولــي
ومــزقــه تــمــزيــق كــل ظــلــوم وخـذه عـلـى الـفـور أنـت الـعـلـي

ثم استغاث على عدوه ببعض السور القرآنية طه ويس وحم، وببعض الأولياء والأقطاب ومشائخ الطرق وبأهل التقى جملة، وعاد بعد ذلك إلى الدعاء على ظالمه من غير اقتصاد مما أصابه من قهره[2]:

فـعـجِّـل إلـهـي بـقـهـر الـذي أذانـي وأبـقـى دمـوعـي تـجـي
فــيــا ربّ لا تــبــقــه إنــه ظـلـوم غـشـوم عـنـيـد شـقـي

(1) المجموع: ورقة 16، أ.
(2) م.ن: ورقة 16، أ.

وخذه سريعاً فقد ضرّني وعجّل بإهلاكه سيدي

ثم تمضي القصيدة في خواتيمها لتصور هذا الجو المأساوي الذي كان يحياه الشيخ محمد كامل من ذلك الإبعاد الذي أرمض روحه، ولتصور أيضاً شخصية شيخ البلد الذي ألمعت بعض المراجع التاريخية إلى هذه الخلال فيه، ولم يكتف مترجمنا بذلك التصوير فحسب، بل نجد له تعليقاً نثرياً يكتبه إلى جانب هذا النظم، يودع فيه بعض مشاعره نحو هذا الشيخ، وتشفيه مما أصابه من تغريب بعد ذلك، قال «وذلك الساعي هو علي القرقني، وقد استجاب الله دعائي وأهلكه منفياً باستنبول سنة 91 في ذي القعدة بعد أن أخذ لي منه ثأري، والحمد لله ربّ العالمين»[1].

ربما كانت هذه الصدمة من أشدّ الصدمات التي جابهت الشيخ بعد عودته إلى طرابلس الغرب من مصر، بل ربما كانت من أعنف الفواجع والمعضلات التي مرّ بها في حياته التي واكبت في جملتها عهداً من عهود الدولة العثمانية كثر فيه التجسّس والتلصّص، كما كثرت فيه نتيجة لذلك صور الإبعاد والنفي والإعداد، ومن رحمه الله به أن مدة الإبعاد في الجبل الغربي لم تطل كثيراً كما ألمحنا، فقد عاد إلى طرابلس بعد أن بعث إليه الوالي محمود نديم باشا بالمجيء، فوصلها في الثامن والعشرين من رجب سنة (1277/ 1860)، وقد دلّت بعض الإشارات في المجموع إلى انتظامه من جديد في الحياة العامة، وفي الحياة الوظيفية، ممتعاً بالحرية والانطلاق، فقد تولّى قبل سنة (1279/ 1862) وإلى سنة (1288/ 1871) الإمامة في جامع شائب العين، وجامع مصطفى قرجي المعدودين من أكبر جوامع مدينة طرابلس الغرب. ويظهر أن أجواءً من التقارب والتقدير عادت ـ بعد تلك الحادثة ـ بين الوالي والشيخ ابن مصطفى حينما تبين لهذا الوالي ما تميّز به الشيخ من علم وفضل وإخلاص، وما تحلّى به من التعلق بالرابطة العثمانية في الوجهة السياسية

(1) المجموع: ورقة 16، أ.

فأفسح له مجال الحركة والعمل، وأعطى له الثّقة والأمان فبادله الشيخ محمد كامل تقديراً بتقدير وارتياحاً بارتياح، يدلنا على ذلك قصيدتان، نظم الأولى سنة (1278/ 1861) وفيها يشكر أيادي هذا الوالي الذي (صنع معه معروفاً) كما ذكر ومن أبياتها قوله[1]:

إني فرحت بصنعكم يا سيدي ... فظللت ألهج بالثناء وأشكر
لا زلت أذكر صنعكم طول المدى ... فلقد صنعت معي جميلاً يذكر
أنت الكريم ابن الكريم وذو الوفا ... أنت الحليم فحلمكم لا ينكر
أعطيت من عبد العزيز مهابة ... فإذا أتاك عظيم قوم يصغر

وعلى الرغم من أن الناظم لم يذكر في أبياته نوع هذا المعروف الذي خصّ به من الوالي؛ فإن الغالب على الظن أنه عنى به إطلاق سراحه من الإبعاد في الجبل الغربي، وإعطاءه حريته التي كادت أن تسلب منه.

كما تدلنا على هذا التقارب والتقدير قصيدة أخرى نظمها سنة 1279/ 1862) نظمها ابن مصطفى بمناسبة عودة محمود نديم باشا من بني غازي، وهي التي جمع فيها بين غرضين: التهنئة بالرجوع والسلامة، والمؤاساة لوفاة ابنته التي ماتت في مدة غيابه، وقد أكّد محمد كامل في فاتحتها على ظهور هذه الصفحة الجديدة الناصعة المحببة، التي وليت صفحة شوهاء كاد يملأها الوشاة والسعاة بالقتام والإظلام يقول فيها[2]:

زال السّقام فبانت الأشباح ... وأتت إلى أجسادها الأرواح
والحزن سار فما له من عودة ... وأتى السرور وجاءت الأفراح
من قبل كنا في ظلام حالك ... والآن زال وقد بدا الاصباح
طلعت علينا الشمس بعد مغيبها ... والشمس فيها للأنام صلاح

(1) المجموع: ورقة 9، أ.
(2) المجموع: ورقة 14، ب.

ثم مضى يعدّد ـ إظهاراً لودّه وإكباره لهذا الوالي، ولبيان فرحه وسعادته بصنيعه في المعروف ـ نعوت الوالي وأوصافه، فصوّره تارة بالوزير، وتارة بالأمير، وتارة أخرى بالملك، دون أن يتنبه ـ في إطار هذه المغالاة والنشوة الغالبة ـ إلى ما يوجد بين تلك النعوت المختلفة من تفاوت ومن فروق[1]:

هـذا الأمـيـر وهـذه نـفـحـاتـه   جـاءت تـبـشـرنـا بـهـا الأريـاح
هـذا نـديـم جـاء بـعـد غـيـابـه   هـذا الـذي بـقـدومـه نـرتـاح
هـذا الـوزيـر ابـن الـوزيـر وزيـرنـا   هـذا لأبـواب الـنـدى مـفـتـاح
هذا الـذي يـدعـى بـمـحـمـود لـكـي   تـتـلـى الـمـحـامـد فـيـه والأمـداح
مـلـك مـهـاب لـلأمـور مـدبـر   سـاس الـرعـيـة دَأبـه الإصـلاح
لـيـث الـوغـى كـل الـمـلـوك تـهـابـه   وتـجـلّـه فـالـرعـب مـنـه سـلاح

ولم ينس الإشارة بعد هذا الثناء الذي دلنا به على شخصية هذا الوالي القوي إلى السلطان عبد العزيز في استنبول؛ فقد ألمح إلى أن هذا العلا الذي اتصف به واليه إنما هو مروي عنه:

يروى الـعـلا والـعزّ عـن سـلـطـانـنـا   عـبـد الـعـزيـز أعـزّه الـفـتـاح

ثم خلصت هذه القصيدة الاسترضائية إلى مؤاساة محمود نديم باشا وتعزيته بوفاة ابنته، وتسليته عن مصابه[2]:

لا تـأسـفـن عـلـى مـمـاة بـنـيّـة   مـا فـي الـتـأسـف لـلـرجـال فـلاح
إن الـنـفـوس جـمـيـعـهـا مـولـودة   لـلـمـوت مـا لـلـنـاس عـنـه بـراح
ذاك الـسـبـيـل لـمـن هـو حـادث   ذاك الـمـصـيـر فـلا يـفـيـد نـواح
فـتـعـزَّ واصـبـر عـنـد كـل مـلـمـة   فـالـصـبـر عـنـد الـنـائـبـات نـجـاح

(1) المجموع: ورقة 14، ب.
(2) المجموع: ورقة 14، ب.

ثم ختم قصيدته مؤرخاً لمناسبتها المأخوذة من مجموع حروف عجز البيت الأخير وهي سنة (1279/ 1862):

إن ابن محمود يقول مؤرخاً   هذا وزير طال منه رواح

وقد أظهر الشيخ ابن مصطفى في أثناء حكم هذا الوالي فرحه عندما سميت طرابلس الغرب ولاية فأثنى على هذا الحدث وعلى السلطان عبد العزيز ومحمود نديم الذي تمّ في عهده هذا الإنجاز، عبّر عن ذلك في هذه الأبيات التقريرية التي قدم لها بقوله «لما سميت طرابلس الغرب باسم الولاية بدل اسم الأيالة ووضعت فيها الكازيطة[1] الموسومة بالفوائد الغريبة وحيل تحريرها للأجل الأديب الشيخ أحمد ساسي بن شتوان في عهد نديم باشا ـ أيده الله تعالى ـ قلت مؤرخاً لوضعها[2]:

طرابلس تحلّت بالولاية   وتحرير الفوائد والدراية
وخصّت بالسياسة من نديم   ومن عبد العزيز لها العناية
وقد جاء الزمان لها بساسي   أديباً ماهراً في الفضل غاية
يحرِّر ما بدا فيها ويروي   وقائعها لتحصيل الهداية
روايته بحسن السبك شمس   بآفاق الصدور لها سراية
وإذ بزغت فقال السعد أرخ   بساسي قد بدا قرص الرواية

كذلك انتهج هذا النهج من المدارة وتحسين العلاقة والسير ضمن التيار العثماني، ووجهة التنظيمات مع الوالي المصلح علي رضا باشا الجزائري الذي دامت مرحلة حكمه من سنة (1867) إلى سنة (1287/ 1870) فقد أعرب عن معاني الولاء والارتباط بهذا الوالي منذ قدومه فيما أودعه في قصيدته التي نظمها في الثامن والعشرين من أنور الربيعين من سنة (1284/ 1867) بمناسبة

(1) لفظة غير عربية معناها الجريدة.
(2) المجموع: ورقة 19، ب.

مجيئه الذي أرخه هو الآخر بعجز آخر أبياتها، ومما جاء من أبياتها الهمزية المادحة[1]:

طرابلس علت بعلا على   رضا باشا فحقّ لها الهناء
رأت إذ حلّها ملكاً جليلاً   رفيع القدر شيمته الوفاء
به فازت وفاقت ما عداها   من الأوطان فهي به سماء
تباشرت الأهالي مذ أتتهم   بشائره فقابله الدعاء
فبشَّر بعضهم بعضاً وقالوا   به طرباً فهم فيه سواء
فمن عبد العزيز لنا افتخار   ومن عبد العزيز له اعتلاء

والمحمود في هذه الأبيات المندرجة في شعر المناسبات أو النظم الوثائقي أنها نقلت لنا مظهرين مهمين:

أ ـ مظهر تفاعل العالم المصلح مع هذا الوالي المصلح من بداية حلوله بالولاية، وارتباطه الشعوري به.

ب ـ مظهر الأخلاق الكريمة التي تحلّى بها هذا الوالي، والأصول الطيبة التي ينتمي إليها فكانت التفسير الموضوعي لإصلاحه الذي عرف به في ترقية الولاية.

فقد امتدح مترجمنا علي رضا باشا بالكرم، وامتدح أسلافه بالسخاء، وبمعرفة علوم الشريعة فضلاً عن النسب الصريح، حيث قال[2]:

وكيف وقد حوى نسباً   شهيراً لا يلابسه خفاء
كريم من كريم من كريم   فمن آبائه نشأ السخاء
لهم علم الشريعة تاج عزّ   فنعم التاج ساد به رخاء

---

(1) المجموع: ورقة 21، ب.
(2) المجموع: ورقة 21، ب.

فنال رضا من السلطان حتى كساه وزارة نعم الكساء
وأولاه طرابلس فعادت تفاخر غربها ولها ارتقاء

وقد كان هذا الوالي على ما أمله منه الشيخ من الغيرة والإصلاح والعطاء لهذه الولاية المتخلفة، والرقي بها في العديد من المجالات، فقد وسع نطاق التجارة والصناعة والزراعة كما ذكر أحمد النائب[1] كما كانت له الأعمال المحمودة في إصلاح بعض الطرق ومدّ خطوط التلغراف، وإجراء المياه إلى المدينة، وإنجاز بعض مظاهر العمران المدني، مما أثلج صدور سكان هذه المدينة ومصلحيها، وأحزن قلوب قناصل الدول الأجنبية المستعمرة، الأمر الذي أدّى بهم ـ كما يقول ـ جوزيف كاكيا إلى حمل الدوائر الدبلوماسية في استنبول إلى المطالبة بإقصائه عن ولاية طرابلس الغرب، ضرورة أن ما كان يقوم به من الإصلاح يتعارض مباشرة مع أهدافهم في السيطرة على هذه الولاية[2]، وقد أفلحت مساعيهم في ذلك فأقصى في سبتمبر سنة (1287/ 1870)[3].

هذا ومن المؤسف أنه لم تصلنا أخبار مفصلة عن دور مترجمنا في هذا الطور الإصلاحي الذي برَّز به على رضا باشا الجزائري في ولايته الأولى التي امتدت من سنة (1284/ 1867) إلى سنة (1287/ 1870) كما لم تصلنا أيضاً تفاعلاته مع هذا الوالي المصلح في ولايته الثانية بهذه الولاية والتي امتدت مدة سنتين (1872 ـ 1874).

والغالب على الظن ـ بناء على ما ورد في قصيدته من استبشاره بمقدمه، وإعجابه بأصوله وخلاله النفسية التي عرف بها ـ وأيضاً على ما اشتهر به مترجمنا من حبّ بلاده وحبّ المصلحين من الولاة الذين عملوا على الارتقاء بها، أنه

---

(1) المنهل العذب: 398 ـ 399، ولاة طرابلس: 129.
(2) ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني: 35، 36.
(3) م.ن.

لعب أدواراً غير قليلة في مساندة هذا الوالي والوقوف إلى جانبه في مساعيه الإصلاحية، والقيام بما نصب له نفسه من التعليم وغيره.

ومن أخباره بعد تصرم عهد الولاية الأولى لعلي رضا باشا أنه قام برحلته الثانية إلى تونس سنة (1288/ 1871) وهي الرحلة التي التقى فيها بأبرز رجال تونس وعلمائها، وأشار إلى أنه قام بها من طرف الحكومة، ولكنه لم يوضح طبيعتها أو مهامه فيها، وقد تزامنت هذه الرحلة الرسمية مع أواخر عهد الوالي محمد حالت باشا وبداية عهد الوالي محمد رشيد باشا في طرابلس.

كما وصلنا من أخباره الخاصة فيما ورد في المجموع خبر وفاة والده الشيخ مصطفى بن محمود في الثالث والعشرين من جمادى الأولى (1291/ 1874) ومما ذكره متصلاً بهذه الحادثة أنه «مرض ثلاثة أيام وفي الرابع انتقل إلى دار البقاء ضحوية يوم الأربعاء، ومن حيث أخذه المرض لم يسمع منه شيء حتى قضى، رحمه الله تعالى ورحم سائر المسلمين»[1].

وقد قام بعد هذه الحادثة بأربع سنوات تقريباً من سنة (1295/ 1878) خلال عهدي الواليين مصطفى باشا وعلي كمالي باشا برحلته الشهيرة إلى الشرق متوجهاً إلى الحرمين الشريفين للحج عبر مصر التي مرّ بها في الذهاب والعودة، وهي الرحلة العلمية التعبدية التي التقى خلالها بأشياخه في الأزهر وبشيوخ آخرين في مصر والحجاز على نحو ما سيأتي فيه القول مفصلاً فيما بعد.

ثم لم يمر على عودته من الشرق أكثر من ثلاث سنوات باشر خلالها أعماله وأعباءه في بلاده في التعليم والقضاء والفتيا حتى عنّ له القيام في عهد الوالي محمد نظيف باشا برحلته العلمية الأخيرة النافعة إلى البلاد التونسية، وهي التي اجتمع فيها بالجلّة من شيوخ تونس ومشاهير رجالاتها في ذلك الوقت، وقد أدرك مترجمنا بعد أولئك الولاية الذي تعاقبوا على حكم ولاية طرابلس الغرب عهد الواليين الشهيرين أحمد راسم باشا الذي تولّى إدارة الولاية في سنة (1300/

---

(1) المجموع: ورقة 30، ب.

1882) واستمر فيها مدة أربع عشرة سنة بل ويزيد[1]، وهو العهد الذي برزت فيه الكثير من القضايا والمسائل السياسية مثل القضية السراجية والقضية المهدية في السودان، واحتلال تونس واحتلال مصر على ما سنلم بشيء من تفاصيل ذلك. ثم عهد الوالي نامق باشا الذي تولّى إدارتها من سنة (1314/ 1896) إلى سنة (1316/ 1898)[2] والذي كان لقصر مدته متّسماً بالكثير من الاستقرار والعطاء، وسوف نعود إلى الحديث عن هذين العهدين، وما تولاه فيهما من مناصب ووظائف، وما قام به خلالهما من أعمال عند الحديث عن أخريات حياته.

بيد أن هذه الوجهة الإصلاحية لم تقتصر على ما كان من تفاعله الأكيد والجادّ مع الولاة المصلحين الذين قاموا بالتجديد والتحديث في عاصمة ليبيا طرابلس الغرب فحسب، وإنما تجاوزت ذلك المدى إلى مدى أبعد في استقبال بعض المتصرفين والقائمقامين الذين عينوا في أماكن حسّاسة متوترة في ذلك الوقت بسبب الطموحات الفرنسية التي احتلت تونس ومن قبلها الجزائر، وصارت تسعى جاهدة للاستيلاء على طرابلس الغرب وبخاصة الحدود المتاخمة لحدود تينك الدولتين المحتلتين، لقد كان تعيين هؤلاء العمال العسكريين يعني في ذلك الوقت تصدي الدولة العثمانية لأطماع الدولة الأوروبية المستعمرة، أو بعبارة أدقّ مقاومة الإسلام والمسلمين لزحوف النصارى والصليبيين في ذلك الصراع الناشب في القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

ومن هذا المنظور نجد مترجمنا انطلاقاً من وجهته الإصلاحية السياسية ينظم قصيدة تتكون من ثمانية عشر بيتاً في سنة (1279/ 1862) يستقبل بها على باشا المعين في استنبول لما جاء متوجهاً إلى المنطقة الحدودية غدامس في أواخر رجب من السنة المذكورة، قال الشيخ محمد كامل في التقدمة التي مهّد

---

(1) المنهل العذب، 2: 1 وما بعدها.
ولاة طرابلس: 141، ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي: 57.
(2) المنهل العذب: 2.
ولاة طرابلس: 142، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي: 142.

بها لهذه القصيدة «ولم يكن أتاها قبله باشا قط، وإنما أرسل إليها ليحميها من الكفار لكونها متطرفة وقريبة من العدو»[1]، واستطرد قائلاً في بيان نيّة ذلك العدو الفرنسي المبيتة «وكان قد أتاها مخادعاً لأهلها، فلما سمع بقدوم هذا الباشا ذهب منها»[2].

ومن أبياته التي تتجلى فيها هذه النزعة السياسية نحو مناصرة الرابطة العثمانية والجامعة الإسلامية قوله:

غدامس قد أمنت من الهلاك	لك البشرى ببعل قد أتاك
على ذو المعالي خير باشا	إمام المسلمين له اصطفاك
فطيبي وافخري وبه تباهي	فقد ظفرت يداك بمبتغاك
به افتخري وتيهي واستطيلي	من الأعداء بعلك قد حماك
فمذ سمع العدو به تلاشى	وفرَّ وكان يرجو أن يطاك

بيد أن المأخذ الذي يؤخذ على أسلوبه في هذه القصيدة مغالاته الشديدة، ومبالغته الزائدة في مدح الممدوح على حساب غيره من الناس.

كما نظم منظومة أخرى أكثر طولاً في تهنئة قائمقام الجبل الغربي السيد علي باشا في سنة (1281/ 1864) بعد انفصاله عن غدامس، عبّر فيها هي الأخرى عن فضائل هذا الرجل الذي اعتمدت عليه دار الخلافة في مناجزة العدو الصليبي الشّرس.

والخلاصة أنه قد تعاون بأريحيته ومرونته وحكمته وبُعد نظره مع عمال الدولة العثمانية المخلصين والمصلحين، وكان له تأثير على بعضهم ـ كما تقدم ـ وقد مرَّ بنا أيضاً أن بعد الولاة كان يوقره ويستحي منه، ويقوم بتنفيذ ما يشير به إليه اعتباراً لمنصبه من جهة، وتوقيراً لشخصيته الصادقة والنزيهة من جهة أخرى.

---

(1) المجموع: ورقة 15، أ.
(2) م.ن: ورقة 15، أ.

على أنه كان يعمد ـ إذا لم تفد أساليبه الأخوية الدمثة المتلطفة مع بعض الولاة القساة ـ إلى الازورار عنهم، أو إلى تحرير الشكاوى إلى استنبول يرفعها مع الأعيان لبيان حاجة الولاية وأهلها، وإظهار وكشف المظالم، وتقصير المقصرين من ولاة الأمر، وقد أشار الأستاذ عبد السلام سنان إلى أن الشيخ محمد كامل قد قدّم «بحثاً سياسياً كبيراً عن خيانة العثمانيين إلى مجلس المبعوثين (المبعوثان) التركي بالاشتراك مع بعض السياسيين الليبيين»[1].

وبإجمال فإنه كان يميل في إصلاحه إلى المصارحة والتجافي عما يزيد الخلافة والدولة العثمانية وولاياتها تمزيقاً وفرقة وتخلفاً، أو يعين العدو الصليبي الحاقد سواء أكان إيطالياً أو فرنسياً، على اهتبال الفرصة بالغزو، فكان يستحثّ الراعي والرعية على وجوب التنبه لما يحدق بالدولة العثمانية والأمة الإسلامية من أخطار، ويدعوهم إلى التعاون الذي يوجب ترك الأنانية والمصالح الذاتية الرخيصة.

وفي تقديرنا أن هذا التصور الإصلاحي السياسي في تفكير مترجمنا، والذي انعكس دون شك على كثير من تلاميذه، وعلى البيئة التي عاش وأثر فيها، قد يكون وليد خبرة عميقة اكتسبها أو نتاج ظروف أملتها مناصبه الرسمية والحكومية، ولكنه بالتحقيق ليس إفراز خوف أو جبن أو ضعف أو ممالأة وتملق لغرور الحكام والولاة.

ب ـ في مجال التدريس والتوجيه:

لقد اختار مترجمنا منذ البداية ـ تحت وطأة تلك الظروف العامة والخاصة ـ الجانب الإصلاحي من خلال خطة التدريس والتوجيه، أو إصلاح التعليم، وتوسيع دائرة طلاب العلم والثقافة ضرورة أنه لا تقدم ولا حضارة إلا بإيجاد هذه الطبقة، وبنشر المعرفة في الربوع؛ قال ـ رحمه الله ـ «وفي أوائل سنة سبعين من

---

(1) جريدة العلم ـ ليبيا بتاريخ 5/ 1968.

القرن المذكور [يعني القرن الثالث عشر] رجعت بحمد الله تعالى إلى وطني المذكور؛ فوجدت جدي وعمي قد ماتا ـ رحمهما الله تعالى ـ ووجدت والدي حيّاً، فاشتغلت بالتدريس، ونشر العلوم والإفتاء على المذهب الحنفي»[1].

واختار في وجهته الإصلاحية التعليمية سبيل التبصر والاعتدال، والعمل تحت شعار الرابطة العثمانية باعتباره الشعار الذي عمل تحته معظم المصلحين المسلمين؛ ولأنه الضمان الوحيد لنجاح الإصلاح التربوي، وترقية المعارف في هذه البلاد القلقة بفعل ظروفها المتوترة غير المستقرة؛ ولضمان تكوين العلماء وطلاب العلم والمثقفين الذين كان يتعشم فيهم أن يحملوا رسالة العلم التي حملها.

نحب قبل أن ننطلق في إظهار تأثير مترجمنا في الحياة الفكرية والتعليمية في ليبيا أن نلفت النظر إلى ما كان يلابس هذه البلاد في ذلك التارخ من فشو الأمية، وقلّة المتعلمين، وندرة النخبة الموجهة، الأمر الذي أفسح المجال واسعاً أمام الجهال للهيمنة على الساحة، والسيطرة على توجيه الحياة فيها فحورب أهل العلم وضويقوا، بل شنّت عليهم الحروب الشعواء التي آذت أرواحهم، وقهرت مشروعاتهم الإصلاحية، وكبتت أصواتهم المنادية بالإصلاح والنهوض. ويبدو أن محمد كامل قد جابه غبّ عودته إلى طرابلس التي سميت في بعض سني تاريخها الطويل «مقبرة العلم» ضروباً من التضييق والمحاربة، التي لقيها قبله من أراد الإصلاح فيها، واختار طريق العلم والمعرفة منهجاً، ومن الطريف حقاً أن محمد كامل قد سلم نتيجة تلك المعاناة المضنية بتلك التسمية القاسية، وقال بما قال بعض الفضلاء من احتضان هذه البلاد للجهلاء واحتوائها وتنكرها للعلماء والمصلحين، وصوّر ذلك جميعه في أبيات شعرية من نظمه، دلنا من خلال كلماتها الموحية على البيئة التي اتخذها قاعدة لإصلاحه، والظروف الشديدة التي تحرك فيها حيث قال[2]:

---

(1) الفتاوى الكاملية: 3.

(2) المجموع: ورقة 11، ب.

قالوا طرابلس للعلم مقبرة والجهل فيها له سوق وقيعان
أقول قد صدقوا في قولهم ولهم عليه من صنعة الميزان برهان
لو لم تكن لشريف العلم مقبرة لكان فيها لأهل العلم سلطان
لكنهم دفنوا فيها بعلمهم والجاهلون لهم عزّ وطغيان
فيها رؤوس من الجهّال ليتهم قد قطعوا بسيوف الله إذ خانوا
يقضون بالجهل بين الناس يا أسفاً على الشريعة فيها ما لها شان
إذا تكلّم فيهم عالم أنفوا ونالـه منهم ظلم وعدوان
الله أكبر أهل العلم قد ظلموا وحوربوا وهم للدين فرسان

وفي الحق فإن هذه الأبيات تصوّر واقع هذه البلاد تصويراً دقيقاً وصحيحاً في القديم والحديث، وما آفتها خلال تاريخها الطويل الذي ارتكست فيه، إلا هذا الجحود القاتل لأهل العلم؛ ونتساءل هنا هل اكتفى هذا المصلح بسبب الظلام أو أنه مضى بالرغم من هذه الآفة في إيقاد ما يقدر عليه من الشموع في ذلك الوسط؟

لا مشاحة في أنه آثر إيقاد ما يقدر عليه من الشموع، وفضل العمل والعطاء، وقد مرّ بنا أنه توصل إلى الكثير من مراميه الإصلاحية بفضل حماسته وصبره ونظرته الواقعية، منطقه العملي، وأيضاً بأثر من سلوكه الحميد الواضح، وبالوشائج الصريحة التي عقدها بحسن تأتيه مع بعض الولاة الذين سعوا بقدر الطاقة إلى تحقيق وجوه من الإصلاح والتحديث من أمثال محمد أمين باشا، وأحمد عزت باشا، ومحمود نديم باشا، وعلي رضا الجزائري وأحمد راسم باشا، ونامق باشا وغيرهم.

لقد تركز إصلاحه ـ كما سيتبين ـ في مدينة طرابلس الغرب العاصمة، ومما أخبرنا به بعض الباحثين متصلاً بذكرى عودته إلى بلاده، والمدينة التي خصّها بطرائق إصلاحه، أن نيته ورغبته كانت متجهة في البداية إلى معاهده

وتوجيه إصلاحه إلى الأرياف البعيدة، وفي القرى المجاورة والمصاقبة لطرابلس، والتي كانت تتخبط عهدئذٍ في ظلمات من الجهل والتأخر، بل ربما كانت هذه النية منعقدة على وجه التحديد على العودة إلى مسقط رأسه الزاوية الغربية حيث كان يقيم والده والبقية الباقية من أفراد أسرته ومن أصدقائه وأودائه، ولكن الشيخ مصطفى باكير[1] الذي كان يشغل في ذلك الوقت منصب المفتي «أصرَّ على بقائه في مدينة طرابلس حتى يخرج على يديه تلامذة نجباء في علوم الشريعة السمحاء، وقد أكرمه، وفتح له بيته، ومكتبته العامرة بنفائس المراجع والمصادر»[2].

ولا جدال في أن حرص الشيخ المفتي مصطفى باكير على بقاء الشيخ محمد كامل في المدينة نفسها كان وليد إعجابه بمعارفه الغزيرة، ومن إيقانه من أخذ هذا الفتى القادم العلم بقوة، ومن الحق أن الشيخ مصطفى باكير ـ الذي لم تخنه فراسته في هذا النظر ـ قد أحسن الصنع باستبقائه له في مدينة طرابلس التي ظهرت فيها مواهبه ومطامحه، والتي عرفت للشيخ ـ الذي شكا من أجوائها في بعض المراحل ـ منزلته وقدرة مكانته وفضله، وألقت إليه حفية به بأبنائها وفلذات أكبادها، يرشدهم ويصقل عقولهم، ويبعث من تحصيلهم حياة، ومن يدري فلعل هذه الزهرة الفوّاحة إذا كتب لها الرحيل عن هذا الأفق، وخرجت في ذلك الزمن من ذلك المناخ الذي اختاره لها المفتي إلى مناخ بعيد عنه، لمسها الذبول وفقدت النضارة والنفح، أو صوحت في بيئات ميتة مميتة، دون أن تترك في الفضاء أريجاً عبقاً، أو في الأرض نبتاً ورواء.

لقد وجد محمد كامل القادم من القاهرة في المدينة البيضاء طرابلس الغرب، وفي دورها الرائقة المطلة على لازوردية البحر، وفي مساجدها وجوامعها الموزعة على صفحة أديمها الجميل توقه ومراحه؛ ففي ربوعها الفيح

(1) نفحات النسرين والريحان: 191.
(2) لمحات أدبية عن ليبيا: 107، 108.

عظم وأجلّ علمه، وأكبرت مكانته، وأفسح له ليحل من بنيها محلّ الصدارة، وتسامع الناس بما انطوى عليه صدره من علم فتوافدت عليه الطلاب زرافات ووحداناً من كل صوب، يلتمسون فقهه، ويستمعون دروسه، ويستبقون مما شهد له به أشياخه من إجازات، فكان في هذا الإقبال المنقطع النظير مدد لحماسة، وعون له على بذل قصارى جهده في إحياء ما درس.

لقد كان الشغل الشاغل له منذ أن نزل في سوح هذه البلاد بثّ العلوم، وتكوين رجال يأخذون عنه ما أخذه بقوة، وأن يفرغ الوسع في تنشيط الفكر، وترسيخ المعرفة بالدين وربّ العالمين، وقد اختار هذا الطريق غير السهل ليبعج بطن الجهالة التي كانت مخيمة على أهله، فكبرت همته في العطاء، وعظمت عزيمته في الإقراء، واتسعت مجالسه وتنوعت فكانت موزعة بين مآدب علمية للجفلى ومآدب فكرية تحقيقية للنقرى.

أما المجالس الأولى، فهي المجالس والحلقات الوعظية والتوجيهية التي كان يجلس فيها للناس على مختلف مستوياتهم وطبقاتهم وأجناسهم في جوامع المدينة مثل جامع شائب العين وجامع مصطفى قرجي وجامع أحمد باشا[1] يختلف عليه فيها العامة والخاصة للاستفادة من الموعظة والإرشاد، ولمعرفة ما لا بد منه من الضروري من علوم الدين وأحكامه، والتأثر بالرقائق والتوجيهات، والاستفتاء في مسائل ونوازل، والتعرف على حكم الدين فيها؛ فهي إذن مجالس تضم أشتاتاً ومتفرقات، وأخلاطاً من طلبة العلم والعامة كان يختار لها الشيخ مواقيت مختلفة من الجمع والمناسبات الدينية المتعددة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب منا ينتقر

ومن المعروف أن مدينة طرابلس الغرب كانت في ذلك الزمن ـ شأنها شأن البلاد الإسلامية أيامئذ ـ شديدة العناية بالمناسبات والأعياد الدينية، حريصة

(1) راجع المجموع، وعلي الفقيه حسن «أعيان ليبيا الأستاذ محمد كامل بن مصطفى» علي مصطفى المصراتي «أعلام من طرابلس» والطاهر أحمد الزاوي «أعلام ليبيا».

أشد الحرص على الاحتفاء بالأمجاد الإسلامية، تظهر مع كل ذكرى من الذكريات العظيمة فرحها الغامر، وولاءها المقيم؛ فارتبطت جهود هذا الداعية المصلح بتلك المواسم والأحداث ـ بعد عودته ـ يتصدر فيها للتدليس والإرشاد ليعرّف بمعانيها ومراميها، ويجلس للتوجيه ليبيّن للناس مغزى الابتهاج بحلولها، ولا سيما بذكرى المولد النبوي الشريف المعدود من البدع المستحسنة والذي كانت تظهر فيه البلاد الطرابلسية والمفاتي والعلماء والأهالي بعامة مزيد التعلق بالرسول العظيم فيما تشيعه صادقة من مظاهر الفرح بتلاوة السيرة الزاكية، والاستئناس بالحديث عن الشمائل الطاهرة السامية. وكان محمد كامل يهتبل في هذه المناسبة وفي كل مناسبة الفرص ليحث مَنْ يغشون داره ومجالسه في الجوامع على الاقتداء والاهتداء بسنة هذا الرسول العظيم، ووجوب مراعاة حقه، والتخلص مما أمر بالانتهاء عنه، وقد مرّ بنا أنه ختم كتاب الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض السبتي ـ والذي أجيز فيه من بعض أشياخه ـ مرات كثيرة، أوفى فيها على الغاية في بيان عظيم قدر رسولنا الأنور وشمائله المشرفة.

وقد قرأت في جريدة الترقي ـ التي كانت تصدر في أخريات حياته، وفي إبان توليه لمنصب الإفتاء في ولاية طرابلس الغرب ـ خبراً قصيراً يقف بنا على مكانة هذه المناسبة في نفس هذا العالم المصلح، وفي نفوس أهل طرابلس الغرب في ذلك الزمان، أنقله بنصه لما له من المعاني والدلالات المتعددة، حيث يطلعنا على اتباع مترجمنا لمن تقدمه من المفتين في مشاركة الناس في الاحتفاء بهذه البدعة المستحسنة ذكرى المولد الشريف، كما يدلنا من جهة أخرى على ما كانت عليه هذه المدينة في سالف أيامها ـ من الناحية الدينية والاجتماعية في توقير الدين وأهل العلم؛ فقد ذكرت جريدة الترقي تحت عنوان «تلاوة المولد النبوي الشريف» أنه «ليلة أمس كانت آخر جمعة من شهر المولد النبوي [30 ربيع الأول 1315] وعلى حسب العادة ـ التي مضى له فوق الأربعين سنة، في مثل هذه الليلة المباركة، احتفل فيها في بيت محيي العلوم في هذه الولاية [طرابلس الغرب] حضرة الشيخ المفتي ذي الفضيلة محمد كامل أفندي،

وتلي المولد الشريف النبوي بغاية التعظيم، وكمال الوقار، ثم صار ختام الحفلة بالأدعية الخيرية لصاحب المقام الأسنى، والخلافة العظمى، ثم دارت المرطبات، وخرج الجميع داعين بطول العمر لحضرة الشيخ المومى إليه، أبقاه الله للعلم آمين»[1].

وقد سقنا هذه الكلمة لبيان ما كان ينهض به مترجمنا في ذكرى المولد، التي كانت مناسبة من المناسبات الدينية الدائرة على مدار السنة، وكيف كان يحتفل بها في بيته وفي الجوامع الموكولة إليه، والتي أفاد فيها الناس بمواعظه ورقائقه وتوجيهاته، وقد شهد الرحالة محمد عثمان الحشائشي مجلساً عاماً من هاتيك المجالس في جامع قرجي فأعجب بمعارف الشيخ وتوجيهه، وحسن تأثيره في سامعيه، ونقل لنا مشهد ذلك المجلس، ومَنْ كان يؤمه، وصورة الإقبال على الشيخ، كما أشار إلى طريقته في الجلوس والتدريس، والزمن الذي يستغرقه هذا العالم في الدرس حيث قال «وفي أحد أركان الجامع من الجهة القبلية وجدت العالم الفاضل النحرير المنعم الشيخ محمد بن مصطفى باشا، مفتي السادة الحنفية، يقرئ الحديث الشريف متن الشفا للقاضي عياض، وعليه حلقة عظيمة من أعيان البلاد وغيرهم، وهو على اسطبل من اللوح عال على الأرض بمقدار يسير، تراه أعلى من جميع من دار به من السامعين، وهاته عادة جلوس المدرِّسين عندهم، إلا أن الكراسة لا تنقطع من يده، وهو أول مشهور بالعلم هناك، إلى أن تمّ درسه قبيل المغرب بساعة»[2].

وتبين النعوت الكثيرة التي وصف بها الرحالة التونسي الشيخ محمد كامل ابن مصطفى القيمة العلمية التي كان عليها في دروسه العامة. أما المجالس الأخرى، وهي مجالس النقري ممن توفرت فيهم شرائط التحصيل للعلوم والفنون فتتمثل في الدروس التي كان يفيض فيها علمه، ويفقه خلالها عقله بتدقيق وتحقيق وتنقيح للمسائل، وسبر لأغوار آراء العلماء ومذاهبهم في مسائل

(1) جريدة الترقي، العدد 10 سنة 1315.
(2) رحلة الحشائشي إلى ليبيا: 67، 68.

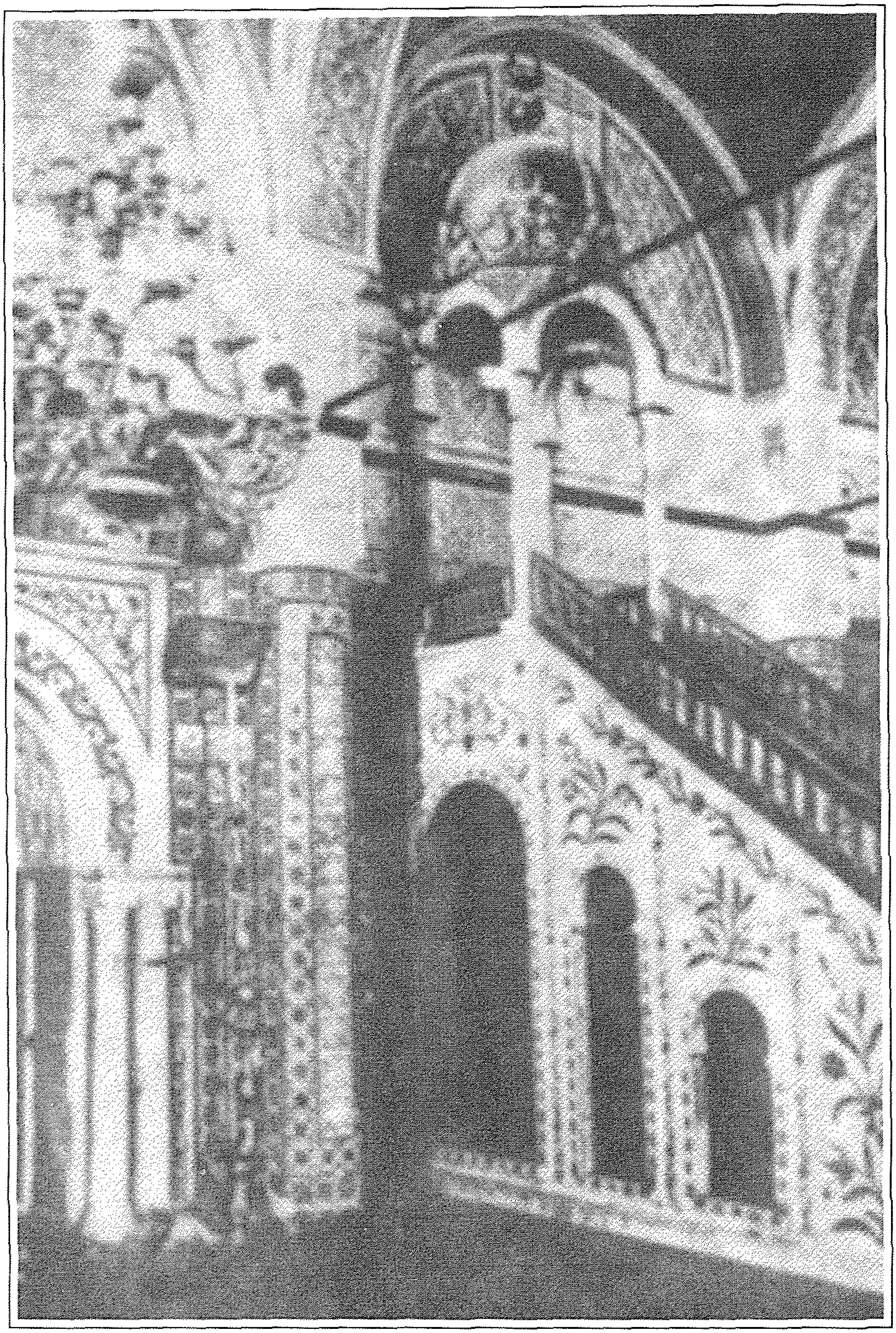

صورة من الداخل لجامع قرجي الذي كان الشيخ محمد كامل يدرّس فيه،
حيث شهده الرحّالة محمد عثمان الحشائشي

علوم الآلة وعلوم المقاصد، وفي الكتب التي أتقنها وحذقها في الأزهر، وغالباً ما كان يعقد هذه المجالس الخاصة في مدرسة عثمان باشا ومدرسة أحمد باشا، وفي غيرهما من الجوامع والأماكن التي كان يختلف إليها تلاميذه ومريدوه من كل مكان في المدينة، ومن القرى والأرياف البعيدة، فتجد فيها طلاباً من طرابلس ومن مسلاته والخمس والزاوية وغريان وغدامس والجبل وهون مما جعلها كالعقد النفيس ازدان سمطه بالجواهر، وواسطته هذا العلامة المصلح الذي كان يتألق بينها بعلومه وفهومه.

لقد درَّس في هاتيك المجالس الخاصة كما يستفاد من الإجازة العلمية التي أجاز بها أحد تلاميذه الكبار الشيخ إبراهيم مصطفى باكير[1] كتباً متنوعة، وتصانيف مختلفة من كتب العلوم في اللغة العربية، والشريعة الإسلامية متدرجة في طبقاتها ومن أبرزها تفسير القاضي البيضاوي الذي أجيز به من بعض شيوخه كما تقدم، وأنفق سنوات في تدريسه بل كتب حوله حاشيته المسماة «مجموعة العبد الذليل على ربع التنزيل»، ودرّس في الحديث النبوي الشريف صحيحي الإمامين الجليلين محمد بن إسماعيل البخاري، ومحمد بن مسلم القشيري، وشرح النووي وغيره من الكتب. كما درس في السيرة كتاب الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض، وفي الفقه كتاب الكنز بشرح ملامسكين، والدر المختار لابن عابدين، كما درس بعض كتب فقه المالكية الشهيرة[2]، كذلك درس في العلوم العربية كتاب السعد في البلاغة للتفتازاني، وشذور الذهب وشرح الألفية لابن عقيل في النحو، وكان بارعاً في هذه العلوم إلى مبلغ أن كان يطلق عليه معاصروه لقب «سيبويه»[3] وقيل إن له حواشي على بعض كتب البلاغة[4].

(1) راجع لمحات أدبية عن ليبيا: 110.
(2) راجع ما جاء في برنامج أو فهرس الشيخ باكير ــ في كتاب لمحات أدبية عن ليبيا: 110.
(3) م.ن: 108.
(4) راجع، جريدة العلم، بتاريخ 1/ 5/ 1968.

والراجح أن الشيخ محمد كامل درّس كتباً أخرى معتمدة في ذلك الزمان في الفرائض والأصول والمواريث والحديث والمنطق وغيرها من الفنون التي تأهل بها على شيوخه في الأزهر في العلوم العقلية والنقلية، ومن المؤسف أننا لم نطلع على شيء من الإجازات التي أجاز بها تلاميذه سوى الشيخ باكير، ولو وصلتنا إجازات غير تلك الإجازة لأمكننا دون ريب أن نطلع بدقة وشمولية على ما أفاد به الشيخ طلابه، وما أثرى وأثّر به في الحياة التعليمية والفكرية في ليبيا خلال القرن الماضي. ومهما يكن من شيء فلقد تعهد بما حصله في سنوات هجرته واغترابه من مواهب ـ جميع تلاميذه ومريديه ـ الذين سنتناول جملة من أعلامهم وتراجمهم وتأثرهم وتأثيرهم في الفصل اللاحق ـ ورباهم بالعلوم المتنوعة التي قدّر له الاطلاع عليها في حلقات شيوخه، ونقل إلى بلاده ليبيا بحذقه وإتقانه لها ما كان معروفاً في الأزهر ومصر من معارف ومناهج. وقد بيّن الشيخ الطاهر أحمد الزاوي ملامح من فاعلية المترجم وقوة شخصيته، واتساع مداركه العقلية في تقريراته ومجالسه فوصفه بأنه كان «قوي الحجة، واسع الاطلاع حادّ الذاكرة، وما زال على هذه الحال إلى أن أدركه الأجل»[1].

وقد سمعت من الأستاذ على الفقيه حسن ـ رحمه الله ـ نقلاً عن بعض الكبار والمعمرين ممن أدركهم ـ أن بعض طلبة العلم الذين رحلوا من طرابلس الغرب إلى مصر في ذلك الزمان، وحلّوا بالأزهر وأروقته قصد التحصيل، أخبر بنبأ رحلته وما وقع له فيها، وكيف عجب شيوخ ذلك الجامع المعمور لأمرهم، كيف يتركون الشيخ محمداً كاملاً، ويتجشمون عناء التعب ومشاق الرحلة، وهم في غنى عن ذلك؟!! إذ قالوا لهم كان الأولى بكم أن تبقوا في بلادكم، وأن تأخذوا العلم والفقه عن عالمكم؛ لأن ما عنده من العلم هو عين ما في الأزهر.

---

(1) أعلام ليبيا: 326.

وأغلب الظن أن تلك الشهادة والتزكية الرفيعة لعلم الشيخ وفقهه، كانت من أحد أشياخه الكبار ممن تأهّل بهم في الأزهر الشريف، وكان لهم فضل الإسهام في ملكاته، أو من أحد زملائه في التحصيل والطلب من أمثال الشيخ محمد العباس المهدي أو غيرهم ممن شهدوا ذكاء ابن مصطفى وإدمان بحثه، وسعة مطالعاته. وهي شهادة تكبر قيمة الشيخ وتعلي من منزلته بين منازل المبرزين من العلماء في القرن التاسع عشر.

ولعل هذه الحادثة أو غيرها هي التي حملت أحد الباحثين المعاصرين على أن يلقبه بـ«الأزهر الصغير»[1].

ولم يكتف مترجمنا بهذا الجهد المحمود الذي بذله في نطاق التعليم التقليدي الموروث، بل أبدى تجاوبه ـ الذي كانت تمليه نظرته الإصلاحية المتفتحة ـ مع التعليم الجديد المستحدث الذي أرادت الدولة أن تنشر بعض مدارسه ومعاهده في الولاية[2]، مثل المدارس الرشدية التي ظهرت في سنة (1275/ 1858) التي اشتملت مناهجها على مختلف المواد العلمية من رياضيات وعلوم ومواد اجتماعية، وكذلك اللغة الفرنسية إضافة إلى اللغتين التركية والعربية[3]، وهي مدارس للجنسين الذكور والإناث، وقد شجّع مترجمنا ظهور هذه المدارس، كما تولّى التدريس فيها، وفي دار المحفوظات التاريخية وثيقة كتبتها المشرفة على مكتب البنات الحاجّة خديجة المصرية سنة (1314/ 1896) تذكر فيها عون المفتي محمد كامل لهذا المكتب وإهداءه مصحفاً من القرآن العظيم لنفع القارئات والمتعلمات[4].

وقد كان إلى جانب ذلك يغري الطلاب بالدراسة والتحصيل، ويشجعهم

(1) الشعر والشعراء في ليبيا: 248، الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث: 195.
(2) راجع ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي: 123.
(3) تحديث المؤسسات التعليمية والقضائية والدينية في ولاية طرابلس الغرب، مجلة البحوث التاريخية ـ العدد 2 ـ سنة 1983.
(4) راجع ملاحق هذا الكتاب.

على القراءة والتفوق على نحو ما عثرنا عليه من تشجيعه لبعض هؤلاء الطلاب في المجموع[1] كما أنه كان ينتقد المتهاونين في التلقي، ويعنّف من حادّ منهم عن طريق العلم إلى طريق الجهل والبطالة»[2].

لقد كان محمد كامل بن مصطفى «بما أتيح له من تفتح عقلي وحيوية غامرة، واستشراف إلى آفاق غير تلك الآفاق التي قنع الناس بها كبير الأثر في الحياة العلمية والأدبية في طرابلس، فلم يكد يعود من مصر ويتصدّر للتدريس حتى رأى فيه أهل طرابلس عالماً واسع الباع في علم الدين واللغة، وعرفوا فيه طرازاً جديداً لا عهد لهم به من قبل، فامتلأت نفوسهم إعجاباً به، وأثار فيهم الرغبة الشديدة في طلب العلم، وفي شهود مجلسه، فأقبلوا عليه في لهفة وشغف»[3].

ومن المعلوم أنه تكوّن في عهد الوالي نامق باشا مجلس المعارف في الولاية لأول مرة في تاريخها الحديث، وقد عيّن فيه المترجم الرئيس الثاني بعد الوالي، ولكن الحياة لم تمتد به في الإشراف على هذا المجلس إلا مدة أشهر قليلة، انتقل على أثرها إلى رحمة الله، ولسنا ندري على وجه الدقة والتفصيل الدور الذي قام به في أعمال هذا العمل الإصلاحي.

بذلك المدد الزاخر، والإصلاح الدائب الذي تحدثنا عنه، وبفضل ما تميز به هذا المصلح من العقلية الوقادة النقادة، التي استثمرت بذكاء المعطيات السياسية خلال النصف الأخير من القرن الماضي، استطاع هذا الرائد أن يعمل على إيجاد نهضة علمية وتعليمية، وأن يظهر طبقات من التلاميذ المبرزين، والعلماء النابهين، وأن يخلف في البلاد مبلغين من ذوي التأثير البعيد في الحياة العامة في ليبيا ظهر أثرهم في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

---

(1) المجموع: ورقة 19، أ.
(2) المجموع: ورقة 15، ب.
(3) الحياة الأدبية في ليبيا: 67.

تـلاميـذه

لقد أدرك أهل البلاد الليبية المنزلة السامية التي كان يتربع عليها هذا العالم الرحالة الطلعة الذي أجاب الآفاق، وحصل على رفيع الإجازات من جلّة الشيوخ، ووثق سنده العلمي بمعاهد العلم في المشرق والمغرب، وعرفوا له المكانة الكريمة التي احتلها تبحره في العالم ففزعوا إليه، وقصدوا حلقاته، واختلفوا على مجالسه التي كان يعقدها في جوامع بلدتهم؛ وبعثوا إليه أبناءهم ممن كانت عندهم غرائز محتملة للعلم؛ فنهلوا من منابعه الثرارة، وامتصوا من أمواهه العذبة، كما تمتص النحل من الأزاهير لتخرج من التمثل العسل المصفّى، وصحت عندهم وصدقت تلك الكلمة التي قيلت لبعض طلاب العلم الذين رحلوا إلى الأزهر بعد عودته منه، فقيل لهم إن ما عند شيخكم محمد كامل هو عين ما في الأزهر، فتحلّقوا به وزهد الكثير منهم في معاناة السفر إلى الأزهر أو الزيتونة في تونس، وإلى غيرهما من معاهد العلم في المشرق والمغرب.

والحق أن شيخ علماء طرابلس، وباعث النهضة العلمية فيها أعطى طلاب العلم كثيراً من علمه وجهده ووقته، وبذل وسعه في توسيع دائرة المتعلمين والمتفقهين في هذه الولاية، وكانت بفعل العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية ضيقة قبل ذلك، ورأى في البذل سبيلاً عملياً يتفق مع نظرته الموضوعية، ووجهته الإصلاحية ويتّسق مع رغائبه في نشر العلم الذي حصله، والرقي بالمعارف التي كانت بلاده تشرئب إليها، وقد استطاع في زمن يقرب من نصف قرن تقريباً أن يؤهل تأهيلاً محموداً طبقة من العلماء والمتعلمين والساسة الذين استطاعوا أن يسهموا في إثراء مجالات متعددة من الحياة العامة في المجتمع الليبي خلال القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

وإذا كانت عنايته بالتعليم وبالتدريس وبالمهام الأخرى التي أسندت إليه، قد أخذت جزءاً كبيراً من حياته وجهده، وشغلته عن التفرغ للتأليف والتحرير، وعن تدوين الآثار الكثيرة، إلا أنها استطاعت أن تبذر بلا ريب بذوراً ضرورية

زاكية، وتعمل على تكوين طبقات من العلماء والصلحاء كانت بلاده في حاجة ماسة إليهم، وعلى الرغم من أن إحصاء هؤلاء الطلاب ليس من السهل فإننا نذكر من مشاهير طلابه طائفة نمثل بها لأثره في إعداد عمد النهضة الفكرية والتعليمية والسياسية، نوردهم وفاق الطريقة الألفبائية:

1 ـ الشيخ إبراهيم مصطفى باكير:

من العلماء الأدباء ينتمي إلى أسرة علمية في طرابلس فقد كان والده الشيخ مصطفى باكير، الذي كان له ـ كما قدمنا ـ تأثيره في حياة مترجمنا محمد كامل فقيهاً ومفتياً حنفياً في طرابلس الغرب، ومن المعروف أن الشيخ إبراهيم باكير تخرج بأستاذه ابن مصطفى، ونال منه جلّ علومه وكان يلقبه بـ«سيبويه زمانه»[1] فكان بما أخذه عند من المبرزين من علماء وطنه وأدبائه المجازين. قال في برنامجه «وقد منّ الله عليَّ بأخذ ما احتوى عليه ثبت العلامة الكبير سيدي الأمير الكبير من الكتب والمسلسلات عن شيخنا العلامة سيدي كامل بن مصطفى بن محمود الطرابلسي الحنفي صاحب الفتاوى الكاملية»[2].

وقد ذكر الأستاذ علي مصطفى المصراتي أن إبراهيم باكير لازم شيخه أكثر من عشرين سنة[3] كما ذكر ـ استئناساً بما اطلع عليه من برنامجه وثبت شيوخه وما تلقاه عنهم ـ العلوم والفنون المختلفة التي استفادها منه في التفسير والحديث والفقه وعلوم العربية[4].

وبفضل هذا التحصيل شارك إبراهيم باكير في الحياة العامة في بلاده، وكان امتداداً لعطاء المدرسة الكاملية في طرابلس الغرب، فقد عُيّن في إبان العهد العثماني الثاني عضواً في محكمة الاستئناف، ثم رئيساً لمحكمة الاتهام

---

(1) لمحات أدبية عن ليبيا: 108، دليل المؤلفين العرب الليبيين: 12.
(2) م.ن: 109.
(3) م.ن: 109.
(4) م.ن: 110.

كما عُيّن في سنة (1324/ 1906) مفتياً لطرابلس، ثم كانت له هجرة إلى الشام في حدود سنة (1331/ 1912). بعد احتلال الإيطاليين ليبيا عاد عقب سنوات أمضاها فيه إلى بلاده ليتقلد بعض المناصب الشرعية والقضائية، وليقوم بالتدريس والتعليم الذي تخرج به فيه خلق كثير[1].

وللشيخ إبراهيم باكير نتاج من المنظومات العلمية، والأشعار والمدائح النبوية والقصائد الرقيقة التي لم تجمع إلى اليوم في ديوان، وله كشيخه ابن مصطفى فتاوى شرعية على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان لم تضم هي الأخرى ولم تنشر في كتاب، وقد توفي الشيخ باكير سنة (1362/ 1943)[2].

2 ـ الشيخ أحمد البكباك:

من جملة أهل العلم والفضل، ومن شيوخ مدينة طرابلس ومدرّسيها ولد في مدينة طرابلس البيضاء سنة (1295/ 1878) وحفظ القرآن العظيم بجامع محمود؛ ثم تنقل إلى الحلق العلمية فأخذ علومه عن مشائخ الوقت وفي طليعتهم العلامة محمد كامل بن مصطفى والشيخ عمر المسلاتي والشيخ عبد الرحمن البوصيري والشيخ مختار الشكشوكي وغيرهم؛ كما انخرط في أحد المعاهد العليا للمعلمين الذي أسس في أواخر عهد الحكومة العثمانية، وكان في طلائع المدرِّسين الذين نالوا الإجازة وتولوا التدريس بمعهد أحمد باشا القره مانلي والوعظ والإرشاد في جامع شائب العين وجامع قرجي؛ كما عين بعد دخول إيطاليا البلاد إماماً ومدرّساً بمدرسة الفنون والصنائع؛ وقد أفاد بعلمه طلابه، أخبرني الشيخ يوسف عز الدين طاباق[3] أحد تلاميذه بمكانة الشيخ أحمد

---

(1) راجع لمحات أدبية عن ليبيا: 107، أعلام ليبيا: 14.
دليل المؤلفين العرب الليبيين: 12، الأعلام: 1/ 33.

(2) المراجع السابقة.

(3) من العلماء الذين ورسوا في جامع الزيتونة بتونس وفي الأزهر بمصر بعد أن أخذ مبادئ العلم في بلاده طرابلس، وقد عرف بالحافظة العقوبة وبخاصة في رواية الشعر القديم والحديث على ما أدركناه.

البكباك العلمية، وأثنى على إخلاصه، وحرصه على حضور الدروس ونفع الدارسين، وقد توفي سنة (1359) 14 فبراير 1940[1].

3 ـ الشيخ أحمد الشارف:

الأديب الفقيه المشهور، ولد في مدينة زليتن سنة (1289/ 1872) وقد عُدَّ بعد تحصيله العلمي من أشهر شعراء ليبيا في عصره، حتى لقِّب بشاعر القطرين (طرابلس وبرقة) وبشيخ الشعراء.

درس هذا الأديب علومه الأولية في بلدته زليتن؛ ثم أقام في طرابلس حيث أخذ عن أبرز شيوخها ورجالاتها الذين كان في مقدمتهم شيخه العلامة محمد كامل بن مصطفى بن محمود[2].

قال الشيخ الطاهر الزاوي «وأخذ عن أستاذ عصره وعلامة زمانه الأستاذ محمد كامل بن مصطفى»[3]، وأشار إلى هذه التلمذة أيضاً غيره من الدارسين والباحثين[4]. ومن المعلوم أن هذا الأديب قد تولى بّعد تخرجه بشيخه ابن مصطفى وغيره العديد من الوظائف والأعمال منها الخطابة والتدريس بمسجد بني مسلم في مسلاتة والقضاء الشرعي في تاورغاء والقاريوللي وسرت، كما عين عضواً في المحكمة الشرعية العليا، ورئيساً لها إلى أن أحيل على المعاش بعد عمر حافل بالعطاء. وللشيخ أحمد الشارف ديوان مطبوع[5] متنوع الأغراض جيد البناء والمائية، يدرج بمضامينه وأشكاله ضمن تيار المدرسة التقليدية الحديثة أو مدرسة الأحياء وقد تولّى العديد من الأدباء والنقاد درسه وتحليله، وكانت وفاة هذا الأديب الفقيه في سنة (1379/ 1959).

---

(1) ترجمة مختصرة من أسرته.

(2) الشعر والشعراء في ليبيا: 190، دليل المؤلفين العرب الليبيين: 58، الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث: 381، ديوان أحمد الشارف.

(3) أعلام ليبيا: 69.

(4) دليل المؤلفين: 12.

(5) نشر الديوان محققاً بجهد الأستاذ علي مصطفى المصراتي سنة 1963.

4 ـ الشيخ أحمد شقرون:

من شيوخ العلم في ليبيا، وقد تتلمذ عليه طائفة من العلماء والأدباء، وقد وصفته جريدة المرصاد بأنه «الشاعر الكبير والعلامة الجليل»[1].

5 ـ الشيخ أحمد بن عبد السلام:

كان من أبرز تلاميذ الشيخ ابن مصطفى الذين تولّوا التدريس والإفتاء، وتأهيل طلبة العلم في البلاد للأخذ والتبليغ، وهو عالم فقيه لغوي كان يلقَّب لبراعته في علم النّحو كأستاذه محمد كامل بـ«سيبويه» وبـ«إمام العصر»[2]، والراجح أنه تولى لتقدم سنّه وسعة علمه منصب الإفتاء في ولاية طرابلس الغرب بعد وفاة شيخه محمد كامل، وكان كما وصفته جريدة الترقي «أحد العلماء الأعلام، ومن أعضاء مجلس الإدارة»[3].

6 ـ الشيخ أحمد بن عبد العال:

لم نهتد إلى معلومات وافرة عن حياته وآثاره، وغاية ما وقفنا عليه من أمره أنه أحد أحفاد الشيخ محمد كامل بن مصطفى درس عليه وتكوّن به، وأفاد من علومه، وقد كان كثير الثناء على شيخه والوفاء له إذ سماه في شرحه الذي نعرض للتعريف به بعد سطور «بحر البحور»[4] وأكثر من إجالة عبارات حفظه الله، وأطال في عمره، وأسعده الله. وكان جده المترجم شديد العناية به والثناء عليه[5].

ومما عثرنا عليه متصلاً به أنه توفي بعد وفاة جده بثلاثة وعشرين يوماً، ودفن بجواره، وقد نعته جريدة الترقي ووصفته بأنه «كان رحمه الله مشمراً على

---

(1) جريدة المرصاد بتاريخ 15 ذي القعدة 1328/ 1910.
(2) لمحات أدبية عن ليبيا: 108.
(3) جريدة الترقي، العدد 4، السنة 2/ 1316.
(4) شرحه على مباحث الأسماء والحروف والأفعال، ورقة 1.
(5) م.ن.

ساعد الجد في تحصيل العلوم، ولم يثنه عنه شاغل إلى أن وصل إلى درجة عظيمة من العلم»[1].

وقد اطلعت أخيراً من آثاره القلمية على شرحه على منظومة شيخه محمد كامل في مباحث الأسماء والحروف والأفعال[2]، وهو شرح مختصر مفيد يتكوّن مخطوطه من سبع وعشرين ورقة مسبوقة بورقة عنوان الكتاب المتضمنة لهذه الصيغة «هذا شرح أحمد بن عبد العال على نظم مباحث الأسماء والحروف والأفعال، نفع الله تعالى به وبعلومه آمين ببركة سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين»[3].

وقد جاء في مقدمته بعد البسملة والصلاة على سيدنا محمد الاستهلال المشتمل على حسن الافتتاح والإشارة إلى نظم جده ابن مصطفى «نحمد من جعل فعل الخير أحسن الأفعال، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الجامع لكل كمال، وعلى آله وأصحابه الذين ميزهم الله من الرجال حمداً وصلاة وسلاماً دائمين على كل حال، أما بعد فيقول أفقر الرجال أحمد بن محمد بن عبد العال، هذا شرح على منظومة بحر البحور محمد بن مصطفى بن محمود المشهور» ثم شرع في الشرح بقوله: «قال شيخنا الناظم ـ حفظه الله تعالى ـ وأطال في عمره آمين» إلخ.

وقد رسم الكتاب أو الشرح بخط جيد مقروء، كتبت فيه كلمات منظومة بالحبر الأحمر، والشرح بالخط الأسود، وأصابت الأرضة جوانبه وأثّرت فيها، وامتدّ التأثير إلى مواضع من وسطه، ولكنه لا يؤثر في قراءة النص (متناً وشرحاً) وختم بالقول «قد تمّ شرح الحفيد على نظم جده السعيد». وتلا ذلك إثبات

---

(1) جريدة الترقي، عدد 42، 1 محرم 1316.

(2) هذا المخطوط من ممتلكات الشيخ أحمد البكباك أحد تلاميذ الشيخ ابن مصطفى ـ كما تقدمت ترجمته ـ وقد وجد ضمن كتبه ومخطوطاته، وأطلعني عليه حفيده فتحي البكباك وأعارنيه بتاريخ 13/10/1990.

(3) ورقة عنوان المخطوط.

منظومة الشيخ المترجم له، متبوعة بأبياته في حفيده الشارح، قال مقرضاً شرحه «الحمد لله وحده، وبعد أن أمعنت النظر مما كتبه حفيدنا جرت على لساني هذه الأبيات»[1]:

حفيدنا من أصله أحب ... فالأصل قشر والحفيد لب
وفقه يا رب إلى الطاعات ... واسلك به مسالك النجاة
وافتح له أبواب كل خير ... وسد عنه باب كل ضير
وكن له يا رب وارفع شانه ... واعل ما بين الورى مكانه
بجاه خير الرسل سيد الورى ... صل عليه الله ما دام الثرى
وآل بيته الكرام الطاهرين ... وصحبه هداة كل التابعين

وأثبت بعدها قوله «وقد قلت مخاطباً له[2]»:

ابني إن العلم خير لباس ... فالبسه لا تك عارياً في الناس
وإذا دعاك إلى التراخي عنه من ... يبدي النصيحة فهو كالوسواس

7 ـ الأستاذ أحمد الفقيه حسن (الجد):

الأديب الكاتب الشاعر المولود في مدينة طرابلس الغرب سنة (1259/1843) وهو من مشاهير أدباء طرابلس الغرب في النظم والنثر؛ تثقف بعلماء عصره وفي مقدمتهم محمد كامل الذي أخذ عنه كما يذكر حفيده «المختصرات والمطولات من كتب المعقول والمنقول»[3] ثم حذق اللغة الفرنسية[4] وعين رئيساً للقلم العربي في الولاية، وقد اشتهر بترسله وبأشعاره التي كان في عداد

(1) المخطوط ورقة 1.
(2) المخطوط ورقة 27.
(3) ترجمة أحمد الفقيه حسن بقلم علي الفقيه حسن ـ شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز الجهاد.
(4) ترجمة أحمد الفقيه حسن (الجد) بقلم أحمد الفقيه حسن (الحفيد) شعبة الوثائق بمركز الجهاد. دليل المؤلفين القرب الليبيين: 63.

طبائع الأشعار والمراسلات التي عرفت في تلك المرحلة، وكانت له صلات مكاتبة متعددة مع بعض مشاهير رجال عصره، ورحلات علمية مفيدة على نحو ما أوضحت ذلك مفصلاً في كتابي «أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه»[1] والذي أبنت فيه أن هذه الشخصية الأدبية تُعدّ حلقة من حلقات المدرسة الكاملية، وقد توفي هذا الأديب قبل شيخه في حدود سنة (1304/ 1886) بعد أن تخرج به نفر من الكتّاب والشعراء[2].

8 ـ الشيخ أحمد بن محمود:

من علماء طرابلس المشهورين، ومن أسرة الشيخ محمد كامل بن مصطفى ومن عشيرته المقربين كما يستفاد من وثيقة كتبها هذا الشيخ؛ فقد وصف نفسه بأنه ابن عم المترجم، وصهره[3] وقد أخبرني حفيده السيد راسم بن ضو أن جده الشيخ أحمد بن محمود تزوج ابنة الشيخ محمد كامل المسماة عائشة، كما أخبر أنه قبل اقترانه بها رحل إلى مصر حيث تلقى علومه في الأزهر، وكان من أبرز شيوخه الذين تأثر بهم الشيخ حسن الطويل، والشيخ السقا[4] ثم سافر إبان إقامته في مصر إلى الحج لأداء الفريضة، ودرّس في الحرمين بتكليف من شيخه حسن الطويل، ثم عاد إليها ليسافر بعدها إلى الهند التي لم يطل مكثه فيها، واقتصر من رحلته إليها على جلب بعض نفائس الكتب وبعض السلع، وقد طلب شيخه إليه أن يبقى في مصر للتدريس والإفادة ولكنه آثر العودة إلى بلاده التي أمضى فيها بقية حياته في الخطابة والتدريس في جامع درغوت باشا وجامع أحمد باشا[5] وجامع ابن صوان وغيرها من جوامع المدينة، ويبدو أنه انتفع انتفاعاً كبيراً من

(1) صدر عن مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي سنة 1988.

(2) أحمد الفقيه حسن وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه: 27.

(3) وثيقة ضمن الوثائق التي آلت إلى مركز دراسة جهاد الليبيين مع المجموع. ذكر فيها قوله: «شيخنا المرحوم، وابن عمنا وصهرنا الشيخ محمد بن مصطفى بن محمود مفتي طرابلس الغرب».

(4) لم يتبين الحفيد اسمه، ولعله الشيخ إبراهيم السقا الذي تقدمت ترجمته.

(5) نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة المطبعة المنيرية: 459.

علم ابن عمه الشيخ محمد كامل ومن طرائقه مما جعله كثير اللهج بحمده، وقد توفي رحمه الله في سنة (1352/ 1993).

9 ـ الشيخ سالم بن المبروك السعودي الورشفاني:

أديب من أدباء ليبيا المغمورين في القرن الماضي، كانت له مشاركات أدبية في النصف الأخير من القرن المذكور، ومساهمات شعرية ضاعت فيما ضاع من آثار أدباء هذه البلاد، درس في بلاده ليبيا، ثم هاجر إلى مصر حيث أكمل تعليمه، وفي الحق أنه ليس بين أيدينا شيء يذكر من ترجمته وتاريخ حياته وطبائع تحصيله إلا ما جاء في ختام ديوان صديقه الأيدب مصطفى بن زكري من تقريظه له، حيث وصف بأنه «فريد دهره، ونتيجة عصره الأديب الفاضل الشيخ سالم بن المبروك السعودي الورشفاني الطرابلسي الأزهري»[1] وقد أثبتت بعد ذلك الوصف المقتضب أبياته التي أرّخ بها طبعة ديوان صديقه ابن زكري الصادرة في سنة (1310/ 1892) نوردها هنا مساهمة في الكشف عن هذه الشخصية المغمورة التي كان لمترجمنا دور في تكوينها الفكري والثقافي، قال:

جدير الفضل ديوان ابن زكري ... فريداً وأنه الشهم لليبيا [كذا]
لقد راقت قوافيه ورقت ... وغازلت النسيم به النسيبا
وكم بسطوره من مسكرات ... ولين يفضح الغصن الرطيبا
وطالع سعده أضحى ينادي ... بتاريخ حوى طبعاً غريبا

أو ما جاء من تقريظه الآخر الذي نظمه بمناسبة صدور كتاب شيخه محمد كامل بن مصطفى «الفتاوى الكاملية» سنة (1313/ 1895) والذي وصف فيه بأنه «العلامة الأديب الفهامة النجيب»، ثم أثبتت أبياته الثلاثة التي يقول فيها[2]:

ونهج الفتاوى الكاملية شاهد ... بهمته في النصح والبذل للوسع

(1) ديوان مصطفى بن زكري ـ الطبعة المصرية: 44، وبتحقيقنا: 257.
(2) الفتاوى الكاملية: 308.

فقد أدخلت تحت القواعد ما يرى　　أبيا على من يدرك الأصل بالفرع

وصارت هي النجم المراقب في السرى　　وسلم من رام ارتقاء إلى السبع

وفي هذه السنة نفسها نظم قصيدة مطوّلة في التهنئة بعث بها إلى الشيخ محمد كامل بن مصطفى الذي أثبتها وأثبت ديباجتها النثرية في «المجموع»[1] ومنها استفدنا خبر تتلمذه عنه إذا أقرّ له فيها بالمشيخة والأستاذية، وقد أنشأ قصيدته على مذهب من مذاهب البديع المستحدثة حيث بنى صدور أبياتها على حروف هذه الجملة «تهنئة شيخ المشائخ محمد كامل بن مصطفى» وبنى أوائل الإعجاز على هذه الجملة «إنشاء الفقير سالم بن المبروك السعودي» وقد كان هذا الضرب من البديع أو من الصناعة الشعرية رائجاً في القرن الماضي وما سبقه[2]؛ ونورد هنا الديباجة الممهدة لسببين، لأنها تثبت ما أومأنا إليه من إقراره للمترجم بالأستاذية، ولأنها تضع بين أيدينا أيضاً وثيقة تؤكد شهرته بالأدب وصناعته بحسب معايير عصره. قال ـ رحمه الله ـ «أطال الله تعالى عمر أستاذنا الأفخم وأنار نهج سلوكنا الأقوم، أنهى أن معذرتي لفي تأخيرها إنما كانت تفطناً لأن تحلّ من علاتها محل الخادم، وأن تشير على سائر المهنئين بكم بسرور دائم لا توطناً لقوله:

محا حبها حب الأولى كن قبلها　　فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وقد أسست صدورها على حروف اسم فضيلتكم المعطرة، وفرعت أعجازها على حروف اسم خادم سعادتكم الموقرة، راجياً مع المعذرة أن تكون مأنوسة الابتداع، محمودة الصناعة المشجرة، آملاً أن ترى في حياة الدفاتر والمحافل بجميل مآثركم مسطرة ومصدرة[3]».

(1) كتب المترجم في الصفحة ـ من المجموع مذيلاً للديباجة «وقد وصلت إلي هذه القصيدة في جمادى الأولى من سنة 1313».

(2) راجع كتاب أدب الدول المتتابعة لعمر موسى باشا ودول الإمارات لشوقي ضيف، مدرسة الأحياء لإبراهيم السعافين.

(3) المجموع: ورقة 78، أ.

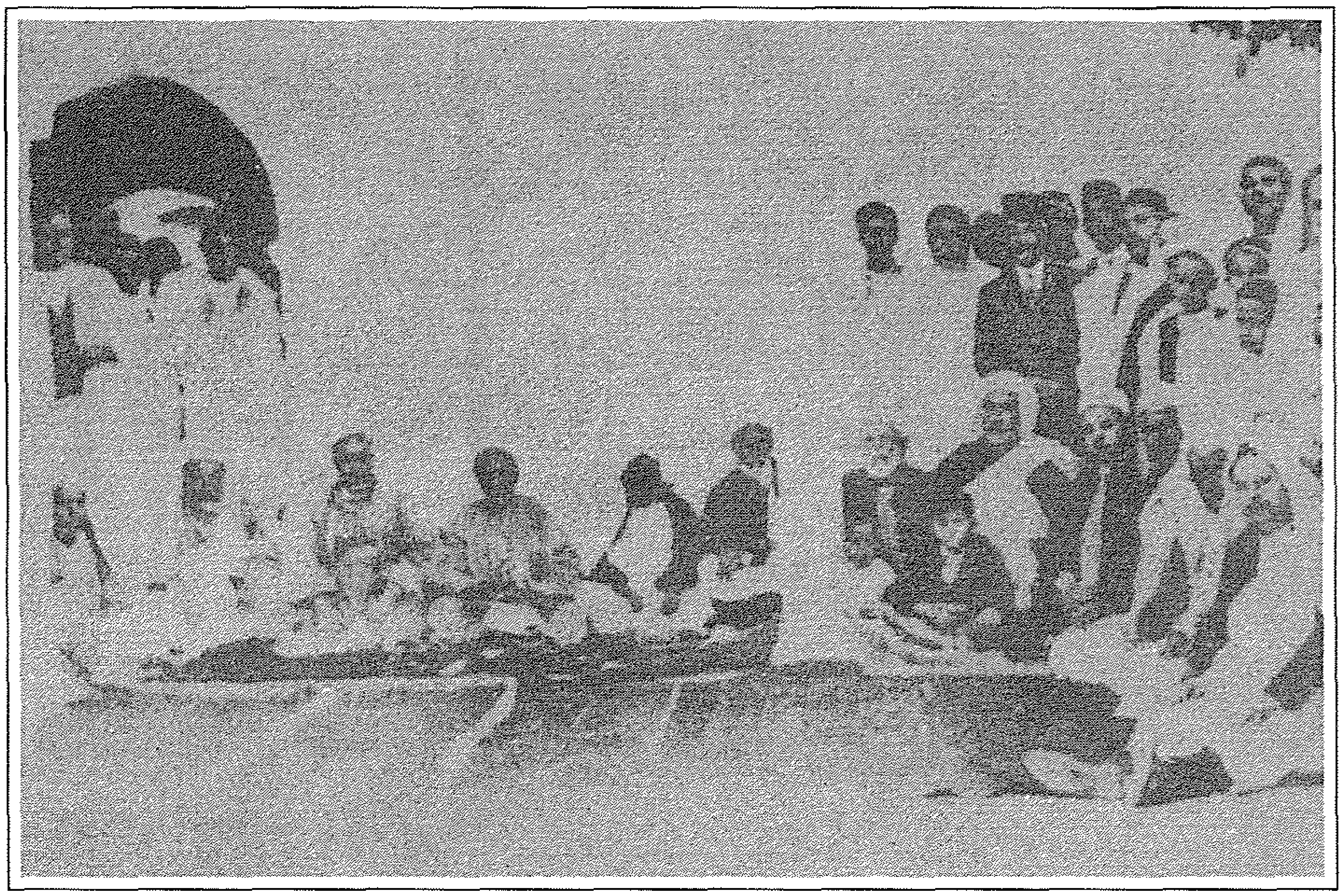

رسم يمثل بعض تلاميذ العلامة محمد كامل بن مصطفى

10 ـ الشيخ عبد الرحمن البوصيري:

من أبرز تلاميذ الشيخ محمد كامل وأقربهم إلى نفسه، وآثرهم بالقرب والمباحثة والمفاتشة[1]، اتصل بأستاذه اتصال من يريد أخذ الراية وحملها في التعليم والإصلاح، ولازم شيخه وصحبه كما يقول الأستاذ المصراتي «في غدواته وروحاته، وكانت نفسه المتعطشة للمعارف تحدثه بألا يترك كبيرة ولا صغيرة من «لقطات» الشيخ المدرِّس إلا رواها واستوعبها، وسجلها في أوراقه، فكان يجد في أستاذه مثله الأعلى، ونموذجه الذي يحتذيه[2]»، فتثقف بفضل هذا الحرص، وبفضل ما تميز به من القريحة الوقادة النقادة ثقافة واسعة إلى أن توفي المترجم فرثاه ـ كما سنبين ـ وشهد له بأنه كان من أعلم علماء

(1) راجع ترجمته في لمحات أدبية عن ليبيا: 157، أعلام ليبيا: 162، وانظر تعالى في العلامة الشيخ عبد الرحمن البوصيري، مجلة الثقافة العربية العدد 5 ـ السنة 4.

(2) لمحات أدبية عن ليبيا: 158.

أهل السنة في ليبيا[1] وتسلم بعد وفاته راية بثّ العلوم، ونشر التعليم، وتكونت على يديه طبقات في العلم والأدب، اتّسعت بها دائرة المتعلمين في هذا البلد.

وقد كانت مجالس الشيخ عبد الرحمن البوصيري التي استمرت أكثر من نصف قرن في مدينة طرابلس، من المجالس العلمية المشهودة، التي ظل صداها متردّداً إلى وقتنا فيما سمعناه من روايات شيوخنا وأساتذتنا، ولم يقتصر عطاؤه العلمي على التدريس والوعظ فحسب بل امتد ليشمل مجال التأليف الذي ترك فيه آثاراً علمية نافعة نذكر منها نزهة الثقلين في رياض إمام الحرمين في علم الأصول، وفاكهة اللبّ المصون على شرح الجوهر المكنون في البلاغة، ومبتكرات اللآلي والدرر في المحاكمة بين العيني وابن حجر والجواهر الزكية في حديث خير البرية[2].

11 ـ الشيخ عبد الله أبو قرين:

لم نعثر على معلومات كافية عن هذا الشيخ المعدود في جملة تلاميذ المدرسة التكاملية، ولا عن تكوينه الفكري والثقافي أو عن الوظائف التي شغلها، أو عن الكتب أو الآثار التي تركها، وغاية ما انتهينا إليه من أخباره إشارة عابرة في المجموع الذي كتبه شيخه ابن مصطفى ذكر فيها الشيخ محمد كامل أن الشيخ عبد الله أبا قرين هذا من طلبته وتلاميذه، وأنه استعار منه كتاباً في النحو في حدود سنة (1281/ 1864) ثم أرجعه إليه، وهو ما يستفاد من هذا التقييد الذي جعلنا ندرجه ضمن هذا الثبت (عند الشيخ عبد الله أبي قرين من طلبتنا حواشي الشيخ خالد القليوبي من أولها إلى باب الأفعال ناقصة ورقة من باب الإعراب،

---

(1) جاءت هذه الشهادة ضمن وثيقة من وثائق دار المحفوظات التاريخية كتبها الشيخ البوصيري سنة (1332/ 1913).

(2) راجع مقالي حول ترجمته، في مجلة الثقافة العربية.
العلامة الشيخ عبد الرحمن البوصيري، مجلة الثقافة العربية العدد 5، السنة 4. دليل المؤلفين العرب الليبيين: 199، أعلام ليبيا، 199. نموذج الأعمال الخيرية 459.

على وجه الإعارة، بل إلى باب الفاعل ـ في ذي القعدة سنة 1281هـ ثم ردّه إلينا بالتمام»[1].

وفائدة هذا التقييد تظهر أيضاً بالإضافة إلى ما استفدناه من ذكر تلميذ من تلاميذ المترجم في أن الشيخ كان لا يبخل بإعارة الكتب التي كانت مفقودة في ذلك الزمان لتلاميذه وطلبته الراغبين في قراءتها والانتفاع بها.

12 ـ الشيخ علي عياد:

مثقّف من مثقفي ولاية طرابلس الغرب في القرن الماضي والنصف الأول من هذا القرن، ولد في بلدة جنزور سنة (1285/ 1868) وفيها أخذ علومه، كما أنه أكملها بمدينة طرابلس ومصر، وتولى بعد ذلك العديد من المناصب القضائية، وساهم بدور مشكور في الصحافة الحرة، التي شجّع عليها الشيخ محمد كامل، فعمل محرراً مع الشيخ محمد البوصيري في جريدة الترقي «وكان هو والأستاذ عثمان القيزاني، والأستاذ محمد التركي يتخذون من إدارتها نادياً يجتمعون فيه، ويتشاورون فيما يرون المطالبة به من طرق الإصلاح[2]» وقد كان من إعجابه بشيخه محمد كامل بن مصطفى أن سمى ولده باسمه، وهو اليوم الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد عضو المجمع العلمي بسوريا، ومن الباحثين الأكاديميين المعروفين[3]. المشتغلين لعلوم الفلسفة، وقد تخرجت به أجيال في الجامعات السورية.

13 ـ الشيخ قدور أفندي:

يظهر أنه كان من تلاميذه المقربين الأدنين، ومن المؤسف أننا لم نتمكن من جمع أية معلومات حول هذا الشيخ سوى الإشارة العابرة التي ذكرها شيخه محمد كامل عنه، وهو يمهّد للأبيات التي جاءته في مدحه من هذا التلميذ

(1) المجموع: 87، أ.
(2) أعلام ليبيا: 219، صحافة ليبيا في نصف قرن: 54.
(3) راجع بعض آثاره وأخباره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الذي شغل عضواً عاملاً فيه.

الوفي، حيث ذكر أنها أتته ـ كما عبّر ـ «من ولدي العزيز الشيخ قدور أفندي، الإمام بالعساكر الشاهانية، وهو إذ ذاك بجبل يفرن»[1].

وبالنظر لفقداننا الحقائق التي تنير أبعاد شخصية هذا التلميذ، ومقدار استفادته من شيخه، وتأثيره في الحياة العلمية في ليبيا، والجواذب القوية التي جعلت شيخه يسميه بهذه التسمية «ولدي العزيز» الدالة عن قربه من نفسه، وعن تأكد الآصرة بينهما؛ فإننا نكتفي في هذا المقام بإيراد الأبيات التي قالها الشيخ قدور في المترجم، ففي أجوائها شيء من تكوينه ومكانته، بل قبس من شخصيته[2]:

نارت شموس الهدى من بعدما كسفت   وكوكب المجد في آفاقه ظهرا
واستبشرت أهل هاتيك المنازل بل   في سائر القطر صار الكل مفتخرا
أضحت لك الرتبة العلياء منزلة   بها حويت الذي لم تحوه الأمرا
قرت بفضل علاك الخلق أجمعهم   من سائر العقلاء الجن والبشرا[3]
إن السيادة فيكم قبل نشأتكم   أجرى بها الله في محفوظه القدرا
هناك رب العلا ما دمت منتصبا   وعادلاً بِرداء الحق مؤتزرا
بشرى لأهل بلاد أنت ساكنها   يا من به صار نور العلم منتشرا
فلا يرون إذا ما دمت ساكنهم   يا من غدا لحقير الناس منتصرا
قصيدتي اليوم في أعقابكم حضرت   ترجو رضاك لمن قد جاء معتذرا
ثم السلام من الداعي لحضرتكم   تلميذكم من بقدور قد اشتهرا

إن أهم ما يمكن أن يستفاد من هذه الوثيقة، أو من الأبيات التي نظّمها

(1) المجموع: ورقة 70، ب.
(2) م.ن: ورقة 70، ب.
(3) وهذه الضرورة من أقبح الضرورات الشعرية.

الشيخ قدور الذي نجهل من أمره الكثير، اعتراف شيخه بدنوه من نفسه؛ وإقراره الصريح في ختامها بتتلمذه عن الشيخ محمد كامل، والراجح أن هذه المدحية التي نظمها في سنة (1312/ 1894) كانت تهنئة من التلميذ للشيخ بعد أن عمل مفتياً للبلاد.

14 ـ الشيخ محمد البوصيري:

الكاتب الصحفي مؤسس جريدة الترقي، وكان مشغوفاً بالإنشاء الصحفي والطموح الإصلاحي، درس بالمناهج والأساتيذ الذين درس بهم شقيقه العلامة عبد الرحمن البوصيري وكان يجلّ شيخه ابن مصطفى إجلالاً عظيماً فقد كان يطلق عليه كما تقدم صفة «محيي العلوم في هذه الولاية»[1]، ووصفه كذلك بـ«شيخنا ومصباح ولايتنا المرحوم الشيخ محمد كامل»[2]. وقد كان الشيخ البوصيري هذا من شباب الولاية الذين اتصلوا بإبراهيم سراج الدين، وانخرطوا في جمعيته، على أن العمل الذي أبرزه ضمن أركان الحركة الفكرية فيها تأسيسه لجريدة الترقي في عهديها وكتابته الصحفية ذات المضمون والشكل القويين، واستقطابه للشباب المثقف من عصره لممارسة صناعة الصحافة[3].

15 ـ الشيخ محمد الزمرلي:

كان ـ كما تشير مرثيته لشيخه محمد كامل ـ من الذين استفادوا من صحبته، ونهلوا من معارفه، وأفادوا من طرائقه؛ فقد صوّر في قصيدة الرثاء الشاجية مقدار ما أصابه من ألم وموجعة، وما أحسّ به من خسارة برحيل أستاذه[4] ويظهر أن الشيخ محمد الزمرلي هذا قد عرف في زمانه بالأدب وصناعة الشعر، وقد وصفته جريدة الترقي التي نشرت مرثيته بأنه «أحد طلبة العلم

---

(1) جريدة الترقي العدد 10/ 1315هـ.
(2) جريدة الترقي العدد 42 السنة 2/ 1316.
(3) صحافة ليبيا في نصف قرن: 46 المطابع والمطبوعات الليبية: 71.
(4) جريدة الترقي، العدد 41 ـ 1315.

الشريف بساحل المنشية»[1] كما أنه كان أحد الشباب المثقّف الذي اتهم في القضية السراجية[2] وسوف نعرض في الفصل السابع لإيراد أبيات من قصيدته التي رثى بها شيخه.

16 ـ الشيخ محمد سعيد المسعودي:

ينتمي الشيخ لأسرة علمية مشهورة في طرابلس، ولد عام (1286/ 1869) وأخذ علومه فيها عن جلّة شيوخها في النصف الثاني من القرن الماضي[3] من بينهم العلامة محمد كامل بن مصطفى، وقد كنا في الماضي مع الباحثين الذين سبقونا إلى ترجمته نفتقد الدليل الكافي لتأكيد أخذه عن الشيخ محمد كامل، ولكن الوثيقة التي كتبها أحد أصدقائه ومعاصريه حول المسألة السراجية، التي انتهت أخيراً إلى شعبة الوثائق والمخطوطات في مركز دراسة جهاد الليبيين أكدت تتلمذه عن مترجمنا وتأهّله به، وأخذه عنه، قال الكاتب «وكان الشيخ محمد هذا [يعني محمد سعيد المسعودي] ممن تقدم علينا في طلب العلم بطبقة، وحضرنا وإياه سواءً على الأستاذ الكبير الشيخ محمد كامل بن مصطفى»[4].

وقد أكمل الشيخ محمد سعيد في سنة (1323/ 1905) دراسة بعض العلوم في الأزهر، ثم عاد بعد سنوات إلى بلاده حيث عين إماماً لفرقة المدفعية العثمانية «الطوبجية»، كما تولّى التعليم والتدريس والإشراف على الطريقة العيساوية خلفاً لوالده، وكان ـ كما ذكر الشيخ الطاهر الزاوي ـ يوجه تلاميذه «إلى السلوك الحميد، ويفهمهم أن هذه الطرق إنما أنشئت لهداية الناس وتعليمهم أمور دينهم لا للرقص، وأكل النار، وبلع المسامير»[5].

---

(1) م.ن.

(2) ملف قضية إبراهيم سراج الدين بدار المحفوظات التاريخية بالسراي الحمراء طرابلس.

(3) الشعر والشعراء في ليبيا: 203، أعلام ليبيا: 123.

(4) راجع الوثيقة في شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز الجهاد.

(5) أعلام ليبيا: 124.

ويبدو أن الشيخ أُكره ـ بعد أن غزت إيطاليا ليبيا ـ على قول بعض الأمداح الشعرية في الغاصبين، وفي الإشادة ببعض مناسباتهم الكريهة؛ فنظم مكرهاً ما لا يؤمن به في أعماقه وطواياه؛ في الوقت الذي كان يحرر فيه سراً ـ كما ذكر الأستاذ محمد الأسطى، ـ رسائل إلى إخوانه المهاجرين في مصر وسوريا بتوقيع ليبي متألم، يظهر فيها فظاعة الإيطاليين وقسوتهم في إبادة الشعب الليبي وتجريده من أملاكه وممتلكاته، وأخبر أيضاً أن بعض هذه الرسائل نشرت بذلك التوقيع في الصحف المصرية والسورية وقتذاك[1].

وقد عين الشيخ محمد المسعودي عقب نشوب الحرب العالمية الأولى، وعودة الشيخ سليمان الباروني سنة (1335/ 1916) كاتباً وإماماً مرشداً للمجاهدين، وصدرت في ذلك وثيقتان، الأولى من سليمان الباروني وإلى وقومندان طرابلس، والأخرى من أنور باشا ناظر الحربية التركية[2].

وقد أفاد الشيخ المسعودي الحركة الفكرية والتعليمية والأدبية في ليبيا من خلال المهام المختلفة التي تولاها في التعليم والإمامة والقضاء، كما ترك عدداً غير قليل من المنظومات وبعض الأشعار التي اشتهر بها في حياته. وكانت وفاته في سنة (1372/ 1952)[3].

وقد شهد له الشيخ محمد كامل بالعلم، ودعا له بالفتح بعد أن امتحنه عن غير قصد مدة ساعتين، وجال معه جولة واسعة في أكثر العلوم»[4].

17 ـ الشيخ محمد الضاوي:

وهو الفقيه الزاهد المتصوّف الذي عاش بين سنتي (1267/ 1850) و(1330/ 1911) فقد أخذ علومه في طرابلس الغرب ثم في زاوية أبي ماضي

---

(1) ورقات مطوية: 286 ـ 287، الشعر والشعراء في ليبيا: 203، 204.

(2) راجع كتاب صفحات خالدة، تحقيق زعيمة الباروني.

(3) أعلام ليبيا: 124.

(4) وثيقة المسألة السراجية لشعبة الوثائق والمخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين.

بالجبل الغربي ثم عاد إلى طرابلس لأخذ الكتب والعلوم العالية على أبرز مشائخها في أواخر القرن الماضي والذين كان من بينهم «الأستاذ العلامة المحدّث المفسّر مفتي طرابلس الغرب الشيخ محمد كامل بن مصطفى»[1]. فأجازوه ليتصدر للتدريس في جوامع المدينة مثل جامع الصقع وجامع ميزران؛ ولهذا الشيخ مؤلف صغير مطبوع هو «شفاء الصادي المجرب لمن أراد التقرب» قام على طبعه الشيخ البشير ابن حمزة، وله عدد من المنظومات المخطوطة في الزهد وآداب السلوك[2] وكانت وفاته في سنة (1330/ 1911).

18 ـ الشيخ محمد الطاهر الزاوي البشتي:

وهو من علماء الزاوية وأدبائها في القرن الماضي[3]، وقد عبّر عنه الشيخ محمد كامل بـ«ولدنا الفاضل الأديب»[4] وهو تعبير فيه إقرار بمكانته عنده.

ويظهر أن الشيخ محمد الطاهر أخذ علمه عن شيخه وبلديه، ودرس عليه جملة من الكتب والفنون إما في مدينة طرابلس مستقر محمد كامل أو في بلدة الزاوية التي كان يختلف عليها في بعض الأوقات، وقد وردت الإشارة إلى هذا التلميذ في المجموع الذي كتبه شيخه[5] بمناسبة القصيدة التي كتبها محمد الطاهر يهنئ فيها الشيخ بتوليه منصب الإفتاء سنة (1311/ 1893) وهي القصيدة المطوّلة التي سوف نعرض بعض أبياتها المادحة في فصل قادم.

19 ـ الشيخ محمد العالم الكراتي:

هو الشيخ محمد بن أحمد بن إبرهيم بن خالد الكراتي[6]، أحد مشاهير

---

(1) شفاء الصادي المجرب لمن اراد التقرب (المقدمة).

(2) أعلام ليبيا: 396، دليل المؤلفين العرب الليبيين: 364.

(3) نرجح أن هذا الشيخ هو الذي ترجم له الشيخ الطاهر الزاوي في كتابه أعلام ليبيا تحت اسم الطاهر بن عبد الزراق.

(4) المجموع: ورقة 68، ب.

(5) م.ن: ورقة 68، ب.

(6) جاء هذا التعريف ضمن ترجمة كتبت بمناسبة وفاته.

العلماء في بلاده؛ أخذ بعد حفظه القرآن العلوم على أبرز شيوخ البلاد منهم خاله المسمّى بعمدة الإسلام الشيخ محمد علي بن موسى، والشيخ محمد فاضل الشنقيطي، والعلامة الشيخ محمد كامل بن مصطفى، ثم تصدر للتدريس والإفادة بعد أن أجازه أشياخه فدرّس بجامع ميزران، ومدرسة أحمد باشا، ثم انتقل إلى مدينة مسلاته حيث أسس فيها مدرسة لبث ما أخذه عن أشياخه من علم، وقد ترك تآليف أخبرني ببعض أسمائها ولده العلامة الشيخ أحمد الكراتي[1] ـ رحمه الله ـ فذكر منها ألفية في النحو والصرف، وله عليها ثلاثة شروح، وله حاشية على تاودي العاصمية في الفقه على مذهب الإمام مالك، وحاشية على ابن عاشر، وشرح على حكم ابن عطاء الله، كما ذكر أن له في علم التوحيد ثلاث منظومات، وكان انتقاله إلى جوار ربه بعد تأثير في الحياة التعليمية مشكور في صبيحة يوم الأحد الثامن من ربيع الأول (1354/ 1935).

20 ـ الأستاذ محمد فرحات الزاوي:

من أبرز المثقفين الذين نهضوا بأدوار بارزة في السياسة وحركة الجهاد في ليبيا، يقول الشيخ الطاهر الزاوي «ولد بالزاوية[2] ونشأ بها وأخذ العلم والفقه عن مفتي طرابلس الأكبر الأستاذ محمد كامل بن مصطفى، وذهب إلى فرنسا فتعلم اللغة الفرنسية، ودرس علم الحقوق خمس سنوات، ثم رجع إلى طرابلس»[3].

ومما أخبرنا به الأستاذ المؤرخ مصطفى عبد الله بعيو في بيته في أثناء إقامته بتونس[4] أن الشيخ محمد كامل بن مصطفى كان السبب المباشر في ذهاب

---

(1) من العلماء الذين أدركناهم في الستينيات، وكان عالماً واسع الاطلاع، قوي الذاكرة، مشاركاً في العلوم، على الرغم من أنه صرف بصوارف الحياة عن التفرغ للعلم. وقد شغل وقتئذ منصب نائب المفتي الشيخ عبد الرحمن القلهود.

(2) هي البلدة التي ولد فيها شيخه ابن مصطفى، وقد تقدمت الإشارة إليها. باسم الزاوية الغربية.

(3) أعلام ليبيا: 251.

(4) كنت رفقة صديقي الباحث الأستاذ عمار جحيدر ضمن حضور الندوة العلمية التي انعقدت بتونس لدراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة العثمانية، تحت إشراف مركز الدراسات العثمانية.

تلميذه محمد فرحات الزاوي إلى فرنسا للدراسة، وإتقان اللغة الفرنسية وتعلّم القانون، وقد تقلّد الأستاذ محمد فرحات الزاوي بعد عودته من فرنسا منصب القائمقام بالشاطئ في فزان، كما اختير ليكون عضواً في مجلس المبعوثين (المبعوثان) في استنبول، وكانت له المواقف والأدوار المشهورة والمتعددة في ذلك المجلس قبل احتلال إيطاليا وبعده، كما عُدَّ من أبرز القادة المسيرين للحرب ضد الهجمة الإيطالية، وبخاصة في السنوات الأولى من الجهاد، وانتخب في سنة (1339/ 1920) عضواً في مؤتمر غريان، وأيضاً في الحكومة الوطنية هيئة الإصلاح المركزية وقد توفي في سنة (1344/ 1925) عن سنة متقدمة[1].

21 ـ الأستاذ محمد الفقيه حسن:

وهو ابن الكاتب الأديب أحمد الفقيه حسن (الجد) الذي تقدمت ترجمته ضمن تلاميذ مترجمنا، فيكون الأب والابن ممن أخذ عن الشيخ وأفاد منه، وقد تلقى الأستاذ محمد الفقيه حسن ـ كما أخبرني أستاذي علي الفقيه حسن علم التوحيد والعقيدة في أخريات حياة الشيخ في جامع أحمد باشا، وكان معجباً به وبسمته وأخباره التي رواها له ولأخيه الأستاذ أحمد الفقيه حسن الحفيد الشاعر.

وقد تولّى محمد الفقيه حسن العديد من المناصب والوظائف منها وظيفة مستشار محكمة الاستئناف في عهد راسم باشا، ورئاسة الهيئة الاتهامية وغيرها من المناصب التي أظهر فيها المقدرة التامة والنزاهة والعفة، وكانت له المواقف الوطنية المشرفة في مجابهة العدوان الإيطالي الغاشم، وفي مواجهة أعوان السياسة الإيطالية على نحو ما هو مسجل في كتب التاريخ والدوريات[2].

وعلى الرغم من أنه حكم مرتين حكماً نزيهاً في قضية الشيخ سليمان

(1) أعلام ليبيا: 322.
(2) راجع جريدة اللواء الطرابلسي.

الباروني في أواخر العهد العثماني الثاني، فإن الشيخ سليمان الباروني الذي كان من أدرى الناس بصدقه ونزاهته ووطنيته كان مقترح اسمه في مجلس الثمانية نائباً عن المدينة[1].

22 ـ الشيخ مختار الشكشوكي:

من العلماء الذين أدركوا الشيخ محمد كامل بن مصطفى وأخذوا عنه، ثم كان لهم التأثير البعيد في التدريس ونشر التعليم، زيادة على المواقف السياسية فقد حفظ القرآن الكريم، ثم شدا العلم في بلاده طرابلس وكان من مشائخه الذين استقى من حياضهم الشيخ محمد كامل، وظل زمناً على الاستفادة منه إلى أن رحل إلى الأزهر، ثم عاد ليتولى التدريس في زاوية الكاتب وشائب العين وعثمان باشا، كما درس في مدرسة المعلمين التي أسستها الحكومة العثمانية، وقد عين في حدود سنة (1332/ 1913) سكرتيراً لمفتي طرابلس وقتذاك الشيخ عمر المسلاتي، ثم اعتقلته السلطات الإيطالية الجائرة لمواقفه في سنة (1336/ 1917) وسرح بعد سنتين عقب اتفاق المبادلة الذي تمّ بين المجاهدين والحكومة الإيطالية فعين سنة (1337/ 1918) عضواً في المجلس الشرعي للجمهورية الطرابلسية، كما عين سنة (1338/ 1919) قاضياً في ترهونة[2]، ثم عضواً بالمحكمة الشرعية إلى سنة (1355/ 1936) حيث عاد للتدريس الذي تكون به فيه جلّة من رجال البلاد، وهو مع هذا كله، كما يقول تلميذه الشيخ العالم محمود عمر المسلاتي «عمدة في الفقه وحجة في الفتوى والأحكام، كان رحمه الله في درسه لا يتكلف التعبير، ولا يقصد إلى التحبير، قوي الذاكرة، حاضر البديهة»[3].

---

(1) نقلاً عن الأستاذ علي الفقيه حسن.

(2) من مقال كتبه الشيخ محمود عمر المسلاتي بتاريخ 15/9/1950 راجع أيضاً نموذج الأعمال الخيرية 459.

(3) م.ن. 15/19/1950.

23 ـ الشيخ مصطفى الخازمي:

لم نهتد إلى معلومات وفيرة عن هذا الشيخ الذي دلّت بعض الروايات عن أخذه عن الشيخ ابن مصطفى، وقصارى ما وصلنا إليه أنه كان من طبقة تلاميذه ومن علماء مدينة طرابلس في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، وقد أشارت جريدة الترقي إلى توليه مهمة التدريس في أدرنة بعد أن وصفته بالعلم والفضل، كما ألمحت إلى أنه كان قبل هذا المنصب محرر مقاولات بداية ولاية طرابلس، وذكرت أنه جدير بما أسند إليه وتمنت زيادة الترقي له[1].

24 ـ الأستاذ مصطفى بن زكري:

السياسي الأديب المولود في مدينة طرابلس الغرب، وهو من جملة الأدباء والشعراء الذين وردت وتعددت الإشارات إلى أخذهم عن الشيخ محمد كامل وتأهلهم به، ومصطفى بن زكري كما وضّحت هذا مفصلاً في كتابي عنه[2]، أديب متفنن متميز في محيطه الأدبي في النصف الأخير من القرن الماضي.

اشتهر بأشعاره الرقيقة التي طبعت في ديوان صغير باسمه، كما أنه تقلد الكثير من الوظائف الإدارية منها رئاسة مكتب الفنون والصنائع، وعضوية مجلس ولاية طرابلس الغرب، ولعب أدواراً في السياسة، وكانت وفاته في سنة (1336/ 1917)[3].

25 ـ الشيخ مصطفى الهوني:

وأصله من بلدة هون؛ ويبدو أنه حلّ بمدينة طرابلس في النصف الأخير من القرن السابق لاستكمال علومه في مدينة طرابلس الغرب التي شهدت آنذاك

(1) جريدة الترقي العدد 37 ـ 18 ذي القعدة 1315.
(2) مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه.
(3) راجع في ترجمته كتابنا المذكور، وما كتبه الشيخ الطاهر الزاوي في أعلام ليبيا: 340 وعلي مصطفى المصراتي في أعلام من طرابلس: 225، دليل المؤلفين: 471.

حركة علمية نشيطة، والاستزادة من فهوم الشيوخ فيها الذين كان في عدادهم الشيخ محمد كامل بن مصطفى[1].

وقد استقى مصطفى الهوني من موارد المدرسة الكاملية، وانتفع بعلومها، وكان من دلائل إعجابه بشيخه محمد كامل وتدريسه أن سمى ابنه الأكبر باسمه اعترافاً بفضله وأياديه، وجيلنا لا يجهل الأستاذ محمد كامل مصطفى الهوني الذي شارك في المحاماة وفي الصحافة بأدبه ومقالاته الكثيرة. ويبدو أن الشيخ مصطفى الهوني كانت له مشاركات في جملة من العلوم شأنه في ذلك شأن زملائه في التحصيل والتلقي من الشيوخ والأساتذة الذين ذكرناهم، وقد أشير إليه في الرحلة المعينية لماء العينين الشنقيطي بأنه «خاتمة الحفاظ المهرة في القراءات»[2]، كما ذكر لي عمي الشيخ السنوسي محمد جبران الذي تتلمذ على الشيخ مصطفى الهوني ما عرف به أيضاً من الذاكرة المدهشة والحافظة العجيبة، المتميزة بالرواية والاستذكار.

هؤلاء هم مشاهير تلاميذ علامتنا، وحملة علمه ممن ذكرتهم المصادر والمراجع، أو وقفنا على أخبار تحصيلهم من مناهله عن طريق الرواية والسماع، وهناط طبقات كثيرة أخرى لم تصلنا أسماؤها وأخبارها كما لم يتسع المجال لسردها وتقصّي ما يتصل بها، وهي ليست منتمية إلى البلاد الليبية فحسب، بل ينتمي بعضها إلى البلاد العربية التركية وغيرها من ديار الإسلام، من طلبة العلم الطارئين الذين كانوا يفدون إل مدينة هذا العالم، كما أنها ـ من الناحية التخصصية ـ ليست مقصورة على طائفة علماء الدين واللغة العربية والعلوم التقليدية وسداتها، بل تمتد إلى جماعات ذات اختصاصات واهتمامات أخرى في فنون مختلفة، انتفعت بعلوم الشيخ وحماسته وتوجيهاته في مجالسه المتنوعة، وقد أشار الرحالة الحشائشي إلى طبقة أعيان البلاد والضباط

---

(1) مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه: 94.

(2) نقلت هذا من خط الأستاذ عمار جحيدر الذي نسخ النص من أصل المخطوطة الموجودة بالخزانة العامة بالرباط ـ ميكروفلم 80.

العسكريين الذين رآهم في أحد دروس هذا العلامة المصلح.

ومن هذه الإشارة العجلى إلى تلاميذه الكبار على مختلف منازعهم وأدوارهم في الحياة، يتبين لنا دور الشيخ محمد كامل في بعث الحياة الفكرية بطرابلس الغرب بل بليبيا، ومقدار التحول الواسع الذي تم بفضل جهوده في مجالات التعليم والتدريس والسياسة والقضاء الشرعي والتأليف والصحافة والإدارة المدنية والعسكرية، إنه دور هادئ مؤثر يضارع أدوار المصلحين في العالم الإسلامي من أمثال قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش الذي تخرجت به طبقات عالية من العلماء والساسة في الجزائر، ويماثل التحول الثقافي والإصلاحي الذي أحدثه الشيخ الطاهر الجزائري في الشام، والذي كان له الفضل في ظهور حركة كبار القادة والعلماء والمصلحين.

جـ ـ في مجال القضاء والفتيا:

كذلك شملت حركة التنظيمات في فترة عطائه وتأثيره التي أعقبت عودته من مصر، واستمرت إلى تاريخ وفاته الوظائف والخطط الدينية في الوعظ والإرشاد والقضاء والإفتاء، من خلال الدعوة إلى تحديث طرائق هذه الخطط والمؤسسات، وتطعيمها إدارياً بما استجد في هذا العصر من معطيات جديدة، ووضع اللوائح والنظم العصرية المتأثرة بأوروبا، أو المستحدثة فيها بحكم العمران البشري والمدني الجديد، مع التأكيد على الدعوة إلى الخروج بالواقع الإسلامي من طور الخرافات والبدع، وصور التخلف الاجتماعي الذي نسب قسراً للإسلام وهو بريء منه.

في الحق فإن محمد كامل بن مصطفى تحلّى في ظل ذلك التحديث الذي نجم عن حركة التنظيمات العثمانية بنظرة إسلامية واضحة معتدلة، غير منساقة انسياقاً كاملاً وراء ما يسمى تحديث التفكير الديني أو تطوير مجال القضاء، متشبثاً في هذه النظرة بروح الإسلام الصحيح في مصادره الأصيلة من الكتاب والسنّة، والراجح الصحيح من أقوال الأئمة الأعلام من علماء الإسلام، مطرحاً

الخرافات والبدع والأوهام التي أملاها الجهل والتأخر خلال العصور التي منيت فيها الأمة الإسلامية بالتخلف والانحطاط الفكري.

فقد كانت دروسه الوعظية التوجيهية ـ كما أسلفنا ـ لا تكاد تتجاوز تفسير القرآن الكريم الذي وضع فيه حاشية على تفسير الإمام البيضاوي والتي أسماها مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل، وشرح الحديث النبوي الشريف الذي أجيز فيه من العلماء الثقاة، مع شرح كتاب الشفا في حقوق المصطفى الذي أجيز فيه هو الآخر من بعض أساتيذه وشيوخه، مع ما كان يحرص عليه من الإفتاء وتدريس الفقه، والرقائق التي تؤثر مواعظها في العامة بالتبشير والتنفير أو الترغيب والترهيب.

لقد كان المترجم كما ذكرنا عالماً واعياً متفتحاً على روح عصره وقضاياه، ومتصلاً بالحركة الفكرية الإسلامية في أشهر عواصمها مصر وتونس والآستانة والحجاز، والداعية إلى نشر الإسلام المصفى الذي يوجه الحياة والإحياء، ويقود الأمة إلى التقدم والحضارة الأصيلة، والمنادية بأن يكون للمسلمين كيان في هذا الصراع الدولي الرهيب يتحدى الكيانات المسيحية واليهودية، لقد كان هذا الشعور الصادق، والتفكير الإسلامي الموضوعي هو وحده الذي يهيمن على اهتمامات مترجمنا في دروسه التعليمية وفي دروسه الوعظية التوجيهية، والذي يسيطر على توجهاته ضمن الخطط الدينية التي تولاها سواء في مجلسه وخطبه في جوامع مدينة طرابلس مثل جامع قرجي وجامع شائب العين، وجامع أحمد باشا، وجامع عثمان باشا وجامع الناقة وغيرها[1] أم في الوظائف القضائية والفتيا، وعضويته في مجلس إدارة الولاية.

لقد تولى محمد كامل منصب القضاء في ولاية طرابلس الغرب بعد مرور سنوات من مجيئه إليها من مصر، ومن المعروف أن هذا المنصب من المناصب المتقدمة في مؤسسات الدولة العثمانية، حيث كان يلي بعض اختصاصات الوالي

(1) راجع كتابه «المجموع». علي الفقيه حسن «الأستاذ محمد كامل بن مصطفى».

في المكانة والأهمية، بل يعدّ القاضي نائباً عنه عند غيابه، ومن أبرز أعضاء[1] مجلس الإدارة للولاية، كما أنه كان بالإضافة إلى ذلك «يتولى رئاسة محكمة الاستئناف، وتسند إليه مسؤوليات أخرى كرئاسة لجنة المعارف[2].

وقد خضع النظام القضائي في ظل تلك التنظيمات وحركة التحديث التي جرت في أواخر عهد الدولة العثمانية إلى شيء من التعديل وإعادة الصياغة في الهيكلية المتأثرة بالأساليب والأطروحات المستجدة في التعامل الاقتصادي والعمراني وغيرهما، مما أوجد ضمن دائرة هذا التحديث محاكم جديدة إلى جانب المحاكم الشرعية المعهودة في حياة المسلمين مثل محاكم «الصلح التي أسست في القرى والمدن الصغيرة، وكان قضاتها أم محكموها يختارون من بين الأعيان، واقتصرت أحكامها على المبالغ المالية الصغيرة، ومحاكم البداية التي تتولى المسائل المدنية والتجارية الأكثر أهمية، ومحاكم الجنايات التي كانت تتولى مسؤولية الفصل في المخالفات ذات الطابع الجنائي ومحكمة الاستئناف التي كانت تتولى قضايا الاستئناف»[3].

ويظهر أن هذا التحديث على ما أوضح الدكتور صلاح السوري قد جوبه من قضاة الولاية الشرعيين ومن العلماء فيها بموجة من الاستنكار على الرغم من إن هذا التحديث لم يقلل كما ذكر «من أهمية المحاكم الشرعية، ولم ينل من منزلة قضاتها في المجتمع»[4].

فقد احتج هؤلاء القضاة على هذه البدعة غير المألوفة، واستنكروا استحداث هذه المحاكم الجديدة التي اعتقدوا أنها سوف تحكم بغير ما أنزل الله، بل لم يقتصروا على هذا الازورار من هذا الأمر المستحدث، والضيق من

---

(1) ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني: 31.
(2) م.ن: 31.
(3) «تحديث المؤسسات التعليمية والقضائية والدينية في ولاية طرابلس الغرب 1835 ـ 1911، مجلة البحوث العدد 2 السنة 5، 1983.
(4) م.ن.

إظهاره في ظل الدولة العثمانية فحسب وإنما تقدموا إلى الولاية «وأعلنوا رأيهم بوضوح للوالي، وأعلموه أنه فيما عدا محاكم التجارة فإنهم لن يقبلوا بأية محاكم غير المحاكم الشرعية»[1].

وقد حاولت جاهداً أن أتبين وجهة مترجمنا الإصلاحية في هذا التحديث باعتباره كان في طليعة القضاة وقتئذ، فلم أعثر على ما يوضح موقفه سوى تقييد واحد عثرت عليه في المجموع[2]، وهو الذي أظهر فيه استياءه من أن يلتجئ المسلم إلى الحكم بغير ما أنزل الله، أو أن يستعين بقوانين وضعية تتنافى مع روح الشريعة الإسلامية، ولعله أورد هذا الحكم عينه في كتاب الفتاوى.

وقد أثبت محمد كامل هذا الموقف، الذي يدل ـ بلا ريب ـ على عدم انسياقه وراء التحديث والتغريب، كما يدل على استقلالية نظرته واعتداله في الإصلاح، عقب إثباته للفائدة المهمة المتصلة بقضية الأموال، والتي استطرد فيها ذكر مسألة العقوبة بالمال وما نشب فيها من خلاف بين علماء تونس والشيخ البرزلي في عام (828/ 1424)، والذي يعنينا من هذه المسألة تعقيبه وتذييله عليها متصلاً بموضوع تحديث القضاء حيث قال «ومنه يعلم الحكم فيما اخترعوه في زماننا الفاسد من القوانين المصادمة للشريعة الغراء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[3].

وظاهر من هذا الاستنكار تمعره من استحداث محاكم واستجلاب قوانين وضعية لها، واستنكافه من أن يحكم في دولة إسلامية بغية الشريعة الإسلامية، ولم يكتف محمد كامل بذلك القول الذي أظهر فيه موقفه من تحديث القضاء، بل أورد حكاية دالة، وخبراً مفحماً، أخبره به أحد القضاة من أصدقائه، أجرى الله فيه الحق على لسان أحد النصارى ليكون من الأجوبة المسكتة[4]. ونحن

---

(1) المصدر السابق.

(2) المجموع:

(3) سورة البقرة، الآية: 156.

(4) راجع المجموع.

نورده هنا لأهميته من جهة، ولأنه يدعم ما ذهبنا إليه من القول أن محمد كامل وقف بالرغم مما عرف به من حبه للإصلاح متحرجاً بل مستنكراً لما لم يتمش مع غايات الإسلام وروحه قال ـ رحمه الله ـ «ولقد أخبرني السيد مصطفى عاشر قاضي طرابلس الغرب سنة ثمانين ومائتين وألف أنه حين كان في بيروت الشام قاضياً أورد رجل نصراني من نصارى بيروت على جماعة من المسلمين سؤالاً حاصله: ما تقولون في ربكم أعدل هو؟ قالوا نعم هو عدل، ويستحيل عليه الجور، فقال ما تقولون في نبيكم محمد عليه السلام هل هو عدل؟ قالوا نعم، فقال ما تقولون في القرآن العظيم الذي نزل عليه ﷺ وفي سنته الشريفة التي اشتملت عليها الكتب الصحاح، هل ما اشتملت عليه من الأحكام حقّ وصدق وعدل؟ قالوا نعم، قال فما بالكم في هذا الزمان قد عدلتم عن تلك الأحكام الشرعية إلى القوانين، وزعمتم أن الحكم بها هو عين العدالة؟ فأفحمهم ولم يجدوا له جواباً»[1].

ذلك هو مجمل ما عثرنا عليه من موقفه الإصلاحي في خطة القضاء، وهو كاف لإعطاء صورة دقيقة وواضحة عن توجهاته الإصلاحية المعتدلة والثابتة، وتحفظه من ظاهرة التحديث الذي لا يسير وفق التصور الإسلامي.

وفي تقديرنا أن هذا الموقف الصريح كان مهيمناً على توجهاته الإصلاحية حتى حينما سمى في أخريات حياته مفتياً؛ فقد كان فيه أكثر تشبثاً بهذا الالتزام وأشد تمسكاً بأن يكون ما أنزله على نبيه، وما أوضح به رسول الله المجمل مما أنزل عليه، وما اجتهد به الأئمة بالقياس والاستئناس في النوازل والقضايا المستجدة هو المهيمن على أحكامه وفتاويه التي يحررها ويجيرها أو يباده بها ويمليها؛ يطلعنا على ذلك كتابه النفيس «الفتاوى» الذي كان مظهراً مشرفاً للتحري والتثبت والمراجعة الدائمة والورع الظاهر، والخاتمة التي أودعها بعض المحاضر والسجلات، التي ذكر أنها نافعة للمفتي إن شاء الله.

(1) م.ن.

الفصل الثاني

شخصيته

كان الشيخ محمد كامل ـ كما **أجمعت الروايات** ـ حسن الهيئة، رائع السّمت، بديع الصورة، كامل الخلقة، عظيم الخلق، وقد رأيت في صدر كتابه المفقود «فتح الودود في حل نظم المقصود» هذا التعريف الذي يدل على ما جاء في تلك الروايات **الشفاهية** ويزكيها «العالم العلامة، المحقق الفهامة، من منح الحسن خلقاً وخلقاً، واشتهر فضله غرباً وشرقاً»(1).

والناظر في أخبار هذه الشخصية، وفي الأخبار المكتوبة والمروية حوله، يتبين تميزها بثلاث مزايا رئيسة، تشكلت بها، وانبنت عليها، وهذه المزايا هي:

أ ـ المزية العلمية.

ب ـ المزية الروحية.

جـ ـ المزية الأخلاقية.

أ ـ أما المزية العلمية، وهي أبرز طوابع هذه الشخصية، فيراد بها ما عرف به الشيخ في الأوساط العلمية في ليبيا وفي خارجها من وفرة تحصيله، وحسن تلقيه المعارف، وما ناله من علماء المشرق والمغرب من إجازات ومناولة، ثم كمال

(1) راجع ملحق هذا الكتاب.

تبليغه في تخريج الطلاب والعلماء والملاحظ على الأسس التكوينية في ثقافته السّعة والتفتح، فقد تأهلت بالاطلاع على الكثير من المذاهب الإسلامية، وبالاستفادة من آراء واجتهادات القدامى والمحدثين من علماء الإسلام، وبالانتفاع بالمعطيات المختلفة من الرحلات المتعددة، ومن قضايا العصر والسياسة؛ وقد بلغ بهذه المزية شأواً تميز به على الكثير من علماء عصره في النطاق العربي، وفي النطاق الإسلامي، وقد شهد له بذلك عدد غير قليل من علماء الإسلام، نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر العلامة الشيخ عبد الرحمن البوصيري من أبرز تلاميذه النابغين الذي وصفه بأنه كان «أعلم علماء أهل السنة بطرابلس»[1] كما وصفه شقيقه الشيخ محمد البوصيري بأنه «محيي العلوم في هذه الولاية»[2].

وشيخ الإسلام بتونس المفتي العلامة أحمد بن الخوجه الذي نعته بـ«الفاضل الهمام، العالم الجليل سيدي محمد بن محمود، رئيس علماء طرابلس الغرب»[3]، ونعته شيخه العلامة محمد المهدي ابن سودة المغربي ـ كما تقدم ـ بقوله: «فإن ممن طلع في فلك العلوم بدراً، ولاح سعده ضوءاً وفجراً الفقيه العالم اللبيب اللطيف الخير الدين السيد محمد ابن الشيخ مصطفى بن محمود بن يوسف بن سليمان الطرابلسي»[4].

ب ـ ويراد بالمزية الروحية ما أخذ به نفسه من التربية الروحية والعقدية، ومن الرياضة النفسية والسلوكية التي أفضت به دون شك إلى تحسين صلته بالله باتباع الأوامر، واجتناب المناهي، والعمل للآخرة بالمقدار الذي عمل به للدنيا في حدود تعاليم الشرع الشريف، وذلك ما تأتي بإقامة الفروض، وعمل الطاعات امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[5] لا جرم أن العلم

---

(1) ضمن وثيقة مكتوبة بتاريخ سنة (1332/ 1913) وموجودة ضمن وثائق دار المحفوظات التاريخة بطرابلس.

(2) جريدة الترقي: العدد 10/ 1315هـ.

(3) نسخة المترجم من كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي الموجودة بمكتبة الأوقاف بطرابلس تحت رقم 3011 عام 2، 932 خاص.

(4) إجازته الموجودة: شعبة الوثائق والخطوطات. مركز دراسة جهاز الليبيين.

(5) سورة الذاريات، الآية: 56.

الذي لا يوصل إلى هذه الغاية الكبرى إنما هو علم منقوص مبخوس الحظّ. وقد التزم محمد كامل في تحقيق هذه المزية في شخصيته بالعمل بما جاء في الكتاب والسنّة المطهرة، من الدعوة إلى مداومة التعبد، وملازمة الدعاء والتضرع، وحبّ الرسول وآل بيته وعترته ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

وفي المجموع تبيان صريح لحبه الصحيح للرسول ﷺ، وتجلية ظاهرة لمكامن شعوره الفياض نحو الذات الزكية ومن يلوذ بها من الأهل والذرية ومن ينتسب لعترتها الطاهرة، ومن يمتّ لها بماتة نسب؛ وذلك عنوان مفصح عن خوالجه الروحية، وأشواقه النقية التي لا يحسن الإيمان إلا بها[2].

فقد كتب على شجرة شرف لأسرة من الأسر الشريفة ما ينمّ عن هذا الشعور؛ وسرَّ كثيراً بأن هذه الكتابة كانت مناسبة لإدراج اسمه في هذه الشجرة أو الثبت حيث قال: «فأحببت أن يكتب اسمي مع جلة أسمائهم راجياً ببركتهم، وبركة جدهم أفضل الخلق ـ صلى الله عليه وعليهم أجمعين ـ أن لا أكون محروماً من شفاعته، وشفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وموصياً لكل من يقف على هذا من الإخوان أن يتضلع من محبة أهل البيت، وأن يتعلق بأذيالهم، وأن يكرمهم، ويحترمهم ويوقرهم ويعظمهم»[3].

فهذا مجلى روحي من مجالي شخصية المترجم المتفانية في حب الله بحب رسوله وآل بيته امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[4].

ولم يقتصر في إظهار التعظيم والتوقير على سوق تلك الكلمة التي كتبها على شجرة الشرف؛ بل طالعنا بأبيات وشعر عبر خلالهما عن هذا التعلق؛ وأبرز فيهما غرامه بالمصطفى وعترته الطاهرة مثل قوله[5]:

(1) سورة آل عمران، الآية: 31.
(2) المجموع: ورقة 29، ب.
(3) م.ن: ورقة 29، ب.
(4) سورة الشورى، الآية: 23.
(5) المجموع: ورقة 29، ب.

تـزود حـب آل الـبـيـت واجـعـل مـودّتـهـم لـيـوم الـحـشـر عـدة

فـلـم يـسـأل رسـول الله أجـراً عـلـى تـبـلـيـغـه إلا الـمـودّة

وقوله[1]:

أهـل بـيـت الـنـبـي الـمـمـجـد طـه سادة الخلق فخرهم لا يضاهى

قـدمـوا نـسـبـة سـمـت واسـتـنـارت كـيـف لا وهـو شـمـلـهـا وضـحـاهـا

نـسـبـة الآل نـسـبـة لا تـضـاهـى إذ إلـى سـيـد الـورى مـنـتـهـاهـا

في ذرّ الـمجد قد علت وتسامت وبـهـا مـن حـوى عـلاهـا تـيـاهـا

نـال مـن الـورى فـخـاراً ومـجـداً وسـمـا رتـبـة بـنـسـبـة طـه

آبـه أفـصـحـت عـن عـلاهـم وبـدا طـهـرهـم بـنـور سـنـاهـا

وغـدت آيـة الـمـودة تـهـدى سـامـعـاً لـلـوداد أو مـن تـلاهـا

كما التزم حسب ما جاء في المجموع الذي سطره بقلمه بالطرائق التعبدية الروحية، الواردة في ثلاث طرق صوفية اثنتان منهن قديمتان والأخرى حديثة، أما القديمتان فهما الطريقة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني[2] أو الجيلي كما ذكر في المجموع، وقد أجيز فيها إجازة خوّلته أن يكون من أعلامها، وأن يجيز بها شيخ الإسلام في تونس العلامة أحمد بن الخوجة وبعض أقاربه[3]، والطريقة الشاذلية[4] التي لقنه إياها الشيخ عبد الله السني وألبسه للانخراط فيها الخرقة سنة

---

(1) م.ن: ورقة 29، ب.

(2) عبد القادر الجيلاني، هو مؤسس الطريقة القادرية المشهورة، وكان متزهداً ولد في جيلان سنة 471، وتوفي في بغداد سنة 561، اشتغل بالتدريس والتوجيه، وترك عدداً من المؤلفات، وانتشرت طريقة التعبدية مشرقاً ومغرباً، وكتبت حوله العديد من الدراسات، راجع الأعلام: 4: 47.

(3) المجموع: ورقة 56، أ.

(4) نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي العارف بالله المولود سنة (593/ 93م) والمتوفى سنة (656/ 1258) راجع أ كتبه عنه وعن الطريقة الشاذلية الدكتور عبد الحليم محمود تحت عنوان أبو الحسن الشاذلي الصوفي المجاهد والعازف بالله».

(1293/1876)[1] والأخرى حديثه بل معاصرة له، وهي الطريقه السنوسية الخطابية للشيخ محمد بن علي الخطابي، وهي التي أخذها عن جملة من مشاهير مريدي الشيخ المذكور من أمثال الشيخ عبد الله السني والشيخ محمد الطاهر الغدامسي والشيخ العالم الحاج أبي القاسم العيساوي الذي لقنه الورد الكبير والصغير، كما جاء تفصيل شيء من ذلك في المجموع[2].

وقد انعكس أثر هذا الجانب الروحي أو المزية الروحية في الكثير من نثر المترجم ومن نظمه، وتتجلى أوضح ما تتجلى في منظومته الهائية في الاستغاثة التي ذكر أنها «تقرأ عند الشدائد لتفريج الكرب»[3] ونجتزئ هنا في تبيان حرصه على تحقيق هذه المزية ببيتين قالهما في مناسبة ضمن فيهما اقتباساً من القرآن الكريم، قال: «ومما جرى على لسان الفقير في بعض الخلوات مقتبساً»[4].

يا مَنْ على الطاعات والحسنى وقف   يا مَنْ عصا المولى وحارب وانحرف
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف   هلا انتهيت فإن كل من اقترف

جـ ـ على أن المزية الثالثة الأخلاقية لا تستقل بنفسها، وإنما هي على التحقيق وليدة المزيتين السالفتين، فقد تهذّبت طباعه، واستقام سلوكه بتهذيب العلم، وشفافية الروح والتقوى، وظهر أثر ذلك في معاملته التي حمدها له من عرفه ومن عاصره من الحكام والمحكومين.

وبفضل تلك المزايا التي تقوّمت بها شخصيته عاش ـ رحمه الله ـ مهاباً موقراً، أحبه كل من عرفه، وتعلق بمحاسنه كل من قدر له اللقاء بذاته وفرض احترامه بعلمه وفضله وخلاله النفسية، وقوة شخصيته على كل الطبقات الاجتماعية المتباينة التي اتصل بها في طرابلس الغرب، أو في الأمصار والأقطار

(1) المجموع: ورقة 62، أ.
(2) المجموع: ورقة 62، أ.
(3) م.ن: ورقة 45، ب.
(4) م.ن: ورقة 54، أ.

الإسلامية التي زارها وحلّ بها، بل إن احترام الآخرين له تجاوز من لقيه وعرفه من خاصة المسلمين وعامتهم، الذين كانوا يوقرون ورعه وتدينه وتقاه وعلمه، إلى طوائف من النصارى واليهود المقيمين في مدينة طرابلس أيامئذٍ.

أخبرني الأستاذ علي الفقيه حسن ـ رحمه الله ـ نقلاً عن والده(1) والشيخ يوسف شقليلة نقلاً عن الشيخ الصالح علي الغرياني ـ رحمه الله ـ أن اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون في المدينة في أواخر القرن الماضي كانوا يخفون حينما يمر مترجمنا أمامهم لتحيته وإجلاله، وينهضون لتعظيمه وتوقيره، بل كان بعضهم يسارع خفيفاً لتقبيل يده، وكان الشيخ ـ كما وصف ـ رحب الصدر، لطيف المعشر، يبدي عطفه للجميع ويسدي نصحه لمن يقبله، كما أنه لم يستنكف عن بذل عونه للمحتاجين من المسلمين والذميين، ويتحلّى للناس جميعاً بحلية خلق الإسلام.

ومن خلاله النفسية الرفيعة التي تكاملت بها شخصيته التي هي نتاج المزايا السالفة أنه كان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، قائماً بواجب الحسبة في إصلاح الفاسد، وتقويم المعوج، وتوجيه الراعي والرعية إلى الحق، حريصاً في منشطه ومكرهه على الدعوة إلى الله، والنصيحة للمسلمين لا تأخذه في ذلك لومة لائم. ومن اللطائف التي ساقها الأستاذ علي مصطفى المصراتي في بيان نهوضه بواجب الحسبة تجاه بعض الولاة ومن بيدهم أمر الرعية، هذه الكلمة التي تبيّن أسلوبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن التأتي في الدعوة والمجادلة. ذكر الأستاذ المصراتي أن الشيخ محمد كامل رحمه الله كان «لا يحب السهر، ولا يخرج من المنزل ليلاً، ولكن لاحظ الناس مداومته للسهر أخيراً والسهر عند الحاكم التركي، وسئل الشيخ فقال لذلك سر ويا له

(1) قال الأستاذ علي الفقيه حسن في مقالته الأستاذ محمد كامل بن مصطفى في مجلة ليبيا المصورة سنة 1938 حتى أن النصارى واليهود في زمانه كانوا يعظمونه غاية التعظيم، بل وفي بعض الأحايين كانوا يقبلون يديه، ولم يزل على طريقته المثلى آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر».

من سر، لقد ترك الحاكم عادته، وحطّم كأسه، واستحيا من مضايقة الأستاذ له[1].

وعلى الرغم من أن هذه الرواية لم تذكر لنا اسم ذلك الحاكم وزمنه، وما كان من أخباره بعد صلة مترجمنا به، فهي ترشد إلى حقيقة نزعته للإصلاح، وتأثيره في بعض الولاة؛ ويؤيد هذا الذي ساقه الأستاذ المصراتي هذه اللطيفة الأخرى التي وقفت عليها في أحد أعداد جريدة الترقي، والمشيرة إلى ضعف التكوين الديني لبعض الولاة الذين تولوا أمر ولاية طرابلس الغرب من جهة، وإلى الدور الذي نهض به المترجم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة أخرى، قال الكاتب «ومما صار عند العموم من باب الفكاهة المؤلمة أن المرحوم مفتينا الأسبق محمد كامل صاحب الفتاوى الكاملية ذكر مرة بحضرة الوزير الخطير راسم باشا الذي عاش أميراً في الإسلام ثمانين سنة!! حرمة الربا فضحك راسم باشا حتى استلقى على قفاه وقال هذه أول مرةً سمعت فيها من قول بحرمة الربا فكان هذا الجواب، وهذا الضحك تجهيلاً واستهزاء»[2].

وقيامه بواجب الحسبة لا يقصره على الخاصة أو كبار الموظفين ورجال الدولة ممن كانت تجمعه بهم مجالس العمل والمناسبات بل كان يشيعه بين الناس والعامة، ولقد تواترت الروايات على حبه لإصلاح الجمهور بوعظه وإرشاده في مساجد المدينة وجوامعها، ودور التعليم فيها، وفي توجيهه لمن كانوا يحرصون على لقائه واستفتائه، وأخذ مشورته والاستئناس بحصافة عقله وفراسته.

ومن الروايات التي تجسد فيها قيامه بواجب الحسبة هذه الرواية الشفاهية الصغيرة التي تقول: كان في المدينة القديمة بطرابلس الغرب مقهى صغير نظيف يغشاه ـ على عهد المترجم ـ خاصة القوم، وأعيان المدينة، ويتخذونه مأمناً

(1) أعلام من طرابلس: 223.
(2) جريدة الترقي العدد 85 ـ 15 تشرين الثاني 1324.

ومنتدى لأسمارهم، يقع هذا المقهى في فندق مادي حسان[1] في سوق الترك، وكان الشيخ محمد كامل لا يرى غضاضة ولا حرجاً في الاختلاف على هذا المكان، والجلوس في هذا المقهى الصغير الذي يجمعه بتلاميذ البلدة وأعيانها ومن كان يتلمس من الناس مراجعته.

وفي فترة التغلغل السلمي المقيت الذي مهّدت به إيطاليا لاحتلال طرابلس الغرب (ليبيا) بدأ الشيخ يحسّ بدبيب ذلك التغلغل، واستجابة طائفة من الأعيان والأهالي له، وصار يتوجّس خيفة من عواقبه المنتظرة، التي رأى بروزها ومساوئها في تونس ومصر، لذلك ظلّ يحذر كل من يزوره أو يجالسه في ذلك المقهى، وفي غيره من الأماكن من الانخداع بذلك البريق الزائف الكاذب، ومن الانسياق وراء السراب المضل المشت، ويشوِّه له الاتصال بإيطاليا وعملائها، أو التخاطب بلسانها، ويقبِّح كل فعل يضر بمصالح الدولة العلية، والرابطة العثمانية.

حدّثني أستاذي علي الفقيه حسن سماعاً من والده السيد محمد الفقيه حسن (1284/ 1360هـ) الذي كان يغشى ذلك المنتدى قال: جاء ذات يوم إلى الشيخ المفتي محمد كامل أحد أعيان المدينة السيد حميدة الزمرلي، وجلس إلى الشيخ وأخبره أنه عرض عليه عمل في القنصلية الإيطالية، تلك القنصلية التي كانت تبيت الشر، وتتربص بالبلاد الدوائر؛ فتمعّر الشيخ من الخبر، وحذره من مغبة السقوط، ومن العمل مع الكفار ضد المسلمين فلما ألح الرجل في المسألة، وطلب الإذن وعاهد المفتي على ألا تهوى به القدم أذن الشيخ محمد كامل له بالعمل في القنصلية بشرط ألا يدخل إلى قلبه شيء من حبهم، أو الميل إلى التعاطف معهم.

وعلى الرغم من أن تحذيرات علامتنا المصلح ونصائحه في ذلك المقهى،

---

(1) مادي حسان ـ حسب رواية الأستاذ علي الفقيه حسن ـ رحمه الله ـ رجل من السودان كان حلاقاً خاصاً ليوسف باشا القره مانلي.

وفي سواه من الأماكن قد تلاشت بكل أسف من أذهان الكثير من أعيان البلد ووجهائه، بل ومن قلوب بعض تلاميذه الأدنين، ولم تحدث تأثيرها الكامل ـ بالرغم من حرصه ـ في نفوس من أعماهم الطمع، وساقهم الهوى إلى مصارعهم، فإنها تظل مع ذلك علامة بارزة لجهود هذا الرائد الذي لم يكذب أهله، وحذر بكل حماسة من غزو إيطاليا قبل أن يقع بالفعل، ومات قبل أن يكتوى بلهيب ناره الموقده، التي أتت على الأخضر واليابس.

وبعض العلماء في القديم والحديث ينقلبون ـ بداعية الهوى والأثرة والخلود إلى الأرض ـ حساداً متباغضين يسبّ بعضهم بعضاً، ويستنقص الواحد منهم الآخر، ويبخسه حقه، فتراه يحرص على إظهار المعايب، ويعمد بجهالة إلى طمس المحاسن، ومن الخلال النفسية الزاكية التي تقرر في شخصية مترجمنا، أنه عالج هذا الداء حتى برئ منه، وصفت نفسه بالرياضة والمجاهدة من أعراضه الفاسدة؛ فكان يحترم القدماء من العلماء الذين سبقوه زماناً وإحساناً، لا يجوز عليهم ولا يرميهم بشيء مما يقلل من أقدارهم أو يجرحهم؛ بل يراهم جميعاً على خير، فالمذاهب الإسلامية في تقديره هي مجلى اجتهادات العقول الكبيرة في الفروع، ومعرض للعقليات والذهنيات الذكية النشيطة لاستنباط الأحكام من المصادر الشرعية، المعتبرة، فضلاً عما يقرّ به للأئمة الأعلام من التقى والورع اللذين صاحبا العلم الواسع في الاجتهاد.

وقد مرَّ بنا كيف أن أباه قد أرسله إلى الأزهر ليعود فقيهاً ماهراً في الفقه الحنفي، فكان أول من تلقاه في ذلك الجامع من الفقه كتباً في الفقه المالكي، وكيف أنه أخذ في تحصيله في الأزهر علومه على مشائخ مختلفين من الشافعية والأحناف والمالكية وغيرهم، كما أنه عمد في أثناء توليه للتدريس قراءة كتب المالكية إلى جانب كتب الأحناف، وجنوحه في فتاويه المختلفة إلى الاستئناس بآراء واجتهادات الأئمة والمفتين في كل مذهب دون تفريق.

وهنا نحب أن نقف وقفة عجلى مع بعض الباحثين الذين لم يتبينوا هذه

الشيمة أو الخصيصة في شخصية محمد كامل وأخلاقه، ولنوضح ما لبس عليهم في فتوى من فتاويه، فاتهموه بالتحامل على مذهب من المذاهب الإسلامية.

لقد جانب الأستاذ علي مصطفى المصراتي الصواب ـ على الرغم من تقديره للمترجم حيث قال: «وليس لنا ما نعتب به على الشيخ كامل بن مصطفى سوى عدم دراسته لبعض المذاهب الإسلامية، وتحامله على أحد المذاهب الإسلامية، فقد درس فقه مالك وأبي حنيفة، ولكن يظهر لي أنه لم يدرس أحد المذاهب دراسة منهجية وافية، ولهذا كان منه بعض التحامل»(1). وأغلب الظن أن الأستاذ المصراتي قصد بقوله أحد المذاهب الإسلامية في عبارته السابقة المذهب الإباضي المعروف، وربما استند في حكمه المذكور على المسألة الواردة في الفتاوى الكاملية حول أهالي الجبل «جبل طرابلس الغرب، الذين لا يتمذهبون بمذهب من المذاهب الأربعة، ما مذهبهم ومن هو إمامهم»(2).

وإذا صحّ ذلك ذهب إليه الأستاذ المصراتي وعناه، فإن إجابة محمد كامل عن هذه المسألة قد تشير في طواياها إلى عدم إلمامه التام بهذا المذهب الإسلامي، الذي ربما لم يدرسه ـ كما ذهب المصراتي، وذلك لأسباب متعددة قد لا يكون المسؤول عنها وحده ولكنها لا تحمل بحال ما ذكره من التحامل أو بعض التحامل، إذ كيف يتحامل عالم مصلح مثل محمد كامل الذي تميز بسعة الأفق والرغبة في الاستزادة والتحصيل، وكان يسعى دوماً لوحدة الصف الإسلامي والجامعة الإسلامية على مذهب من مذاهب المسلمين في الفقه والاجتهاد ـ وبخاصة إذا سلمنا معه بأنه لم يدرسه دراسة منهجية وافية؟!!

والحكم على الشيء ـ كما هو معلوم ـ فرع عن تصوره، ولا يجود امرؤ إلا بما يجد.

---

(1) أعلام من طرابلس: 223.

(2) الفتاوى الكاملية: أورد ذلك في مقدمة في مسائل من العقائد وما يناسبها.

والقول في هذه المسألة أن الشيخ المفتي محمد كامل بن مصطفى نقل ـ نظراً لعدم وجود مصادر ومراجع هذا المذهب بين يديه ـ كلام العضد[1] في كتابه المواقف في المذهب الإباضي، والذي ذكر فيه «أنهم أتباع عبد الله بن أباض، وأنهم من جملة الخوارج!» قال محمد كامل «وقد قسم في المواقف الخوارج إلى سبع فرق، إحداها الأباضية»[2]. ثم ذكر ما في كتاب المواقف من معتقدهم في المسائل المختلفة، ولم يزد شيئاً عما جاء في كتاب المواقف، ولم يقل ما يخدش المذهب أو ينقصه، بل كان موضوعياً في فتواه، حيث عزا الكلام إلى مصدره القمين بالتحقيق في أحكامه.

ومن الغريب أيضاً أن يقع في هذا الوهم من قبل الشيخ سعيد التعاريتي الجربي أحد علماء الأباضية المحدثين فيؤلف عام (1315/ 1897) وهو العام الذي توفي فيه الشيخ محمد كامل كتاباً سماه «المسلك المحمود في معرفة الردود»[3] تهجم فيه بعنف على مترجمنا، ووصفه بالتحامل ونعت فتواه تلك ـ التي أقر بأنه لم يطلع عليها ـ بالفساد قال ـ رحمه الله ـ «إنه لما انتشرت في هذه المدة، وهي أوائل عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف، وأنا وقتئذ بجبل نفوسة بصدد طلب فتاوى للشيخ محمد بن مصطفى مفتي طرابلس الغرب، أشعلت على نسبة أهالي الجبل المومى إليه إلى الفرق الضّالة، وإضافة مقالات لهم ليسوا بقائلين بها، ولا كتب مذهبهم عليها دالة، ولعل قصده ـ والله تعالى أعلم بذلك ـ تنفير بعض الجهلة عن سلوك تلك المسالك، التمس مني بعض الإخوان ـ أصلح الله لي وله الشأن ـ أن أتأمل فيما ذكره، واعتمد عليه وحرره، وأن أقيد في ذلك ما ظهر لي من ردّ وجواب، وأن

---

(1) هو عبد الرحمن بن أحمد عبد الغفار إلا يجي من العلماء وأصحاب الآثار والتآليف منها المواقف في علم الكلام والرسالة العضدية وجواهر الكلام، وأشرف التواريخ، والمدخل في علم المعاني وتبيان والبديع راجع الأعلام: 3: 295.

(2) الفتاوى الكاملية: مقدمة في مسائل من العقائد وما يناسبها.

(3) نشر هذا الكتاب بتونس سنة (1315/ 1897) وقد أطلعت عليه في أثناء زيارتي لقرى وادي ميزاب في الجنوب الجزائري سنة (1399/ 1979) في مكتبة معهد الحياة بالقرارة.

أبين فساد ما أسنده إليهم مما برئ منه الأصحاب، ليمتاز الخبيث من الطيب، والصحيح من العليل، ولمن انتصر بعد ظلمه، فأولئك ما عليهم من سبيل[1]، إذ لا بد للمتألم أن يتأوه، وللمظلوم أن يتفوه»[2].

وإذا كان من حسنة هذا الانفعال أن لبّى الشيخ سعيد التعاريتي دعوة بعض إخوانه، فألف كتابه المذكور الذي اعتقد فيه تحامل الشيخ محمد كامل على المذهب الإباضي في فتوى لم يطلع عليها نفسه، إلا أنه قد وقع منه نتيجة ذلك الانفعال التحامل على الشيخ المفتي، ولم يتنبه إلى أن الكلام الوارد في الفتاوى منقول برمته ـ كما تقدم ـ من كتاب المواقف للعضد، وعذر الشيخ المفتي في نقله جهله بالمذهب الإباضي لقلة وندرة مصادره في زمنه.

والخلاصة إن ما ذهب إليه بعض الباحثين من القول بتحامله أو تعصبه، أمر تأباه نفسه المؤمنة المصلحة التي عرف بها بين أهل زمانه، وأقرّ له بها أصدقاؤه ومنهم أشياخ المذهب الإباضي من أمثال الشيخ عبد الله يحيى الباروني، والشيخ سعيد الشماخي وأحمد الباروني[3].

وكما كان يحترم القدماء من العلماء، والسابقين الأول من المجتهدين والمتفقهين في الدين، ويحرص على الحفاظ على منازلهم، كان أيضاً يجلّ المعاصرين من الأعلام العلماء والصالحين الذين اشتهروا بفضلهم وبخدمة العلم الشريف، سواء علماء بلده أو الشيوخ والفقهاء في غيرها من الأمصار.

يدلنا على ذلك ما ذكره في معرض الإجابة عن سؤال فيمن له جارية باعها لآخر بنصف ثواب حسناته، حيث أورد في الإجابة عنه ما أفتى به من سماهم «بعض فقهاء بلدتنا»[4] يعني في طرابلس الغرب وما خالفهم به بلديه الشيخ قاجة

(1) سورة الشورى، الآية: 41.
(2) المسلك المحمود في معرفة الردود: 3، 4.
(3) راجع المجموع: 43، ب والوثيقة التي كتبها الشيخ عبد الرحمن البوصيري مؤكداً منها هذه الصلة، وهي موجودة في دار الحفوظات التاريخية.
(4) الفتاوى الكاملية: 78.

الطرابلس وميله لما أفتى به الشيخ المذكور[1] وهو ملمح يدل على صفاء سريرة، وحسن طوية، وصدق وإنصاف. وقد أصيبت البلاد الليبية في أواخر القرن الماضي بجفاف وجدب، فخفّ الناس ـ كما أخبرني شيخنا عمر العربي الجنزوري، رحمه الله ـ إلى الشيخ محمد كامل بن مصطفى ليصلي بهم صلاة الاستسقاء فاعتذر لهم وحثّهم على الذهاب إلى الشيخ محمود الخازمي في جنزور، وألحّ عليهم في ضرورة ندبه إلى هذا المهم، ودعوته لذلك ليؤمهم، وأشار إلى ما يتّسم به هذا الشيخ من ورع وتقوى وتجرد، ففعلوا وعملوا بإشارته وجاء الشيخ الخازمي ليصلي بالمسلمين صلاة الاستقساء فأغاثهم الله بالوابل والطلّ.

وهذه الحادثة أو الرواية تؤكد من قريب توقيره للعلماء العاملين، وتقديره للرجال الذين حسنت صلتهم بربهم، وتفصح عن خصال الإيثار عنده، وبعده عن مساوئ الأثرة.

وربما أوذي الشيخ من بعض علماء بلدته الذين أثارت حفائظهم ما أحرزه من تبريز في العلم ونيل لقبول الخاصة والعامة له فحرصوا على بثّ سحب دكناء في سمائه، فكان يتجمل ويتحمل ويعاملهم بالحسنى، ويمسك عن مجاراتهم في الظلم والإيذاء على نحو ما حدث له مع الشيخ سالم أفندي أحد القضاة في ذلك العهد، والذي خالفه مترجمنا في فتوى تتصل بالشفعة، فكبر عليه ذلك، واشتد في خصومة الشيخ ابن مصطفى الذي كان يقابله بالتي هي أحسن قال ـ رحمه الله ـ «فامتلأ عليَّ غيظاً، واتخذني عدواً، وصار يطيل لسانه في شأني في كل مجلس، ولم أقابله إلا بقولي حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو ربّ العرش العظيم»[2].

ولعمري إن ذلك من مظاهر العقل الكامل والشخصية الواثقة، ومن علائم

---

(1) الفتاوى الكاملية: 78.

(2) سورة التوبة، الآية: 29، الفتاوى الكاملية: 216.

حسن التدبير والحصافة، قال الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1].

والشيخ محمد كامل ـ إلى ذلك ـ شديد الإكبار للأعلام والمحققين من العلماء خارج بلاده ينقل عنهم، ويعزو إليهم أقوالهم وآراءهم في المسائل والقضايا المختلفة، وينعتهم ـ على عادته ـ بأشرف النعوت والألقاب، ويصفهم بأحسن السّمات والصفات، كما كان على فضل كبير في تعظيم من كان يعرف من علماء المسلمين في عصره ـ على نحو ما مر في الحديث عن تحصيله ورحلاته ـ يثني على علومهم ومعارفهم، ويحمد أعمالهم وتآليفهم، كذلك كان يفعل ـ رحمه الله ـ مع شيوخه أمثال الشيخ محمد عليش، والشيخ عبد الرحيم الطهطاوي والشيخ إبراهيم السقا والشيخ حسن العدوي والشيخ محمد الأشموني، ومع شيوخ شيوخه مثل العلامة الشيخ الأمير والشيخ مصطفى البولاقي والشيخ حسن العطار[2]. بل إنه لا يشعر بغضاضة، ولا يحسّ عنتاً ولا نقصاً في استفتاء من هم في طبقته حول المسائل الدقيقة التي ربما استغلقت عليه، أو تعسّر عليه الإفتاء فيها، كما كان يفعل في مكاتباته ورسائله مع شيخ الإسلام في تونس العلامة أحمد بن الخوجة، وصديقه العلامة الشيخ محمد العباس المهدي مفتي مصر، والشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة[3]، وغير ذلك من المواقف التي تنبئ عن التواضع العلمي، وعن سماحة النفس، ورجاحة العقل.

وبالجملة فإن عظيم خلقه، ونفيس خلاله النفسية مما ذكرناه ومما لم نذكره أمثلة رفيعة حيّة نذكر بها طلاب العلم في هذا الزمان الذي كثر فيه التنابذ والتحاسد، وقلّ فيه تلقي العلم والتحصيل، والاشتغال بغير ما ينفع، ولا شك

(1) سورة فصلت، الآيتان: 34 و35.
(2) راجع كتاب الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية.
(3) م. ن.

في أن ما عرف به المترجم عائد إلى كمال تدينه، وصادق تقاه، وإلى إيمانه الراسخ الذي نحسّه في السطور التي حبّرها وحررها في كتابه «الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية» وفي «مجموعة العبد الذليل على ربع أنواع التنزيل» وفي غيرهما من آثاره، التي تفصح عن حرارة إيمانه، وشدة خوفه من الله، ومراقبته له فيما يأتي وفيما يذر.

إن العلم ـ كما جاء في آثاره الشيخ محمد كامل بن مصطفى وأخباره ـ جسر للتربية الصالحة وطريق إلى تحصيل الكمالات الروحية والنفسية، فبرز بهذا التصور معنى التوافق بين الظاهر والباطن في شخصيته، وتعانق في ذاته السلوك والمعتقد بانسجام، ولم يفت أحد معاصريه وعارفيه بابنه الحاج عبد الرحيم نائب الشرع بمركز ولاية طرابلس الغرب في أواخر القرن الماضي أن ينبه ـ وهو يقرض كتاب الشيخ محمد كامل في التفسير ـ إلى هذا المعنى الكريم في شخصيته، وأن يدل على الامتزاج العلمي والعملي المتآلف في ذاته، فوصفه بأنه «العالم الفاضل الكامل، المتصف بالزهد والتقوى، الناشر لعلوم شتى»[1] كما نعته بذلك أيضاً الحاج علي باشا كوتري الذي حلّاه بقوله «العالم العامل، والبحر الكامل، الفاضل حضرة الشيخ محمد بن مصطفى بن محمود الطرابلسي المغربي»[2].

(1) مجموعة العبد الذليل على ربع أنواع التنزيل: 290 ب.
(2) كتب ذلك في سنة (1284/ 1867) حينما أوقف وحبس على المترجم كتاب فتاوى أنقروي وقد وجدت ذلك في الكتاب المحبس والموجود في مكتبة الأوقاف تحت الرقم العام 785، الرقم الخاص 1/ 254.

الفصل الثالث

رحلاته ومكانته في العالم الإسلامي

قام الشيخ محمد كامل بن مصطفى ـ على العادة الجارية بين شيوخ العلم وطلابه في القديم والحديث ـ برحلات ثقافية عديدة خارج بلاده ليبيا لتحصيل العلم، والأنس بمجالس العلماء والمصلحين، وللاطلاع على معالم الأمصار الإسلامية وواقعها وملابسات حياتها العامة، والتعرف بدور معاهد التعليم والمكتبات فيها، وأحياناً للقيام بمهام رسمية كان يقتضيها منصبه الرسمي السامي في بلاده؛ فرحل كما أسلفنا إلى مصر في عهد أسرة محمد علي باشا، ثم سافر إلى دار الخلافة في عهد عبد الحميد الثاني، واختلف أكثر من مرة ـ كما سنوضح ـ على البلاد التونسية، كما رحل إلى الحجاز عبر مصر، وربما كانت له رحلات علمية أو سياحية أخرى إلى بلدن إسلامية أو غيرها لم يكتب لنا ـ من خلال ما توفر لدينا من الوثائق ـ أو لغيرنا من الرواة والدارسين الاطلاع عليها، والإلمام بما جرى له فيها، والوقوف على ما أفاده فيها، واستفاده منها.

ومهما يكن من شيء فإن القيود التي جاءت في كتابه الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية، وما وجدته مكتوباً بخطه على النسخة التي يمتلكها من كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي[1] وغيره من الكتب المملوكة

(1) توجد هذه النسخة بمكتبة الأوقاف ـ التابعة لمركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس، تحت رقم 3011 عام، 932.2 خاص.

له[1] والروايات الشفاهية المعتمدة، وأخيراً الكناش الذي سماه الشيخ محمد كامل بن مصطفى المجموع، وهو الذي آل بعد الطبعة الأولى من هذا الكتاب إلى مركز دراسة جهاد الليبيين، كلها شواهد قد أتاحت لنا معرفة رحلات هذا العالم إلى تونس ومصر والآستانة والحجاز، كما أبانت لنا الكثير من مظاهر الحفاوة الكريمة التي استقبل بها في الشرق الإسلامي وغربه، ودلتنا بوضوح على المكانة العظيمة التي كان يحتلها ـ رحمه الله ـ في العالم الإسلامي وفي نفوس العلماء الأعلام، والفضلاء والأعيان الذين أنس بهم، وحظي بمباحثهم في هاتيك الأقطار، وشهدوا له بعد مفاتشته بالتبريز، ورسوخ الملكة فأثنوا على علمه وفضله، وزكوا إمكانياته وقدراته العقلية ومواهبه على ما سيظهر بعد قليل. وتأسيساً على ما ذكرناه من أهمية هذه الرحلات فإن عقد هذا الفصل لتناولها، وإبراز أسماء من اجتمع بهم من رجال الفكر والعلم والأدب فيها، يكتسي ـ دون شك ـ أهمية موضوعية من حيث إنه يفتح لنا آفاقاً مهمة على عظماء من رجال الإصلاح في العالم الإسلامي ـ لا يزال بعضهم مجهولاً ومغفولاً عنه ـ استفاد منهم كما أفادوا بالمقابل منه في تنشيط الحركات الإصلاحية والتيارات الفكرية في القرن الماضي.

وإذا كان هذا الملمح لا يزال يحتاج في تقديري إلى الكثير والمزيد من الوثائق، والنظر والدرس لبيان مدى التأثير والتأثّر فحسبي أن ألفت هنا أنظار الدارسين والباحثين ممن قد تتاح لهم فرصة النظر العميق والاستجلاء بهذا القدر الذي هدى إليه هذا البحث.

الرحلة الأولى إلى مصر:

ونتبدىء الحديث عن هذه الرحلات التي قام بها الشيخ محمد كامل بأولى

(1) مثل فتاوى أنقروي الموجودة بمكتبة الأوقاف ـ التابعة لمركز الجهاد تحت الرقم العام 785، الرقم الخاص 1/ 254.

رحلاته المفيدة، وهي الرحلة التي ألمحنا إليها من قبل والتي توجه بها إلى البلاد المصرية للتحصيل في عام (1263 ـ 1846).

وقد تواصلت هذه الرحلة ـ كما تقدم ـ سبع سنوات تفتح فيها المترجم على البيئة القاهرية بخاصة، والتي كانت تشهد «آيامئذ تحولاً ظاهراً في وجوه الحياة المختلفة، وقد اتصل خلال تلك السنوات بالأزهر وأعلامه، وأخذ علومه على أبرز علماء ذلك الوقت، وانتفع كما مر بعلومهم وبتآليفهم، كما انتفع بالحركة الفكرية النامية في مصر حسب ما فصلنا القول فيه من قبل، وقد عاد مترجمنا من هذه الرحلة العلمية التي فتحت يفاق معارفه في سنة (1270/ 1835) بعد أن تضلع من تلك الحياة الزاخرة والمتحركة ومن حلقات علمائها بالمقدار الذي أهّله لأن يكون فيما بعد شيخ الشيوخ ورئيس العلماء ومفتي طرابلس، بل رائد الحركة الفكرية والأدبية ومحيي العلوم بها.

الرحلة إلى الآستانة:

لقد أتيح للشيخ ـ بدواعي طموحه الشخصي، وبتأثير مناصبه الرسمية أن يقوم عقب عودته من تلك الرحلة المصرية الطويلة بقصد التحصيل ـ برحلات علمية وثقافية وتعبدية كان مفتتحها الرحلة التي نهض بها إلى الآستانة عاصمة دار الخلافة، وسدّة السلطنة العثمانية، ومهوى أفئدة المسلمين في المشرق والمغرب المتعلقين بالرابطة العثمانية والجامعة الإسلامية، وقد قام الشيخ بهذه الرحلة ـ كما أخبرني أستاذي علي الفقيه حسن، رحمه الله ـ يرافقه ويصحبه تلميذه النابغ الشيخ عبد الرحمن البوصيري، وهي الزيارة التي التقى فيها بالعلامة أحمد فارس ـ الشدياق الأديب اللغوي والكاتب الصحفي[1] وقد دعا أحمد فارس كما أخبر الأستاذ ـ الشيخ محمد كامل وتلميذه إلى منزله لتناول طعام الإفطار في

(1) ولد في عام (1219/ 1804) في عشقوت بلبنان، وتلقى علومه في مدرسة «عين ورقة» واشتغل بالصحافة، وله آثار علمية كثيرة منها «الساق على الساق فيما هو الفارياق» و«سر الليال في القلب والإبدال» و«الجاسوس على القاموس» و«غنية الطالب ومنية الراغب» وقد توفي عام (1305/ 1887).

شهر رمضان، حيث رحّب بهما، وأنس بوجودهما، وتجاذب معهما الحوار في مسائل اللغة والعلم والواقع المعيش[1] ولم يحدد الأستاذ على الفقيه حسن التاريخ الذي تمّ فيه هذا اللقاء أو هذه الرحلة، وأغلب الظن أنها كانت بعد عام (1278/ 1860)[2] وهي السنة التي أسس فيها الشدياق جريدته الشهيرة «الجوائب» يدلنا على ذلك أن زيارة مترجمنا وتلميذه البوصيري اقترنت كما ذكرت في مقالي عن العلامة البوصيري[3] بذكرى المساجلات التي كانت قائمة أيامئذٍ بين أحمد الشدياق ورشيد الدحداح[4] والمتضمنة أن صاحب الجوائب التمس ـ وهو يحاجج خصمه ـ فاصلة مشددة في مقابلة فاصلة مخففة من كلام العرب فأعياه ذلك؛ وعزّ عليه أن يظل بلا حجة أمام الدحداح الذي حاول من تلك المساجلة تجريحه، وإنقاص قيمة أسلوبه، وإظهار ضعفه في اللغة الذي ظهر فيه ذلك النسق من التخفيف والتضعيف، فلما عرض الشدياق ما أهمه على هذين الشيخين الطرابلسيين ـ أسعفه الشيخ البوصيري ـ فيما كان شيخه محمد كامل مطرقاً باحثاً عن المطلوب ـ بالجواب وسرَّى عن نفس الشدياق ـ بما أصاب وقد أخبر الشيخ محمد كامل تلاميذه والعلماء بعد رجوعه إلى وطنه بهذه الحادثة ـ إشادة بذكاء واسطة عقد طلابه وتلاميذه، وإخباراً بمن لقيه في تلك المدينة الكبيرة من العلماء والبارزين. والذي يهمنا من معرض هذا الخبر أن جريدة الجوائب التي كان يديرها أحمد فارس الشدياق صدرت عام (1278/ 1860) بالآستانة كما تقدم، ومعنى هذا أن رحلته إليها تمت بكل تأكيد بعد هذا التاريخ الذي صدرت فيه هذه الجريدة، وإذا أردنا الدقة أكثر نقول إن جريدة برجيس باريس صدرت بتاريخ (1275/ 1858) واحتجبت في سنة (1280/ 1863) ومعنى

---

(1) من ورقة مخطوطة كتبها الأستاذ علي الفقيه حسن ـ توجد بمكتبتي.

(2) تاريخ الصحافة العربية 1 ـ 2/ 97.

(3) مجلة الثقافة العربية العدد 5 السنة الرابعة.

(4) من أعلام الصحافيين والكتاب في القرن الماضي ولد سنة (1228/ 1813) وتوفي في سنة (1307/ 1889) له من الأعمال القلمية «برجيس باريس أنيس الجليس» و«ترويح البال في القلم والمال» و«التيار المشرق في بوار المشرق» راجع ترجمته في تاريخ الصحافة العربية 1، 2، 100.

ذلك فإن تاريخ رحلة مترجمنا كانت محصورة بين هاتين السنتين (1860) وهو تاريخ صدور الجوائب وسنة (1863) وهو تاريخ احتجاب البرجيس[1].

وفي الحق أنه ليس بين أيدينا أخبار موسعة وكافية عن غرض هذه الزيارة، وعن العلماء الذين اتصل بهم مترجمنا خلالها سوى أحمد فارس الشدياق الذي كانت تربطه مع شلّة من رجال طرابلس الغرب علاقات حميمة[2] والظن الغالب أنه لقي فيها بعض العلماء البارزين والأعيان المعروفين، الذين كان قد تعرف بجملة منهم في طرابلس الغرب وحظي بمعرفة غيرهم في هاتيك الديار العامرة.

وعلى الرغم من أن غرض الرحلة غير واضح لدينا بدقة فإننا نرجح أنه كان متجهاً لإبراز قيمة المترجم في الدوائر الرسمية في تلك العاصمة الكبرى وفي إظهار علمه ونبوغه أمام أعلام الإسلام وشيوخه فيها، كما أننا لا نستبعد أن تكون إلى ذلك كله زيارة إلى بعض أهله وذويه ومحبيه ممن بقوا في تلك العاصمة، والاستمتاع بمشاهد المآذن والقباب وبالمدينة التي أجمعت الآراء في القديم والحديث على عظمتها واتساعها. والذي نراه أن علامتنا ـ بفضل حضوره العلمي المعروف ـ قد حقق من وراء رحلته هذه فوائد كثيرة، وعاد منها مع تلميذه النابه بعوائد وفيرة.

الرحلة إلى تونس:

ثم كانت بعد ذلك فاتحة رحلاته العلمية والثقافية إلى تونس عام (1280/ 1864)[3] وليس بخاف أن البلاد التونسية كانت تشهد في النصف الأخير من القرن الماضي ـ دون مثيلاتها من بلدان المغرب الغربي ـ حركة إصلاحية نشيطة ومتنوعة، تولدت من اتصالها المباشر بالبلاد المشرقية المتمثلة في العواصم استنبول والقاهرة والشام، وبالبلاد الأوروبية الغربية، وبخاصة فرنسا في ظل

(1) راجع للمقارنة كتاب تاريخ الصحافة العربية 1، 2: 97: 100.
(2) راجع كتاب مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه وأحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه.
(3) راجع المجموع.

ولاتها أحمد باي ومحمد الصادق باي؛ ويذكر الذين أرخوا لهذه الحركة الإصلاحية أن الوزير خير الدين باشا التونسي (1810/ 1879) قد تزعم هذه الحركة قبل حلول كارثة الاحتلال الفرنسي سنة (1299/ 1881) ثم تولّى الريادة بعده ثلّة من تلاميذ شيخه محمود قابادو كان في طليعتهم الجنرال رستم والجنرال حسين، وحسونة بن مصطفى ومحمد خزاندار والشيخ محمد بيرم الخامس لتظهر بعدهم بل بعد الاحتلال الفرنسي لتونس لمّة من المصلحين، سيروا الحركة من أبرزهم الشيخ محمد السنوسي والشيخ عبد العزيز الثعالبي والشيخ محمد شاكر والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور(1).

ومن المعلوم أن البلاد التونسية أفادت من هذه الحركات الرسمية والشعبية آفاقاً من التطوير في الجيش والإدارة والتعليم والصحافة، كما تكونت طلائع من قادة المجتمع في مدرسة باردو، والصادقية والخلدونية، وجامع الزيتونة الذي شهد هو الآخر انتعاشاً بمظاهر الإصلاح. وقد أشار الشيخ إلى هذه الرحلة الفاتحة في كتابه الفتاوى، ولكنه لم يحدثنا عنها حديثاً مفصلاً، كما أنه لم يذكر لنا طبيعتها وأبعادها ومدتها، وهل كانت موظفة للقيام بمهمة رسمية تكليفية من قبل الولاية أو مجلس الإدارة متصلة بمسألة الحدود التي كانت ناشبة آنذاك بين طرابلس وتونس، وهي المهمة التي انتدب إليها في بعض أسفاره اللاحقه ـ كما سنلمح إلى ذلك فيما بعد ـ أو أنها كانت رحلة خاصة أراد بها مجرد السياحة والاستمتاع والاستطلاع والتعرف على ذلك الأفق، الذي كان يشهد كبعض عواصم الشرق مرحلة من النهوض والخروج من طور الجمود والسكون.

في الحق أن مترجمنا لم يذكر لنا شيئاً من ذلك ولكن قيوداته القليلة التي وقفنا عليها تفيد أنه اهتبل فرصة هذه الرحلة إلى تونس فاتصل خلالها بطائفة من رجالها الأفاضل، وبثلة من علمائها الأماثل، وأنه راجع فيها كتباً قيمة، واطلع

(1) راجع الحركة الأدبية والفكرية في تونس:
د. الحبيب الجنحاني «الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر» الحوليات التونسية العدد 6 ـ 1969.

على مسائل علمية نادرة، استحقت منه ـ كما جاء في المجموع ـ التدوين والتقييد، فقد أشار ـ على سبيل المثال ـ إلى اطلاعه على فتوى الشيخ معاوية مفتي حاضرة تونس وذكر أنه نقل من خطه ما أهمه، ووصف خطه بالحسن، وقرر في فتاويه أنه رقّم ذلك في منتصف ذي الحجة من سنة 1280 (1863)[1].

وأغلب الظن أن المترجم قد أنس كثيراً بالشيخ معاوية، وبحث معه في مسائل العلم والفقه، كما أنه اتصل بغيره من علماء الزيتونة وشيوخ تونس الكثيرين الذين لم تحتفظ لنا قيوداته ومذكراته بأسمائهم وأخبارهم وما استفاده منهم أو أفادهم به.

كذلك قام في صفر من عام (1288/ 1871) أي بعدما يزيد عن السبع سنوات من تاريخ الرحلة المذكورة برحلة أخرى إلى تونس، يغلب عليها بحسب الإيماءات الواردة فيها الطابع العلمي، فقد اتصل فيها بأعاظم رجال هذه الحاضرة وأعيانها، وربط خلالها العلائق بأساطين علمائها ومفاتيها، ذكر منهم شيخ الإسلام أحمد بن الخوجة الذي صار اسمه في تونس يومئذ كما يقول العلامة محمد الفاضل ابن عاشور «عنواناً شهيراً عن معنى العلم الصحيح، والعقل الراجح، والمنزلة السامية في النبوغ العلمي»[2].

وقد مدحه مترجمنا بأبيات دلت على صادق نعوت ابن الخوجة، وعلى المكانة التي حازها بجدارة بين علماء تونس وفقهائها ـ قال[3] رحمه الله ـ «في أواخر صفر الخير توجهت إلى تونس من طرف الحكومة فاجتمعت بشيخ الإسلام سيدي أحمد بن الخوجة الحنفي فحصلت بيني وبينه المحبة التامة، فقلت له تودّداً تحبباً».

يـا إمـام الـورى وقـطـب الأنـام   يـا سـراجـاً بـه تـفـضـل ربـي

(1) الفتاوى الكاملية: 133.
(2) تراجم الأعلام: 93.
(3) المجموع: ورقة 46، ب.

كنت قبلاً أحبكم عن سماع ولدي رؤيتي لكم زاد حبي
فقتم منطقاً ولطفاً وظرفاً فملكتم مني لبابة لبي
كيف حالي إذا ارتحلت بجسمي عنكم وبقيت فيكم بقلبي
لكم العهد أنني لا أزال فيكم مغرماً وإن زال قربي

فقد أظهرت تلك الأبيات المحبة المستكنة في أعماق ابن مصطفى، وأبانت عن مدى تعلّقه الصادق بالمفتي التونسي العلامة ابن الخوجة، الذي أجابه هو الآخر بأبيات موازية، دلّت هي الأخرى على إعجابه بالشيخ محمد كامل الذي كان ينعته مفتي تونس بـ«الفاضل الهمام، العالم الجليل سيدي محمد ابن محمود، رئيس علماء طرابلس الغرب»[1].

وقد اطلعت على خبر هذه الرحلة وتأريخها، وعلى ما جرى بين العالمين الجليلين مفتي تونس الشيخ ابن الخوجة، ورئيس علماء طرابلس ابن مصطفى في تقييد كتبه مترجمنا بخطه على نسخته التي كان يمتلكها من الكتاب المسمى «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»[2] للجبرتي حيث كتب ما نصه «الحمد لله، قد وصلت إلى حاضرة تونس ـ حرسها الله تعالى ـ صبيحة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من صفر 1288هـ، واجتمعت بكثير من أكابر علمائها منهم شيخ الإسلام سيدي أحمد بن الخوجة ـ حفظه الله تعالى، وأطال عمره، ثم ذكر في هذا التقييد أنه بعد اجتماعه به مرّ على لسانه نظم في مدحه، وهو الذي سقناه، وذكر أن شيخ الإسلام أجابه بأبيات تنبئ ـ كما ذكرنا ـ عن القيمة التي حازها محمد كامل في قلوب علماء تونس الكبار، وهي ما تكفلت ببيان بعضها أبيات الشيخ ابن الخوجة حيث قال[3]:

(1) النسخة التي كان يمتلكها المترجم من تكاب «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» مكتبة الأوقاف تحت رقم 3011 عام 2. 932 خاص.

(2) راجع النسخة الموجودة بمكتبة الأوقاف ـ التابعة لمركز دراسة جهاد الليبيين، تحت رقم 3011 عام، 2. 932 خاص.

(3) المجموع: ورقة 46، ب.

أيـهـا الـعـالـم الـمـجـد تـرفـق لـم يـكـن قـبـلـكـم تـمـلـك قـلـبـي
فـأبـنـتـم تـلـك الـمـعـارف دراً ومـلـكـتـم بـهـا فـؤادي ولـبـي
لـيـت شـعـري إذا ارتـحـلـتـم فـمـاذا يـفـعـل الـسـقـم مـن فـراقـي حـبـي
أيـهـا الـنـاظـم الـفـضـائـل عـقـدا زان جـيـد الـعـلـى ورفـقـة كـعـب
عـهـدكـم فـي صـمـيـم قـلـبـي رسـيـس مـا حـيـيـت وشـاء ذلـك ربـي

والأبيات على وجازتها تصور ـ كما ترى ـ ملامح واضحة من طبيعة تلك الرحلة، وتبين كيف كرّس الشيخ محمد كامل بن مصطفى جهده للقاء مشاهير ذلك البلد، ووظف وقته للبحث والمساجلة والتطارح؛ فعرفت قيمته العلمية، ومكانته في الفضل بين شيوخ جامع الزيتونة المعمور، بله كبير علمائهم شيخ الإسلام ومفتي تونس ابن الخوجة الذي أودع بعض أحاسيسه ومشاعره في تلك الأبيات، ولله در القائل إنما يعرف أهل الفضل في الناس ذووه. ومن الجديد الطريف الذي أفادنا به المجموع أو الكناش متصلاً بهذه الرحلة؛ أن الشيخ محمد كامل قد راقه المقام في هذه الحاضرة التونسية، وأعجبته المشاهد السابية فيها فامتدح في قصيدة بنيت على هيئة مخمسات ظرف أهلها وسياسة حكامها، ورجاحة عقل علمائها، كما تغنى بجمال عمرانها وبنائها وطرقها الواسعة، وسبت عينيه عيون جبل زغوان والحنايا، وفتن بجامع الزيتونة المعمور وما احتوته قماطره من كتب، ونجتزئ من نسق هذه القصيدة المدحية المعبرة عن تأثره بزيارة تونس بقوله[1]:

لـمـا قـدمـت تـونـس الـبـهـيـة فـي راحـة وسـاعـة هـنـيـه
رأيـت فـيـهـا أنـفـسـاً زكـيـه ذوي عـلـوم وذوي رويـه
فـزاد فـيـهـم عـنـد ذاك وجـدي
رايـتـهـم فـي فـلـك الـمـعـالـي يـرقـون مـنـه كـل بـرج عـالـي

(1) المجموع ورقة 46 ب..

كالشمس دايما على التوالي ينتقلون في ذرى الكمال
لهم مزايا ما لها من عد
قد وفقوا لنصرة الشريعة وأيّدوا بحجج منيعه
فيا لها من نعمة وسيعة ليس لغيرهم لها ذريعه
أولئك السادة أهل الحمد
سادوا الورى بقوة الدراية وجودة التعبير والرواية
راياتهم تسبق كل راية قد بلغوا في الفضل أقصى غاية
وقاهم الله المعيد المبدي

ثم خلص بعد امتداح رجالها الذين أعجب بمواهبهم إلى الإشادة بجمال البلاد وبنائها وطرقها وعيونها وأمواهها.

حيث قال:

قد أحرزت بلادهم جمالاً وقد حوت في شكلها كمالا
بناؤها بين البنى تعالى وحاز لطفاً وبه تغالى
وقد رقى الحسن أعلى حد

كذلك تغنى بعذوبة مائها التي أجريت من جبل زغوان، وبالحدائق الفيح الموشاة بالأزاهير:

وأجريت بها عيون ماء من عين زغوان بلا جفاء
لذيذة تزيل كل داء من نعم المولى بلا امتراء
أحسن بها من نعمة ورفد
جناتها من كل حسن جمعت وسندت قصورها ووطدت
وزينت أشكالها وزخرفت ورتبت أزهارها ونظمت
من نرجس ومن حسان الورد

ثم عطف بعد ذلك على الغرض المهم من الرحلة حيث أشاد بجامع الزيتونة المعمور، وما يمتلئ به من علوم وخزائن كتب:

قد عمروه بالعلوم النافعة ونوروه بالعلوم الساطعة

حججهم في كل فن لامعه حجوا بها الخصم لدى المدافعة

هم الرجال قد سموا في المجد

كذلك احتفظ لنا هذا الكناش بالتقريظ اللطيف لهذه القصيدة، والذي كتبه الأديب التونسي المعروف والمصلح المشهور «العالم الفاضل الهمام، الكامل الشيخ محمد السنوسي المدرّس بجامع الزيتونة، المصحح للرائد التونسي»[1]، ونقتصر من هذه القصيدة السنوسية التي ساجل بها أديب تونس العلامة محمد كامل على هذه المقاطع بقصيدته:

قد عطرت أرجاءنا بالند خود بدت ما إن لها من يد

زارت ولم تخلف لنا من وعد واطلعت إشراق نجم السعد

في تونس من بعد طول البعد

وافت لنا بحلل البهاء رافلة مشرقة السناء

مصونة صيانة العذراء ترمقها العيون باعتناء

فتبصر العقد جميل النضد

يحار في جمالها اللبيب وينتقي إنشاءها الأديب

وكل من قرضها يصيب لأنها أنشأها حبيب

يعرب فيها عن كمال الودّ

---

(1) أحد رجال الإصلاح في تونس، ومن أبرز كتابها وشعرائها في القرن الماضي له كتاب مسامرات الظريف بحسن التعريف، وكتاب مجمع الدواوين التونسية، وله أشعار كثيرة، وكان من المتصلين بالشيخ محمد عبده ومن دعاة جمعية العروة الوثقى ومن مؤسسيها في تونس ولد عام (1266/ 1849) وتوفي عام (1318/ 1900).

ثم خلص الأديب التونسي الشيخ محمد السنوسي إلى امتداح أفق القصيدة الذي ظهر فيه حسن بلاده، والثناء على العالم الطرابلسي الذي أبدعها بعين الرضا والكمال فقال:

يطبع من مرآتها الوضية ... محاسناً من تونس البهية
قد أبصرتها عينه الرضيه ... إذ نفسه على الرضا مطويه
ليس يرى غير جميل العد
أكرم به من عالم نبيه ... يرى الكمال وهو من ذويه
لذلك أبداه بما من فيه ... يخرج من درّ لمصطفيه
يزري بكل لؤلؤ في عقد
يجلو لنا بمدحه النفائس ... تختال بين الناس كالعرائس
وكلما رنت بطرف ناعس ... تهتز من فعاله القلانس
نعيذها باسم الإله الفرد

والقصيدة السنوسية طويلة، تسير في جملتها على هذا النّسق من الثناء على المبدع والإبداع، وقد ذيلها بقوله يخاطب المترجم «حرّره محبيكم بأعزّ التحية محمد السنوسي خادم العلم بجامع الزيتونة أخذ الله بيده»[1].

ومن الطريف أيضاً أن الشيخ محمد كامل أنشأ حينما وصلته الأبيات المقرظة من الشيخ السنوسي وهو في تونس أبياتاً أخرى على وزانها، يساجل فيها ـ على عادة الشعراء والأدباء ـ هذا الأديب، ويثني على ثبات عهده، ويذكره بالمحبة والمودّة اللتين ربطتا بين قلبيهما، وسوف نعود لإثبات هذه الأبيات الإخوانية المقيدة للتاريخ للحركة الفكرية في ليبيا وتونس في معرض الحديث عن شعره. ويبدو أن قصيدة العالم الليبي في الإشادة بتونس وأهلها قد

(1) المجموع: ورقة 49، ب.

حظيت بعناية واسعة من أدباء تونس وطلاب العلم في ذلك الزمان، فقد قرضها بالإضافة إلى تقريظ الشيخ محمد السنوسي ـ كما هو مثبت في الكناش ـ الشيخ محمد البشير السقاط أحد طلبة تونس، وكان كما ذكر المترجم «صغير السن مراهقاً»[1] وقرظها «أخوه أحمد السقاط، وكان أكبر من البشير بالغاً»[2] ولئن حاول الأول منهما التزام التقريظ وفاق الوزن والروى الذي اختاره محمد كامل؛ فإن الآخر آثر التقريظ بقصيدة نونية لا تتجاوز أبياتها الأربعة عشر بيتاً جعل فاتحتها:

بسمت فلاح لنا نظام جمان   فجلت لنا فلق الصباح الثاني

ولم تكن هذه الرحلة إلى البلاد التونسية، والتي لم تتجاوز شهراً واحداً ـ صرف بعضه في مهام رسمية وبعضه الآخر في مهام علمية وأدبية ـ خاتمة رحلاته إلى هذه البلاد المونقة، ونهاية المطاف في مؤانسة مجالس فضلائها، والارتياح بواحات أعيانها وكبرائها، بل ثمّة رحلة أخرى جدد بها العهد والوصال بعد وبال الاحتلال فكانت العلالة ومسك الختام، ومن حسن الحظ أن المترجم به توسع في ذكر أخبارها في كناشه، وهي التي سنشير إليها، ونقف عندها بعد الفراغ من الحديث عن رحلته العلمية الوفائية إلى مصر (1295/ 1878) ورحلته العلمية التعبدية التي قام بها في السنة نفسها إلى الحرمين الشريفين، زادهما الله تشريفاً ورفعة.

الرحلة إلى مصر:

وهي الرحلة التي قام بها إليها عند توجهه إلى بيت الله الحرام حاجّاً؛ وقد جاء في كناشة طرف من أخبارها وجملة من مشاهداته وارتساماته فيها، كما أنه احتفظ لنا بطائفة من أسماء الشخصيات العلمية التي اجتمع بها، وتباحث معها في مسائل من العلم، وبخاصة أشياخه الذين كان قد أخذ عنهم العلم في مرحلة

(1) المجموع: ورقة 50، أ.
(2) المجموع: ورقة 50، ب.

التحصيل، من أمثال الشيخ حسن العدوي، والشيخ إبراهيم السقا والشيخ محمد عليش، والشيخ محمد الأشموني، والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري، والشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوي. ومما ورد في ألفاف هذا الكناش أنه سافر من الإسكندرية إلى طنطا عن طريق السكة الحديدية حيث زار ضريح الشيخ السيد البدوي فصلى مع من كان معه في ذلك المقام صلاة العشاء وصلاة الصبح، وبقى فيه إلى الضحوة فقدر له أن يلقى في تلك المدة القصيرة عدداً من المدرسين وكثيراً من طلبة العلم[1] ثم ركب القطار متوجهاً إلى القاهرة التي وصلها في وسط النهار، ومن طريف المصادفات التي حصلت له في هذه الرحلة التقاؤه على محطة مصر بشيخه العلامة حسن العدوي مؤلف مشارق الأنوار فخف إلى التسليم عليه وجلس معه في المحطة قبل توجه الشيخ العدوي إلى الإسكندرية، ولما علم بنية سفر تلميذه إلى الأراضي المقدسة قدم إليه هدية وهي عبارة عن تأليف من تآليفه وهو كتاب الدلائل وطلب إليه إذا وصل إلى المقام المشرف أن يقرأه فيه ويدعو له دعوات صالحات، ثم افترقا حيث دخل المترجم به إلى القاهرة، وتوجه شيخه العدوي إلى الإسكندرية[2] وقد قدر له في مدة إقامته القاهرية أن يجدد علائقه بأشياخه الذين أكرموا وفادته، ورعوا له ما كان بينهم من عهد ومودّة، وتجاوبوا معه حبل الحوار، وتذاكروا معه ذكريات الأيام الجميلة في الأزهر الشريف، وقد سجل لنا ما جرى بينه وبين شيخه العلامة إبراهيم السقا تسجيلاً مفصلاً نؤثر إيراده كما كتبه قال: «وزرت بها شيخنا إبراهيم السّقا وكان مريضاً بداء الفالج، ملازماً للفراش من قبل، فلما دخلت عليه رأيته على الفرش ممتداً على ظهره، ووجهه إلى جهة السماء مغطى بلحاف محشو قطناً، فأردت تقبيل يده فإذا بها تحت الغطاء؛ فسلمت عليه وقبلته بين عينيه ففتح عينيه ونظر إليَّ فبكى وسالت دموعه، فقلت له هل عرفتني يا سيدي فقال لي كيف لا أعرفك؟ أنت فلان كنت تقرأ معنا، ولما عزمت على

(1) المجموع: 58، أ.
(2) المجموع: ورقة 58، أ.

الأوبة أخذت مني إجازة، فقلت له كيف حالك يا سيدي؟ وقد أخذتني رقة فبكيت، فقال كنت مريضاً وأما الآن فقد شفيت برؤيتكم، ثم قال كان مرض سيدنا ﷺ فزاره أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما رآه مريضاً تأثّر أبو بكر وخرج من عنده ﷺ مريضاً، ثم شفي سيدنا عليه السلام فزار أبا بكر فشفي أبو بكر برؤية رسول الله ﷺ معافى فأنشد أبو بكر رضي الله تعالى عنه:

مرض الحبيب فزرته ... فمرضت من شغفي عليه

فبرا الحبيب فزارني ... فشفيت من نظري إليه

فلما رأيته بتلك الحالة طلبت منه الدعاء فدعا لي بخير وودعته، وقلبي سقيم من أجله، وبعد وصولنا إلى بلدنا طرابلس بمدة بلغنا أنه انتقل إلى دار البقاء رحمه الله تعالى»[1].

كذلك حدثنا عن زيارته لشيخه السيد أحمد الطهطاوي المعدود عنده من أحبّ الشيوخ إلى نفسه، وآثرهم إلى روحه، فبيّن حفاوة ما استقبل به في بيته، وما أكرم به من شيخه؛ وعبّر في عبارة مجلوة عما يكنّه الشيخ للمريد، والمريد للشيخ، كما أشار إلى الهدايا التي تبادلاها، وما طلبه المترجم به من اتحاف الإجازة منه بذكر السند العلمي الذي كان قد أغفل ذكره الشيخ الطهطاوي في الإجازة التي منحها إياه سنة 1270هـ قال الشيخ محمد كامل في الكناش «ولما وصلت مصر حاجاً سنة 95 زرت من مشائخي أحبهم إليَّ، وأخصهم عندي.. وهو العالم المحقق. والفهامة المدقق، فريد عصره ووحيد دهره المتضلع من كل الفنون، الشاعر الذي لا يضاهي ولا يداني، المنزوي في أكثر أوقاته في بيته بعد أن طعن في السنّ، الشريف السيد أحمد الطهطاوي ـ حفظه الله تعالى وأعلى مقامه في الدارين آمين ـ ولما دخلت داره، ورأيته ورآني، وعانقني وغلب على كل منا البكاء، بكاء الفرح والسرور، ثم أخذني بيده المباركة،

---

(1) المجموع: ورقة 58، أ.

وأدخلني لمحله الذي تأتيه فيه الضيوف والأحبة، وأجلسني بجنبه، وصافحني وقال ـ حفظه الله تعالى ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال صافحت بكفي هذه كفّ رسول الله ﷺ فما مسست خزّاً ولا حريراً ألين من كفّ رسول الله ﷺ وقال لي شابكني فمن شابكني دخل الجنة، فشابكته، ولما ودعته بعد أيام فعل بي كذلك، بل وبرفقائي الذين كانوا معي، وقد أهديت له ساعة فقبلها مني، ولما ودّعته أهدى إليَّ ـ حفظه الله تعالى ـ كتابين أحدهما كتاب جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، والثاني كتاب نزهة الألباء في طبقات الأدباء، وكان هذا الشيخ ـ زاده الله رفعة ـ كتب لي إجازة لطيفة منمقة عندما أردت الرجوع إلى وطني سنة 1270 من الجامع الأزهر إلا أنها لم تشتمل على سنداته في العلوم والكتب مفصلة؛ فطلبت منه في هذه المرة أن يكتب لي إجازة مفصلة تحتوي على بيان سنداته فقال لي إنها تحتاج إلى وقت واسع؛ فإن يسّرها الله تعالى بعد توجهكم فإني أرسلها إليكم، وإلى الآن لم تتيسر ـ أسأل الله تعالى تيسيرها ـ آمين»[1].

وحرص المترجم به بعد ذلك على زيارة شيخ من جلّة شيوخه بل من مشاهير علماء ذلك الوقت في الأزهر،ممن كان لهم الأيادي المحمودة في تخريج العلماء في مصر بل في الغرب الإسلامي ومشرقه الشيخ محمد عليش، الذي أحسن هو الآخر استقبال تلميذه الطرابلسي الشيخ محمد كامل، وأظهر المسرّة بلقائه، وبشّره بما ادخره الله للمسلمين من فرج يأتي قريباً، كما أمدّه بدعاء يحفظه، ويأمن معه، قال يصوّر بعض مشاهد هذا اللقاء «وزرت في هذه الدفعة أيضاً شيخنا العلامة، وإمامنا المدقق الفهامة، من ملأ صيته الأقطار، واشتهر في المشارق والمغارب، وظهر اسمه ظهور الشمس في رابعة النهار، خاتمة المحققين، الولي الصالح ذا الكرامات الظاهرة، والأسرار الباهرة، سيدي الشيخ محمد عليش، فلسم عليّ في داره، وفرح بي وانبسط معي انبساطاً زائداً

(1) كتب بعد ذلك «ثم بلغني أنه انتقل إلى دار البقاء رحمه الله تعالى» راجع الكناش ص117.

على عادته حتى عجب الحاضرون، وسقانا الشربات أعده بالماء المذاب به السكر، وسأل عن بلادنا وأحوالها، وبشرنا بأن الله تعالى سيبدل ما فيه عموم المسلمين من الشدة والكروب من تسلّط الأعداء الأجانب عليهم، ولما أردت توديعه قال لي أزوّدك بشيء ينفعك في سفرك، تقرؤه صباحاً ومساء، فإذا قرأته صباحاً أمنت إلى المساء، أو مساء أمنت إلى الصباح ففرحت منه بذلك، وقال إنه مروي عن سيد الخلق عليه السلام، فطلبت منه دواة وقلماً فأحضرهما لي، وأملى عليَّ ذلك فكتبته وحفظته وداومت عليه طول سفري فما رأيت ولله الحمد والمنّة شيئاً يكدرني البتة»[1].

والدعاء الذي أملاه الشيخ محمد عليش على تلميذه الشيخ محمد كامل بن مصطفى، والذي ذكر أنه حفظه وجربه. هو هذا كما أثبته المترجم به في كناشة «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت، وأنت ربّ العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر شيطاني، ومن شر كل شيطان مارد، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها؛ إن ربي على صراط مستقيم أنت ولي على كل شيء حفيظ، إن وليِّي الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولّى الصالحين؛ فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم»[2].

وقد عقّب مترجمنا على هذا الدعاء بقوله أيضاً «ثم إني اتخذته ورداً أقرؤه عقب كل صلاة إلى وقتنا هذا وهو سنة 1301[3] أسأل الله تعالى التوفيق، وقد مات شيخنا هذا في يوم عرفة آخر سنة 1299 رحمه الله تعالى آمين»[4].

---

(1) المجموع: ورقة 58، ب.
(2) سورة التوبة، الآية: 29. المجموع: ورقة 58، ب.
(3) م.ن: ورقة 58، ب.
(4) المجموع: ورقة 58، ب.

ومن العلماء الأعلام الذين انتظمتهم الرحلة إلى مصر، وحظي بمعرفتهم واللقاء بهم والأنس بمجالسهم الحفيلة العلامة الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري وقد أشار الشيخ ابن مصطفى إلى مكانة هذا العالم، ونوّه بعلمه وشهرته، وذكر أنه لم يلتق به قبل هذا اللقاء بالرغم من توقه إلى ذلك، وبخاصة بعد أن قرأ له من تآليفه كتابه الموسوم بسعود المطالع قال «فزدت فيه محبة، ولرؤيته شوقاً»[1]. وقد فسّر المترجم سبب انتفاء اللقاء والمعرفة من قبل أي في مرحلة تحصيله للعلم بالأزهر، وهو إقامة الشيخ الأبياري عهدئذ ببلده أبيار، كما حدثنا بشيء من التفصيل عن اجتماعه الأول بالشيخ الأبياري في إحدى حلقات العلم التي كان يقرئ فيها النحو من خلال تدريسه كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ثم في بيت الشيخ الأبياري حيث سمع منه بعض الأحاديث النبوية الشريفة مرفوعة بالسند، وطلبه إليه أن يجيزه بجميع مروياته إجازة مفصلة، وكيف أن الشيخ الأبياري قد وعد بذلك عندما تحقق من أهلية المترجم به للأخذ والمناولة وكيف أنه أهدى إليه في ذلك المجلس كتابين من تأليفه، وقد ورد في خبر هذه الرحلة وفاء الشيخ بوعده حيث كتب لابن مصطفى إجازة منظومة مفصلة، أوصلها إليه أحد طلبة العلم الطرابلسيين المجاورين عهدئذ في الأزهر للتحصيل وهو الشيخ محمود بن سليمان القبطان[2] وحفاظاً على روح النسق فيما كتبه في هذه الرحلة، وما سجله من ارتسامات وانطباعات مفصلة فيها نسوق كلماته بدقة، ففيها جواء تلك السويعات التي حرص على إثباتها في الكناش. ومما أثبته فيها متحدثاً عن معرفته بالشيخ الأبياري «وأول اجتماعي به في الأزهر عقب درسه، وكان درسه كتاب مغني اللبيب في النحو، وله عليه وعلى حواشيه لخاتمة المحققين الشيخ الأمير الكبير حواش جليلة لطيفة، عندي منها الآن جلدان (كذا) مطبوعان، ولم يتيسر الحصول على الباقي؛ فلما ختم الدرس سلمت عليه فأخذ بيدي وجرّني إلى داره، وكانت قريبة من الجامع

(1) م.ن: ورقة 59، ب.
(2) المجموع: ورقة 59، أ.

الأزهر فأدخلني في المحل المعدّ لجلوسه مع الأحباب والإخوان، وسقاني قهوة وشربات أي ماءً عذباً به السكر؛ ثم إني بادرته قبل أن أسمع منه شيئاً من الأحاديث، وطلبت منه أن يسمعني حديث الأولية فقال إني رويته عند عدّة أشياخ أجلهم سيدي الشيخ عمر بن سودة الفاسي، قال وهو أول حديث سمعته منه، قال حدثنا به الشريف سيدي عبد السلام الأزمي الفاسي عن ابن الطالب التاودي المري، قال حدثنا أحمد بن مبارك صاحب الإبريز، قال حدثنا سيدي حسن اليوسي، قال حدثنا العلامة الزرقاني صاحب التآليف الشهيرة عن العلامة الأجهوري بسنده المتصل إلى عمرو بن العاص وذكره، ثم قال فيه الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، وقال رويناه بالرفع والجزم.

ويشهد لرواية الجزم أحاديث كقوله: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»[1] وحديث «من لا يَرحم لا يُرحم»[2].

وبعد ذلك تذاكرنا ساعة في أمور، وطلبت منه أن يجيزني بجميع مروياته إجازة مفصلة ببيان أسانيده فوعدني بذلك، ثم لما أردت الخروج من عنده قام وأتاني بنسخة من كتابيه، وهما نيل الأماني في توضيح مقدمة القسطلاني، والثاني شرح له على منظومته الموسومة برضاب المرتشف نظم ما في الصحيحين من المؤتلف المختلف، وهما مجلد واحد فأهداه إليَّ قائلاً: «لأجل أن تتذكرني به، وتدعو لي، فودعته ومشيت، ثم لما خرجنا من مصر للركوب في وابور أكبر أعني سكّة الحديد، ونحن بالمحطة مع جملة من إخواننا الطلبة يشيعونني جرى على لساني بيتان يتضمنان طلب إجازة منه على الوجه السابق فكتبتهما وسلمتهما لأخينا في الله تعالى الشيخ محمود بن سليمان القبطان، وقلت له سلم لي على الشيخ الأبياري، وبلّغه هذين البيتين، وحثّه على ما فيهما، فإن أنت حصلت منه على الإجازة فأرسلها إليَّ بطرابلس، فلما

(1) في صحيح البخاري جنائز 33، وفي صحيح مسلم جنائز 9، 11.
(2) م.ن أدب 18، 27، م.ن. فضائل 65.

رجع الشيخ محمود من مصر، وكان مجاوراً بالأزهر لقراءة العلم الشريف أتاني مه بإجازة منظومة مفصلة فهي عندي الآن ولله تعالى الحمد، ومزيد الشكر».

كما أومأ إلى أنه اجتمع في مدة إقامته بالقاهرة بشيخ آخر من شيوخه الكبار الذين استفاد من علومهم وفهومهم هو الشيخ محمد الأشموني فذكر لنا في هذه الرحلة المودعة في الكناش ما يشير إلى منزلته العلمية العالية، ومقدار ما أفاده من معارف زمن التلقي والتحصيل، فدلل على تفوقه وتبريزه وفصاحته في الإلقاء، وإجادته في تقرير مسائل العلم؛ وذكر ما حدث له من فقد إحدى كريمتيه بعد عودته من مصر؛ كما دلنا على عادته في ذكر أخبار رحلته على حرصه المستمر على المباحثة والمفاتشة مع أهل العلم من شيوخه وغيرهم، وعمله على تحصيل إجازاتهم وسندهم العلمي. جاء ذلك في قوله: «وممن اجتمعت به في مصر حال توجهي إلى الحجاز معجز العلماء، ورئيس الجهابذة الكرماء، سيد العلماء، وتاج الأدباء العالم العلامة والمحقق الفهامة شيخنا الشيخ محمد الأشموني ـ أدام الله تعالى بقاءه ـ موقراً معظماً، منتفعاً به أين كنت حين مجاورتي بالأزهر، قرأت عليه مختصر السعد بحواشي الصبان، وكان محرراً محققاً، فصيح اللسان ما رأيت من يعادله في طلاقة لسانه، وحسن عبارته حالة إلقاء الدرس، وبعد رجوعه من الأزهر إلى وطنه أصيب في إحدى كريمتيه، وذلك أنه خرج ليلة فتح الخليج كأمثاله للتنزه، وكان أهل الحكومة يطلقون البارود فأصابه البارود فأتلفها فعينت له الحكومة بعد ذلك معاشاً كافياً له ولعياله، ولما اجتمعت به ـ حفظه الله تعالى ـ ذكرت له أنك كنت كتبت لي إجازة عامة لم تفصل فيها سنداتك؛ فأرجوك أن تكتب لي أخرى مفصلة، فوعدني وأرسلها لي بعد وصولي إلى بلدتي طرابلس الغرب، جزاه الله تعالى عني خيراً كثيراً آمين»[1].

---

(1) المجموع: ورقة 59، ب.

الرحلة إلى الحجاز:

لقد وفق الشيخ محمد كامل في النهوض بهذه الرحلة التعبدية العلمية إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، واستنشاء أنسام مهابط الوحي، والاسترواح بمواطن الذكريات الإسلامية الخالدة، وأيضاً للقاء بشيوخ الإسلام في مكة والمدينة، وبمن يزورهما من العلماء والمصلحين عام (1295/ 1878م) أي بعد تجاوزه سنّ الخمسين من عمره، ولسنا ندري هل كانت له رحلة أو رحلات قبلها إلى الحرمين الشريفين أو لا، ولكن من المؤكد أنه لم يرحل إليهما بعد هذه الرحلة.

ولم يحدثنا المترجم عن الطريق الذي سلكه في رحلته هذه من مصر إلى الحجاز، ولا عمن اتصل بهم من الشيوخ والرجال عبر هذا الطريق، وكم كان مفيداً أن يصلنا ذلك أو شيء منه لما يتيحه للباحثين والدارسين من نفع، والراجح في تقديرنا أنه ركب في وجهته من مصر إلى الحجاز سفينة من السفن البحرية المتخذة لهذا الغرض، ولذلك أغفل الحديث عن هذا المعبر القصير.

وقد تحققت هذه الرحلة الموفقة عندنا بالإشارة إليها في كتابه الفتاوى الكاملية[1] ثم بإخباره الموسع إلى حدّ ما في الكناش عمن لقيه من علماء تلك الربوع العامرة، ومن حلّ بها من الطارئين.

ففي كتاب الفتاوى أومأ إلى حادثة من حوادثها في معرض إجابته ـ رحمه الله ـ عن السؤال المتصل بالهدية لأحد الشيبيين، وهل يجوز أن يحوزها دون غيره منهم أو لا؟[2] إذ قال «سئلت وأنا بمكة المشرفة عام خمس وتسعين ومائتين وألف من أحد الشيبيين الذين بأيديهم مفتاح الكعبة المشرفة، إذا اتفقوا على واحد منهم وجعلوا المفتاح بيده ليفتح به البيت المطهر متى احتيج لفتحه،

---

(1) الفتاوى الكاملية: 271.

(2) المجموع: ورقة 61، أ.

ويغلقه وقت الحاجة لإغلاقه، فأهديت إليه هدية لأجل كون المفتاح الشريف بيده، فهل لا يختص بها، وتقسم على جميع أولاد بني شيبة؟»[1].

وقد أفتى الشيخ محمد كامل ـ «بعد طول امتناع وتسويف»[2] مسوّغاً موقفه في هذا الامتناع ـ بقوله: «إني رجل غريب، وفي علماء البلد الأمين كفاية وغنية عن مثلي»[3]. فلما لم يقدر على التخلص من الإجابة أفتى بما أفتى به العلماء قبله، وذلك بأن تقسم الهدية على جميع الشيبيين دون أن يستأثر أحد منهم بنصيب، «لأنه إنما يهدي إليه لكونه وكيل الكعبة، والمفتاح بيده، وليس الإهداء إليه من حيث ذاته؛ فإنه لو أخّر وأعطى المفتاح لغيره لانقطع الإهداء إليه»[4]. قال «وقد رأيت فتوى مفتي الشافعية الشيخ دحلان بمثل ذلك، وفتوى أستاذنا الشيخ محمد عليش كذلك، والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء الطريق، والحمد لله رب العالمين»[5].

والذي يهمنا من مضمون هذه الفتوى أمران:

1 ـ التاريخ الذي تمت فيه هذه الرحلة المباركة إلى الحرمين الشريفين، وهو كما ذكر مترجمنا من تضاعيفها عام (1295/ 1878) وهو متّسق مع ما جاء في رحلته إلى مصر المثبتة في الكناش، والتي ذكر فيها توجهه إلى الحجاز.

2 ـ الشهرة العلمية السامية، والمكانة المعرفية التي عرف بها هذا العالم القادم من المغرب الإسلامي طرابلس الغرب حتى سئل وقدم للفتوى بالرغم من امتناعه وتسويفه وتحرجه.

هذا وقد وردت الإشارة إلى تاريخ هذه الرحلة واتصال علماء ذلك القطر

---

(1) الفتاوى الكاملية: 271.
(2) المجموع: ورقة 61، أ.
(3) المجموع: ورقة 61، أ.
(4) المجموع: ورقة 61، أ.
(5) المجموع: ورقة 61، أ.

به، واتصاله بالبارزين منهم في موضع سابق آخر من كتاب الفتاوى الكاملية.

وليس ثمّة خلاف في أن علامتنا قد قوّى خلال هذه الرحلة التعبدية في مواطن النور إيمانه، ورسّخ يقينه واستروح من تلك الرحاب الزكية الطاهر رحاب الوحي المضيء، والإيمان الجلي ما ثبت به فؤاده وجلا به الصدأ عن نفسه، واستمد منه المدد لمسيرة حياته الباقية.

وليس ثمّة شك أيضاً في أن هذا العلامة المصلح الذي ألّف مجالس العلم في بلاده وفيما زاره وحلَّ به من بلدان أخرى قد شارك العلماء من منتدياتهم وحلقات تعليمهم، وأخاله قد ألقى في ذلك المقام الطاهر من الحرمين الشريفين دروساً ومواعظ أرشد فيها المسلمين إلى المحجة البيضاء، وأفاض منها من علومه وفهومه كلمات وعبراً أرشدت الضّال، ونبهت الغافل، وما من ريب في أنه قد تسنّى له مدة هذه الإقامة أن يجتمع ببعض العلماء والفقهاء، وقد أخبرنا ـ في كتابه الفتاوى ـ أنه التقى في هذه الرحلة بالعالم الزاهد الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة في بيته وأخبر أنه رحّب به، وتذاكر معه في بعض مسائل[1] وربما التقى بعلماء آخرين غيره أغفل الحديث عنهم في فتاويه لعدم وجود المناسبة.

والذي نأسف له في هذه الرحلة، وفي كل رحلة قام بها المترجم له، ووقعت الإشارة الوحيدة إليها في كتاب الفتاوى الكاملية ـ أن الحديث فيها جاء مختصراً مكثفاً ضمن إشارات عابرة، وفي فتاوى محدودة ـ وعلى سبيل المثال لا الحصر فإنه في رحلته الحجازية هذه لم يبسط القول فيما رآه وشاهده في ذلك الموسم الإسلامي الحافل، ولم ينطلق في الحديث والبيان عما لقيه من العلماء، ليس الحجازيون فحسب، بل عن العلماء الوافدين على الحج، والطارئين على الحرمين الشريفين، إذ لا يعقل أنه خلال ذلك الموسم تعرف على مفتي مكة وحده، دون أن يسعد ويسعد بلقاء غيره، كما أنه لم يتحدث حديثاً شافياً عن

(1) المجموع: ورقة 60، أ.

تاريخ عودته، وما عاد به من جولته من انطباعات وتأملات، ومهما يكن من أمر فإننا نعتقد أن الشيخ محمد كامل قد درس في الحرمين بعض الدروس، وأنه اجتمع بأعلام أفاضل، ولعله قد جدّد الصلة بالشيخ أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية في القطر الحجازي، وعاد كما أسلفنا من مشرق النور بزاد روحي استكمل به وقار علمه وشيخوخته. على أنه كان من الخير لهذا البحث الذي وقف بحيرته وتساؤلاته إزاء هذه الرحلة الحجازية التي لم يرد فيها الحديث مفصلاً وموسعاً ـ كما جاء في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ـ أن يطلع بعد ذلك على الكناش الصغير الذي سمّاه مؤلفه الشيخ محمد كامل بن مصطفى المجموع؛ فيجد فيه مادة جديدة، ترفع إلى حدّ كبير تلك الحيرة، وتجيب عبر قيوداتها عن تلك التساؤلات والتوقعات التي كانت مطروحة قبل الاهتداء إلى هذا المجموع.

فقد ورد فيه بعد الحديث عن لقاءاته بشيوخه في مصر خبر رحلته إلى الحجاز بشيء من التفصيل نؤثر أن نسوقه، ونحافظ إلى حدّ كبير على رؤية وعبارة الكاتب وتصويره فيه؛ وننقل بأمانة قلمه وخلجات وجدانه أجواء المشاهد والمجالس، والارتسامات الدقيقة التي كوّنها المترجم به لمن عرفه وأنس بمفاتشته.

نبتدئ هذه الارتسامات بالحديث عن لقائه بالشيخ أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية في ذلك البلد الأمين، وقد نعته بما يليق به من الأوصاف التي ألمحنا إلى بعضها من قبل، كما صور مظهره، وما أخذه عنه في الحديث، وما تناوله من إجازة قال في كناشة «لما وصلت إلى مكة المكرمة ـ صانها الله تعالى ـ اجتمعت فيها بكثير من علمائها وأفاضلها وأمرائها منهم عمدة الأعلام، وغرّة جبهة الأيام، وقرّة محاجر الكرام، الثقة البارع، والنابغة الذي لم يزل في جميع أشتات العلوم سارع، شيخ الحرم المكي، ومفتي السادة الشافعية الشيخ دحلان، وكان كبير السّن، كبير القدر، عظيم الجاه، وأول اجتماعي به كان في داخل الحرم المكي، قبالة الكعبة المشرفة؛ فأخذت عنه حديث الأولية، وحديث

المصافحة، وحديث المشابكة، وأخذها هو عني أيضاً، ثم لمّا قرب ارتحالنا من مكة المشرفة زرته في محلّه لوداعه، وطلبت منه إجازة بمروياته فكتبها في الحين، وضمنها سنداته ومروياته، وأحالها على خاتمة المحققين الشيخ الأمير بعد أن ذكر من بينهما من الوسائط، ودعا لي بخير فودعته، وقمت من عنده، أبقاه الله تعالى ملجأ للواردين، ووردا للظامئين آمين»[1]. »[2].

كما التقى من أعلام الحجاز بالمفتي الحنفي الشيخ عبد الرحمن سراج الدين، وذكر أنه لم يحظ باللقاء به إلا مرة واحدة، لأنه كان وقت قدومه إلى مكة غائباً بالطائف، ثم رجع من الطائف مريضاً فاجتمع به بعد أداء فريضة الحج في داره، وقد أثنى مترجمنا على خلق هذا الشيخ وعلى خلقه، ودلّنا على أنه تباحث معه في بعض المسائل والنوازل منها المسألة التي سئل عنها في بلدته في طرابلس الغرب فلم يعثر لها على جواب فأجاب السائل بقوله الله تعالى أعلم، قال الشيخ محمد كامل «وبقيت هذه المسألة في خاطري، وأحبّ شيء إليَّ الوقوف على جوابها منصوصاً، وهي أن جماعة يملكون عقاراً بالإرث عن أحد أجدادهم الأقدمين، فهم شركاء فيه، ولا يدري كل واحد منهم ما يخصه من ذلك العقار، فباعوه جملة واحدة في صفقة واحدة لرجل هو أيضاً لا يعرف نصيب كل واحد منهم؛ فقبله منهم وتسلمه تماماً محدوداً معلوماً ودفع لهم الثمن، فهل يصح هذا البيع»[3].

ومما ذيل به هذا اللقاء مع المفتي الحنفي الشيخ عبد الرحمن سراج الدين قوله: «وكان الشيخ سراج المذكور مشهوراً بالصلاح والعفّة والزهد فيما بأيدي الناس، حتى أخبرني بعض الأعيان بمكة أنه إذا وردت له هدية يردها ولا يقبلها، فكان ـ حفظه الله تعالى ـ في غاية الصلاح، ولما قمت من عنده، وودّعته

---

(1) عقب الشيخ محمد كامل على ذلك الكلام بقوله: «ثم بلغني أنه مات بالمدينة المنورة ـ رحمه الله تعالى».

(2) المجموع ورقة 59، ب.

(3) المجموع: 60، أ.

وسلمت عليه خرجت من داره وقلبي مملوء من محبته، متأسفاً على فراقه كثر الله تعالى من أمثاله في هذه الأمة المحمدية آمين»[1].

فهذا كما ترى حكم موضوعي من عالم منصف على عالم كبير طواه الزمان، اشتهر بالعلم والفضل والزهادة في الدنيا، وقد استطرد سياق الحديث في هذا العالم بقول مترجمنا «وبعد رجوعي من الحجاز ورد علينا من مكة شرّفها الله تعالى بعض الأفاضل[2] وذكر أنه استعفى من الإفتاء، فلم يقبل منه الشريف وألزمه الاستمرار عليه، فرضي بشرط أن لا يحضر المجلس، ولا يطبع في المضابط فقبل منه الشريف ذلك»[3].

ومن الأعلام الحجازيين الأصلاء الذين بنى معهم جسور التعارف العلمي الشيخ محمد ابن الشيخ حسين مفتي المالكية، وقد نعته بـ«الإمام الكبير والهمّام الشهير الحاذق الفهم، المصيب السهم، الثابت على صراط العرفان؛ الفارس في كل ميدان، مفتي السادة المالكية بالبلد الأمين»[4].

ويظهر أن صلة مترجمنا بهذا المفتي قد استحكمت، وأن لقاءاته به قد تعددت بالمقدار الذي أفسح لكل منهما معرفة نظيره، والتحقق من معرفته وعلومه، ومما أفاد به التقييد في الكناش المتعلق بهذا الشيخ، طلب الشيخ محمد كامل بن مصطفى الإجازة من هذا المفتي المالكي بعوالي أسانيده، قال «اجتمعت به مراراً في الحرم المكي، ومرة في بيته، وقد أجازني بما حواه ثبت خاتمة المحققين العلامة الشيخ سيدي محمد الأمير الكبير المالكي تحت والده الشيخ حسين المذكور عن الشيخ أحمد منة الله تعالى، والشيخ محمد حبيش شيخ السادة المالكية بالأزهر، والشيخ سيدي إبراهيم الباجوري شيخ الجامع الأزهر، عن مؤلفه الشيخ الأمير المذكور، وقد أجزته أنا أيضاً بجميع مروياتي

---

(1) المجموع: ورقة 60، ب.

(2) لعله قصد بذلك الشيخ إبراهيم سراج الدين المدني الذي وفد على طرابلس في أوائل عهد الوالي أحمد راسم باشا، واتهم من إدارته بتكوين تنظيم سرى ضد الدولة على نحو ما سيأتي بيانه.

(3) المجموع: ورقة 60، ب.

(4) المجموع: ورقة 60، ب.

وكتب لي الإجازة بخطه على ظهر البيت المرقوم، وكتبتها له على ورقة مخصوصة، وقضى الله وفقني الله وإياه لما يحبه ويرضاه آمين[1].

ومن العلماء الحجازيين الذين اتصل بهم وناقشهم وتدارس وتبادل الإجازات معهم «الشيخ الكامل، والهمام الذكي الفاضل الشيخ حسين صالح جمل الليل العلوي المدرِّس والخطيب بالمسجد الحرام»[2]، ذكر أنه اجتمع به مراراً، وكتب له إجازة عالية عندما أدرك فضله قال: «وكان كبيراً يتجاوز السبعين وكان كلما لقيني قال لي أبشر بالخير، أبشر بالخير، ثم إنه كتب لي إجازة عالية السند باعتبار ما اشتملت عليه من الرجال، يكون بينه وبين العلامة البخاري عشرة رجال خاصة بصحيح البخاري، وأهداها إليَّ من غير طلب مني إليه، جزاه الله تعالى عني أحسن الجزاء»[3].

هذا ولم ينقل لنا الكناش من لقائه بالعلماء الطارئين على الحرمين الشريفين، إلا اللقاء الذي تمّ بينه وبين العلامة الهندي المشهور، العلامة الشيخ رحمة الله الهندي الدهلوي القرشي العثماني صاحب كتاب الحجة البالغة ذو البراهين القاطعة الدامغة، والعلامة الشيخ محمود الشكري ابن السيد إسماعيل حافظ الكتب بالحرم المكي وذكر أنه من علماء الروح المجاورين بمكة المكرمة. ومما أخبر به الشيخ محمد كامل في ظروف تعرفه بالشيخ رحمه الله، وانطباعاته عنه أنه اجتمع به أول مرة في الحرم المكي، ورسم له هذه الصورة القلمية الدقيقة «فرأيته رجلاً نحيفاً متقشفاً، يلبس قميصاً وسراويل وعمامة، وكان سنّه إذ ذاك تخميناً يناهز السبعين، وهو قوي البنية، قوى البصر، قوي القريحة، وله وقوف على العلوم العقلية والرياضية، وكثيراً ما سمعته يعاتب ويلوم علماء الحرمين وعلماء مصر على قلّة اعتنائهم بذلك»[4].

---

(1) المجموع: ورقة 61، أ.
(2) المجموع: ورقة 61، أ.
(3) م.ن: ورقة 61، أ.
(4) المجموع: ورقة 61، أ.

كذلك عدّ الشيخ محمد كامل من محاسن هذا الشيخ بالإضافة إلى ثنائه الوافر على كتابه إظهار الحق في الردّ على اليهود والنصارى، تأسيسه لمدرسة بمكة المشرفة لتعليم الأطفال القرآن بالوجوه والتجويد، ثم تعليمهم بعد ذلك العلوم الأخرى من نحو وصرف وحساب وعقائد مع إجراء الامتحانات في تلك المواد المدروسة[1]. وقد دعى الشيخ محمد كامل لمشاهدة هذه المدرسة والامتحان في جملة العلماء والكبراء قال: «ولما آن أوان الامتحان دعا كبار العلماء والوالي وأعيان البلد ودعاني في جملتهم فحضرنا الامتحان في قراءة القرآن وغيره، وأكلنا الطعام، وشربنا القهوة والشربات أي السكر المذاب في الماء، وصار الدعاء عند التمام للمسلمين وللدولة العلية بالنصر والظفر»[2].

ثم تحدث عن الشيخ محمود الشكري فأشار إلى أنه من علماء الروم «مجاور بمكة المشرفة من مدة طائلة، وكان له ثبت جمع فيه مسموعاته، وضبط فيه مشائخه ومروياته»[3] وألمح إلى أنه أجيز من هذا الشيخ الرومي بما في ذلك الثبت[4].

ذلك جماع ما تأصلت به معرفته من العلماء الأعلام الأصلاء والطارئين في الحرمين الشريفين كما أثبت ذلك في المجموع أو الكناش، كما جاء فيه بعض الأخبار العامة الأخرى نحب أن نشير إليها باختصار منها:

أ ـ توكيده على الفتوى المتقدمة التي أشرنا إليها في بداية الحديث عن هذه الرحلة الحجازية، وهي مسألة الهدية للشيبيين، وهي لا تكاد تختلف كثيراً عما جاء في كتاب الفتاوى الكاملية.

ب ـ أخباره بدخول الكعبة المشرفة مرتين الأولى مع عامة الناس، حيث دخلها

---

(1) م.ن: ورقة 60، أ.
(2) المجموع: ورقة 60، أ.
(3) م.ن: ورقة 61، أ.
(4) م.ن: ورقة 61، أ.

وصلى بها ما تيسّر، ودعا له ولوالديه ولإخوانه المسلمين، والأخرى رسمية مع الشريف أمير مكة السيد حسين باشا، وواليها الحاج محمد حالت باشا، وقد توفي هذان الرجلان بعد رجوعه إلى طرابلس كما قرّر في المجموع، ومما قاله في دخوله إليها في المرة الأخيرة «دخلناها وغسلناها بماء زمزم، ونظفناها، وكان الشريف المذكور والوالي يرميان للناس وهم متجمعون حول الكعبة بالمكانس التي تغسل بها، وهم يتلقفونها كما تتلقف الكرة، وبعد غسلنا إياها صلى من صلى منا بها، ودعونا الله تعالى بما تيسر وبخرناها بأنواع الطيب، وخرجنا حامدين شاكرين، راجين من الله تعالى القبول»[1]. كما أخبر بدخوله مقام إبراهيم عليه السلام، وزيارة أثر قدمه والتبرك به.

جـ ـ دخوله إلى الروضة الشريفة في المدينة المنورة مراراً عديدة، كان من بينها دخوله مع الوالي المذكور بعد أن لبسوا ثياباً بيضاء حاملين «الشمعدانات»[2] كما أسرجوا السرج اللازمة، قال «ودعونا الله تعالى متوسلين بأفضل الخلق ﷺ، وبصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أسأل الله تعالى بحرمتهم عليهم السلام أن يرحمني برحمته الواسعة وأن يحشرني معهم، وأن يختم لي بالسعادة، ويمتعني برضوانه الأكبر، جل وعلا»[3].

لقد كانت هذه الرحلة العلمية التعبدية بحق رحلة ناجحة ومؤثرة ونافعة، لما تحقق له فيها من اللقيا بشيوخه في الأزهر، والتعرف على العلماء الآخرين الذين لقيهم في مصر والحجاز، وتبادل معهم الحديث، وساجلهم في مسائل من العلم وأجازهم وأجازوه، كما أنه أحكم بها صلته الروحية والتعبدية، وأظهر فيها مزيد تعلقه بالله ورسوله وحرميه الشريفين.

(1) المجموع: ورقة 61، ب.
(2) م.ن: ورقة 61، ب.
(3) المجموع: ورقة 61، ب.

وقد مرّ بنا أنه قام برحلة أخرى بعد هذه الرحلة ونعني بها الرحلة التي توجه بها بعد مرور ثلاث سنوات من رجوعه من الحجاز إلى بلاده قاصداً تونس، وهذه الرحلة تراوح بين الغاية السياسية والغاية العلمية، تكفل المجموع بنقل بعض تفاصيلها وبخاصة ما يتصل بالغرض العلمي المعرفي.

وعلى الرغم من أن السياق يقتضي أن نعرض لتفاصيل هذه الرحلة في هذا الفصل، فأننا آثرنا إرجاء الحديث عنها إلى الفصل اللاحق الذي وظفناه للأَحداث والقضايا المتصلة بأخريات حياة المترجم، التي تقع هذه المرحلة ضمن سياقها.

الباب الثالث

الفصل الأول: أخريات حياته

الفصل الثاني: تآليفه وآثاره

الفصل الأول

أخريات حياته

تستغرق هذه المرحلة التي أطلقنا عليها أخريات حياته مدّة تزيد عن السّت عشرة سنة، انتهت قبل نهاية القرن الماضي بثلاث سنوات، وعلى الرغم من أننا نفتقد الكثير من المعلومات الدقيقة المفصلة، والحقائق المختلفة الدالة من جملة من الأحداث والقضايا التي تلبست بهذه المرحلة؛ فإن الإيماءات المتفرقة التي عثرنا عليها، أو هدى إليها البحث في بعض ما كتب من الوثائق، أو نقل إلينا في الروايات الشفاهية، أو تضمنها المجموع الذي انتهى إلى الباحثين أخيراً، كل ذلك قد تكفّل بالإعانة في تسليط بعض الأضواء على جوانب وغوامض من هذا الطّور.

تتزامن بداية الأخريات من حياته مع مرحلة سياسية خطيرة ازداد فيها ضعف العالم الإسلامي والدولة العثمانية، ومع ازدياد الأطماع الأوروبية والصليبية في السيطرة على هذا العالم الإسلامي؛ فقد سيطرت فرنسا في هذا العهد على تونس سنة (1299/ 1881) بعد أن هيمنت سنة (1246/ 1830) على الجزائر، كما احتلت انجلترا مصر في سنة (1300/ 1882) وقويت نوايا إيطاليا في الغزو والاحتلال، والتفكير الجدي في احتلال ليبيا التي كانت محطّ أنظار الاستعمار الفرنسي منذ زمن بعيد[1].

(1) بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، 2: 15، العرب والعثمانيون 462، الحوليات الليبيات: 747.

كان يحكم ولاية طرابلس في بداية أخريات حياة المترجم الوالي نظيف باشا الذي لم تطل مدة حكمه أكثر من ستة أشهر خلال سنة (1298/ 1880)[1].

ويبدو أن هذا الوالي كما تفصح الوثائق التي انتهت إلينا أخيراً كان والياً حازماً متصدياً للطموحات الفرنسية التي كانت ترغب في احتواء ولاية طرابلس الغرب[2]، حيث أقام التحصينات الكافية وأعد الجنود المدافعة[3]، وانبرى لمقاومة فرنسا بكل ما كان يمتلكه من قوة، الأمر الذي دعا فرنسا إلى الإكثار من الشكوى إلى استنبول من هذا الوالي الذي كان محلّ إكبار أهل طرابلس وتونس على حدّ سواء[4]؛ كما دعا السلطنة ـ تفادياً لقوة فرنسا ـ إلى عزل هذا الوالي، واستبدال الوالي أحمد راسم باشا به[5].

وقد عرض محمد الخازمي وكيل طرابلس في تونس عهدئذ في إحدى رسائله التي كتبها إلى أحمد الفقيه حسن (الجد) تلميذ المترجم «ضيق التونسيين وأهل طرابلس المقيمين في تونس من عزل الوالي (نظيف باشا) وأرجع الكاتب هذا العزل ليس إلى الكومندان فحسب ـ وهو ما ذكره له أحمد الفقيه حسن في رسالته التي بعثها إليه ـ بل إلى دولة فرنسا التي كان يضايقها وجود هذا الوالي في ذلك الظرف، وقد أظهر الخازمي لومه على حمزة المدني (صديق المترجم) الموصوف عنده «بالألمعية والذكاء»[6] لأنه لم يلعب ـ حسب رأيه ـ دوراً في هذه المسألة»[7].

ويبدو أن السلطان عبد الحميد كان يستعمل في هذه المسألة دهاءه الذي

---

(1) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب 1: 405، ولاة طرابلس: 140.
(2) الصراع التركي الفرنسي: 116، الحوليات الليبية: 739.
أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه: 77و 85.
(3) المراجع المذكورة.
(4) أحمد الفقيه حسن (الجد): 77، 186، الصراع التركي الفرنسي 116.
(5) ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي: 62.
(6) أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه: 183.
(7) م. ن: 183.

عرف به، إذ كان «في مواجهة تنازلاته للفرنسيين يعطي بيد، ويأخذ بالأخرى»[1] وكان مما فيه عوض للولاية بعزل الوالي نظيف باشا أن ولى الحكم بعده وال آخر هو أحمد راسم باشا الذي أشار إليه أحد المعاصرين بأنه مثل مدحت باشا «في عدم الارتشاء»[2] وقد طالت مدة ولايته على نحو تميز به عن الكثير من الولاة السابقين، حيث حكم من سنة (1300/ 1882) إلى سنة (1314/ 1896)[3]، وقد أجمعت كلمة المراجع المختلفة على ما برَّز به أحمد راسم ـ خلال هذه المدة الطويلة ـ في خدمة الولاية والرقي بها في المجالات العسكرية والاقتصادية والتعليمية، وفي النهوض بالعديد من المؤسسات التي كانت ترسف في قيود الإهمال والتخلف، كما كانت له الجهود الدبلوماسية والسياسة في تأجيل مرحلة سقوط هذه الولاية في براثن أطماع القوى الأوروبية المستعمرة واحتلالها[4].

وما من شك في أن عمله الإصلاحي هذا قد لقي الترحيب والإكبار من أعيان الولاية ومصلحيها ومثقفيها الذين تفاعلوا معه، ووظفوا جل أعمالهم وتوجهاتهم لعونه، ودعم مطامحه، وما من شك أيضاً في أن محمد كامل بن مصطفى الذي كان معدوداً في ذلك الزمان وما سبقه في طليعة الأعيان والمصلحين قد بذل جهداً غير قليل ضمن هذا المنزع الإصلاحي الذي تبناه أحمد راسم الذي كلل عطاء الشيخ ببعض التقدير والتكريم.

كان الشيخ ابن مصطفى يتولى ـ على الراجح ـ منذ بداية أخريات حياته المتزامنة مع عهد نظيف باشا أو قبل ذلك بقليل مهمة العضوية في مجلس إدارة الولاية وهو منصب رسمي متقدم ومؤثر، كان يخول لصاحبه المشاركة فيما يعرض على المجلس من المسائل الإدارية والاقتصادية والضرائب والأعشار، وتقرير المشروعات المقترحة ومتابعة تنفيذها، والإشراف على سير التعليم في

(1) الصراع التركي الفرنسي: 123.
(2) أحمد الفيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه: 183.
(3) ولاة طرابلس: 141، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي 57 وما بعدها.
(4) ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي: 57 وما بعدها.

الولاية، فضلاً عما يمكن أن يشار فيه في المسائل السياسية المتصلة بالدولة والولاية[1].

لقد قام بدوره في هذا المجلس، وبقي فيه ـ باعتبار منصبه قاضياً ومفتياً إلى خواتيم حياته، كما قام خلال هذه الأخريات، بل منذ مجيئه من مصر ـ حسب ما تقدم ـ بالإفتاء الذي تدرج فيه إلى أن سمي «مسود الفتوى ـ باصطلاح عصره»، وهي وظيفة نائب مفتي الولاية والراجح أن جلّ العمل في الإفتاء وإن لم نقل كله ـ كما أشارت بعض الروايات الشفاهية ـ كان ملقى على كاهل المترجم، ومنوطاً به لأن الشيخ المفتي مصطفى باكير ـ رحمه الله ـ كان لتقدم سنه، ولثقته الكاملة في علم المترجم واطلاعه وتحريه، يقتصر في إنفاذ الفتاوى على المظهر الشكلي بالتصديق والتوقيع على ما كان يفتي به نائبه، ويعول التعويل الكامل على بعد نظره وورعه واجتهاده[2].

وقد استغل الشيخ محمد كامل هذه الوظيفة أو هذه الفترة من حياته التي وجد فيها متّسعاً فبدأ ـ كما سنوضح ـ في جمع فتاويه، وفي إعدادها للطباعة والنشر.

كذلك قدر له ـ ضمن أخبار هذه الأخريات ـ أن يرحل رحلته الأخيرة إلى تونس، وهي الرحلة التي ألمحنا إليها، وآثرنا أن نعرض لها في هذا الفصل ضرورة أنها تمت في سنيها وقد ألمحنا إلى ما أتيح له من اللقيا برجالها وشيوخها البارزين.

وقد وردت الإشارة إلى هذه الرحلة في المجموع أو الكناش عابرة مختصرة، اقتصر فيها على الأخبار على أنها كانت رحلة رسمية تكليفية من طرف الحكومة، ولم يبين الشيخ بعد ذلك نوع هذه المهمة التكليفية.

---

(1) مجلس الإدارة في ليبيا في العهد العثماني الثاني ـ مجلة البحوث التاريخية العدد 1 ـ السنة 2 يناير 1980.

(2) علي الفقيه حسن «الأستاذ محمد كامل بن مصطفى» مجلة ليبيا المصورة العدد 4 ـ 1938.

وقد عثرنا على إشارات تاريخية دلّت هي الأخرى على سفر صديقه المؤرخ أحمد النائب الأنصاري عميد البلدية، والشيخ حمزة ظافر المدني في مهمة رسمية من طرف حكومة الولاية إلى تونس في الفترة التي سافر فيها المترجم إليها[1]، وعلى ذلك يمكن التكهن بأن هؤلاء الأصدقاء المسؤولين كانوا جميعاً في رحلة عمل ـ ضمن ما كان يعرف آنئذ ـ بالتقارب العثماني الفرنسي ـ إما للنظر في مسألة الحدود بين ولاية طرابلس وتونس[2] أو للبت في القضية المشهورة، قضية المهاجرين التونسيين إلى ولاية طرابلس، والتي شكلت بعداً سياسياً بعد احتلال فرنسا لتونس[3] أو للتفاوض في بعض القضايا السياسية أو الاقتصادية المهمة، والتي يبدو في مقدمتها تعزيز التقارب والتحالف بين الدولة العثمانية وفرنسا للتصدي لمطامع إيطاليا في ولاية طرابلس الغرب[4]، وقد تكون مهمة الوفد مكرّسة وموظفة للتباحث في تلك المسائل جميعاً.

ولئن لم تصلنا حقائق ودقائق وفيرة وافية عن هذه المهمة الإدارية الرسمية التي شارك فيها مترجمنا، وأصدقاؤه المرافقون له، وعما قاموا به خلالها من جهود وأعمال[5]، فإن ما أورده في المجموع من ذكر حضوره ومشاركته مع مرافقيه في الاحتفال الرسمي الذي أقيم خلال إقامتهم في تونس بجامع الزيتونة بمناسبة المولد النبوي الشريف بإشراف الوالي محمد الصادق باشا بصحبة وزرائه

(1) الصراع التركي الفرنسي: 117.
(2) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب 2: 4.
(3) ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911: 393.
الحوليات الليبية: 739 ـ حكاية مدنية 174.
أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه 53، 103، 111.
(4) الصراع التركي الفرنسي: 117.
(5) في الوثيقة 5/10 التي قام الأستاذ عبد السلام أدهم بترجمتها عن التركية والموجودة في دار المحفوظات التاريخية ما يفيد أن المترجم محمد كامل بن مصطفى عضو مجلس الإدارة، والسيد أحمد النائب رئيس البلدية كلفا من قبل الوالي أحمد راسم باشا بهذه المهمة للبث في قضية قبائل ورغمة التونسية التي كانت تغير على بعض القبائل في الحدود الطرابلسية، وقد أرسل هذان الموفدان رسالة إلى الوالي أعلماه فيها باستمرار جهودهما من أجل حلّ هذه القضية.

مفصح عن الطابع الرسمي من هذه الزيارة، التي استقبلوا فيها من طرف الوالي نفسه مع رجال الحكومة، كما أن ما ذكره من التقائه بالعلماء ـ على نحو ما سيأتي تفصيله ـ دال دلالة واضحة على أنه انتفع ـ على هامش هذه المهمة التكليفية الرسمية ـ من المعطيات الثقافية والمعرفية في تلك الحاضرة.

الرحلة الأخيرة إلى تونس:

تحدّد تاريخ هذه الرحلة التكليفية الرسمية من جهة، والعلمية المعرفية من جهة أخرى بسنة (1298/ 1881) فقد صرفت جوانب من هذه الرحلة في المهمة التي كلف بها مع أصدقائه من البارزين والمثقفين من أمثال أحمد النائب وحمزة ظافر المدني ـ على ما رجحناه ـ وهي المهمة الحكومية التي لا نزال نفتقد الكثير من الوثائق والإضاءات عن آفاقها وأبعادها، ولكن يمكننا أن نقول باطمئنان إنها كانت مكرسة في إطار التقارب التركي الفرنسي لمقاومة نوايا إيطاليا في الاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب، ومن هذا التقارب أن السلطان عبد الحميد نفسه كان يجتمع بالسفير الفرنسي في الآستانة سراً للاستفادة من مساعدة دولته في هذا الغرض[1].

أما من الناحية المعرفية والثقافية فإن الرحلة تلمح إلى أنه جدد خلال أيامها صلاته بالديار، وعهوده بالفضلاء الذين كان في طليعتهم شيخ الإسلام في تونس العلامة أحمد بن الخوجة وغيره من العلماء والأدباء وطلبة العلم ممن التقى بهم في رحلتيه الأولى والثانية إليها من أمثال الأشياخ محمود بن الخوجة، وصالح التبرسقي، ومحمد المختار شويخة، وقاضي فاس الشيخ عبد العزيز.

فقد ذكر أنه التقى بالمفتي الشيخ أحمد بن الخوجة، وألمح إلى أنه استفاد منه في مجلس من مجالسه بتونس معلومة في الفتيا هي «أن ابن عابدين ـ رحمه الله تعالى ـ أفاد في مبحث عدم سماع الدعوى بعد خمسة عشر عاماً أن المدعي

(1) الصراع التركي الفرنسي: 113.

إذا قال إني في أثناء المدة رفعت دعواي إلى حاكم شرعي وأنكره خصمه يكلف المدعي إثبات أنه ادعى في الأثناء فإن عجز يتوجه اليمين على خصمه، وأن والده شيخ الإسلام قبله بتونس، وقد كان في الطبقة العليا في الفقه حتى أنه يرجح الأقوال على بعضها ذكر أن القول للمدعي في أنه ادعى في الأثناء بيمينه لأنه وإن كان مدعياً ظاهراً فهو مدعى عليه في الحقيقة، لأن المدعى عليه يدعي سقوط دعواه، وهو ينكر فالقول على حدّ المودع إذا ادعى فالقول قوله لا من حيث إنه مدع كما هو الظاهر، بل من حيث إن المودع يدعي عليه الضمان، وهو ينكر فكان القول له، قال سيدي أحمد المذكور، وقد أيّد والدي رحمه الله تعالى ذلك بقول وشواهد من كلام الزيلعي وغيره، والله تعالى أعلم»[1].

فهذا مثل من أمثلة البحوث العلمية التي كانت تجري بين الشيخ محمد كامل والشيخ ابن الخوجة في المجالس العلمية التي جدد بها الصلة في هذه الرحلة الأخيرة، كذلك اجتمع في هذه الرحلة بالشيخ محمود بن الخوجة وهو أخو شيخ الإسلام الذي كان هو الآخر ـ كما جاء في قيود الكناش ـ على جانب كبير من العلم، فقد دلنا المترجم على مكانته العلمية، وعلى اهتماماته المعرفية، وعلى قطوف من البحوث والمناقشات التي كانت تجري بينهما[2] وكيف طلب إليه شيخ الإسلام وأخوه الشيخ محمود أن يجيزهما في الطريقة القادرية فأجازهما، كما أجازه شيخ الإسلام بجميع مروياته. قال المترجم من كناشة «وقد اجتمعت في تونس بالشيخ المحقق، والعالم المدقق الشيخ محمود بن الخوجة أخ شيخ الإسلام بها، سيدي أحمد بن الخوجة وهو من كبار المدرسين بجامع الزيتونة، وله درس بجامع صاحب الطابع الحلفاوين، وكان إذ ذاك مشتغلاً مع الدرس بجمع حاشية على شرح الماكودي على ألفية ابن مالك، وقد أطلعني على كراسة منها، فرأيتها حاشية لا بأس بها ـ الله تعالى يعينه على

(1) المجموع: ورقة 55، ب.
(2) المجموع: ورقة 56، أ.

إتمامها آمين»[1]. واستطرد قائلاً مسجلاً قطوفاً مما كان يدور من حديث في تلك المجالس والمنتديات «وعند اجتماعي به ذكر لي أن بيده نبذة من حواشي نوح أفندي على الدرر من كتاب الوتر إلى آخره، فذكرت مضى بعد ذلك ليبرهن على أحكام المودّة، وتقوية الأواصر برموز الهدايا ليس مع الشيخين أحمد ومحمود فحسب بل مع أخيهما البشير الذي كان من كبار موظفي ديوان الوالي محمد الصادق باشا، يقول الشيخ محمد كامل «ولما نويت الرجوع من تونس إلى وطني طرابلس كان بإصبعي خاتم فضة فنزعته من إصبعي وألبسته شيخ الإسلام المذكور، وقلت له ليكن هذا بإصبعك لتتذكرني به فتدعو لي بالخير، فقابلني هو بإهداء ما هو أعلم وأعظم، وهو سبحة عظيمة جداً مصنوعة من العنبر صنعة فائقة، ولما اجتمعت بأخيه الآخر سيدي البشير، وهو مستخدم في كتابة الوالي بتونس محمد الصادق باشا أهدى إليَّ حقه من عنبر معدّة للنشوق مملوءة بالنشوق فقبلتها منه، ولما فارقته أعطيت النشوق الذي بها لمن يتعاطاه فإني لا أتعاطى النشوق ولا غيره من أنواع الدخان ولله الحمد والمنّة»[2].

كما التقى في هذه الرحلة بالشيخ صالح التبرسقي من مبرزي علماء تونس، وجالس أعلاماً آخرين غيره لقي منهم جميعاً معهود الحفاوة، ومألوف التقدير والتبجيل الذي كان يلقاه من العلماء الفضلاء وقد تجاذب معهم أطراف الحديث حول المسائل النازلة والمباحث العلمية العالية.

فقد اجتمع بالشيخ صالح التبرسقي الذي وصفه بأنه «محقق، علامة، كبير السن يتجاوز السبعين وعليه أثر الصلاح، وبه إذ ذاك أثر مرض»[3]، وقد أشار أيضاً إلى هذا الاجتماع في كتابه الفتاوى الكاملية فذكر علم الشيخ، وسرعة خاطره، وإكرامه له، قال رحمه الله «لما كنت بحاضرة تونس ـ أعادها الله تعالى للإسلام ـ وذلك سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف، وهي السنة التي أخذها فيها

(1) م. ن: ورقة 56، أ.
(2) المجموع: ورقة 56، أ.
(3) المجموع: ورقة 55، ب.

الفرنسيون ـ أعاذنا الله تعالى من شره ـ اجتمعت بأحد كبار علمائها، وهو الشيخ صالح التبرسقي، وكان كبير السّن أظنه بلغ الثمانين حينئذ، فتذاكرت معه في مسائل علمية، فقال ورد عليَّ سؤال ذات يوم من بعض الحذاق حاصله، لِمَ أكثر الله سبحانه من الكفار وهم أعداؤه فجعلهم أكثر من المسلمين وهم أولياؤه؟»[1].

وغير خاف أن السؤال الموجه بتلك الصيغة إنما هو وصف نفسي دقيق لما يعانيه الإنسان المسلم المقهور الذي تحاول أن تطحن روحه الحركة الصليبية الكافرة، وآخرها ما أشار إليه المترجم قبل قليل من احتلال فرنسا لتونس.

قال الشيخ صالح التبرسقي كما نقل عنه الشيخ محمد كامل «ولم أكن رأيت هذا السؤال في كتاب، ولا سمعته من أحد، ففكرت فألهمني الله تعالى الجواب فقلت فعل سبحانه وتعالى ذلك دفعاً لما عساه يخطر بالبال من الوساوس الشيطانية، إذ لو عكس الأمر من أنه سبحانه وتعالى، إنما أكثر من المسلمين الذين هم أولياؤه ليدفع بهم الكفار الذين هم أعداؤه، وينتصر بهم عليهم، وينتفع بطاعتهم، فهو أعنى إكثار الأعداء دليل على استغنائه عن المعين والناصر، وعدم احتياجه لأحد من خلقه، جلّ جلاله»[2].

وقد أثبت المترجم هذه النازلة بل الفتوى الذكية في مقام الإخبار عن طرف من رحلته الأخيرة إلى تونس، وفي سياق إعجابه بفكر الشيخ صالح التبرسقي الذي دلنا على أنه كان يبادله هو الآخر الإعجاب والتقدير، وآية توقير الشيخ التبرسقي له، تلك اللطيفة التي أثبتها مترجمنا في كتابه الفتاوى الكاملية[3] المجموع[4] بعد إجابة الشيخ التبرسقي عن السؤال الذي وجه إليه ومفاده، هل

(1) م. ن: ورقة 55، ب.
(2) المجموع: ورقة 55، ب.
(3) الفتاوى الكاملية: 271.
(4) المجموع: ورقة 55، ب.

هناك دليل عقلي على وجود الجنة والنار يوم القيامة؟ وأورد محمد كامل بعد جواب السيد التبرسقي على ذلك السؤال قوله:

اجتمعت بالشيخ المذكور في بيته بحاضرة تونس، فاستقبلني عند باب داره فلما رآني أقبل عليَّ وأنشد:

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها وأنتم في عيون الناس أقمار

وجاء في الكناش «وبه إذ ذاك أثر مرض فبمجرد ما دخلت داره ورآني قام إليَّ وعانقني ثم جلس وأنشد »[1] وذكر البيت المذكور واستطرد قائلاً «ولما دخلنا البيت، وجلسنا بزاوية منه أمر بفتح كوة لزيادة الضوء فدخلت الشمس فأصابته لكونه مقابلاً لها دوني، فقال الخادم الذي فتح الكوة، أخاف أن تصيب الشمس الشيخ يعني العبد الفقير، فقال الشيخ ـ حفظه الله تعالى ـ على البداهة «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر» قال مترجنا «فانظر للطافة هذا الكلام مع قوله أولاً وأنتم في عيون الناس أقمار»[2].

ولا شك في أن هذه اللطيفة تظهرنا من قريب على التقدير العظيم الذي كان يحظى به المترجم عند الشيخ صالح التبرسقي، وهو تقدير متولد عما عاينه فيه من قوة العارضة والعلم.

ومما لا شك فيه أن رحلته الأخيرة لتونس كانت حافلة باللقاءات العلمية، والمباحثات الفكرية، وبمؤانسة العلماء الكبراء في المجتمع التونسي عهدئذ، فمن الأعلام الذين توثقت علائقه بهم الشيخ الطاهر النيفر[3] من أسرة النيفر الشهيرة بالعلم والإفتاء بتونس وكان قاضي المالكية بها، وقد وصفه بأنه كان «ذا هيبة وسكينة ووقار وجمال في الصورة، ودقة في نظر ما يرد عليه من القضايا»[4]

(1) المجموع: ورقة 55، ب.
(2) م. ن: ورقة 55، ب. والآية 40 من سورة يس.
(3) راجع ترجمته في تراجم الإعلام: 81.
(4) المجموع: ورقة 57، أ.

ويبدو من تقييده المتصل به في الكناش أن كلاً منهما قد ارتبط بأخيه أشد الارتباط، وأظهر نحوه ما ينمّ عن محبة صافية، وودّ غير مشوب بشائبة قال «وكان تعلق بي وأحبني ودعاني لداره لأكل الطعام فتوجهت إليه فأكرمني غاية الإكرام أنا ومَنْ معي من الرفقاء، ومهما يجد فراغاً من الأشغال يرسل إليَّ الكروسة ويطلبني إليه ـ جزاه الله تعالى خيراً»[1] وأخبر بما أهداه إليه، وما استأنس به من مجالس أخويه اللذين كانا حسب نعته «من أهل العلم والخير»[2]. بل إن أحدهما وهو الشيخ الطيب تولى منصب القضاء بعد وفاة أخيه الشيخ الطاهر[3].

وكان ممن اجتمع بهم في هذه الزيارة الشيخ محمد الملقب بالمختار شويخه وكان من الأدباء الأذكياء. ذكر أنه التقى به، ثم دعاه في يوم المولد النبوي الشريف إلى داره؛ بعد أن حضرا تلاوة المولد الذي ألفه الشيخ إبراهيم الرياحي في جامع الزيتونة وكان في طليعة حضور هذه التلاوة والي تونس محمد الصادق باشا ومعه وزراؤه وجملة من الأعيان وأكابر العلماء، وقد ألمح إلى ما عاينه من اتحاد العادات والتقاليد بين بلاده طرابلس وتونس فيما يقدم من أكل بهذه المناسبة، ولكن الذي يعنينا من أمر هذا اللقاء هو التذاكر العلمي الذي وصل بهما إلى الوقوف على امتلاك الشيخ المختار شويخه لثبت الشيخ أحمد الصباغ السكندري وأنه مجاز له به بسند متصل إلى مؤلفه، فدعا هذا التفرد المترجم إلى طلب الإجازة فيه فوعده الشيخ المختار شويخه بذلك وبنسخ نسخة منه، وقد وفى الشيخ بوعده، فأرسل إليه نسخة وأجازه منه بما احتوت عليه منظومة من بحر البسيط مطلعها[4]:

الحمد لله ذي الإحسان والجود ومانح العبد فضلاً غير محدود

---

(1) م.ن ورقة 57، أ.

(2) م.ن ورقة 57، أ.

(3) م.ن ورقة 57، أ.

(4) المجموع: ورقة 57، أ.

ثم الصلاة على عين الحقيقة من: . . . .

وبرهن الكناش على دوام الصّلة بعد ذلك حيث قال «وقد زارنا في محلّ إقامتنا وزرناه ـ حفظه الله تعالى ـ آمين، وبعد رجوعي إلى وطني طرابلس أرسل لي كتاباً يطلب مني الإجازة في صحيح البخاري بسند لي عال؛ فأجبته إلى مراده»[1].

وقد تضمن الكناش خبر اجتماعه بأحد الطارئين على تونس وهو الشيخ عبد العزيز قاضي فاس، أشار إلى أنه اختلف عليه كثيراً، وذاكره في مسألة طلاق العوام على المذهب المالكي وهل هو بائن أو رجعي، فأجابه بأن شيخه العلامة وأستاذه الفهامة الشيخ محمد عليش المالكي أفتى بأنه رجعي خلافاً لبعض شراح العاصمية، وشنع على من يفتي من المالكية بأنه بائن فاستحسن ذلك، وقد مدح قاضي فاس الشيخ محمد كامل بقصيدة لم تنل إعجابه فذكر أنه «قليل البضاعة في العربية وغيرها؛ فنظمه مختل وزناً وإعراباً»[2] وذكر أن هذا القاضي مات بعد رجوعه إلى فاس[3].

وأوقفنا الكناش على آخر من اجتمع بهم الشيخ محمد كامل بن مصطفى في رحلته الخاتمة إلى الديار التونسية من العلماء والفضلاء فكان القاضي الحنفي الشيخ بيرم[4]. ذكر أنه معروف بينهم بالأفندي «ولا يطلق عندهم هذا اللفظ إلا عليه[5] ويبدو أن ما اتصف به هذا القاضي من الخلال العلمية والنفسية كانت الجواذب الحيقية التي حملت المترجم على أن يكون الذكرى الجميلة والأخيرة من رحلة تونس، قال ـ رحمه الله ـ «وكان اجتماعي به يوم عزمنا على الرحيل من تونس، قال ـ رحمه الله ـ «وكان اجتماعي به يوم عزمنا على الرحيل من

(1) المجموع: ورقة 57، أ.
(2) م.ن ورقة 57، أ.
(3) م.ن ورقة 57، أ.
(4) م. ن: ورقة 57، ب.
(5) م. ن: ورقة 57، ب.

تونس، توجهت إليه في داره لزيارته، إذ قد مدح لي بكمال الفقه، وكمال الديانة وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم، فدخلت عليه وهو بغرفة على حدة يأتيه بها الناس فقام لي وسلم عليّ، وشرعنا نتذاكر في بعض المسائل العلمية الفقهية فذكرت له مسألة شيخ الإسلام التي قدمنا ذكرها قريباً في هذا المجموع[1].

وقد كان جواب الشيخ بيرم كما ذكر الشيخ أحمد بن الخوجة ومطابقاً له[2].

وكان من ارتسامات المترجم به عن هذا الشيخ القاضي ما قوى حكمه وحكم الناس فيه قال: «ثم قمت وودعته، وأنا أتمنى الزيادة من مجالسته ومذاكرته، وكان رجلاً حليماً، هيناً ليناً نحيف البدن، يظهر عليه أثر الصلاح والخير، حفظه الله»[3].

وأغلب الظن أن هذه المهمة بجوانبها المختلفة قد مكّنت له في نفس الوالي ورجال الحكم في الولاية، كما أتاحت له فرصة جديدة مساعفة للتعبير عن إخلاصه للدولة العثمانية وتوجهاتها السياسية فيما أسفرت عنه ألمعيته في هذه السفارة الناجحة.

وقد احتفظ لنا المجموع أو الكناش الذي كتبه بوثيقة مهمة تضمنت رسالته التي كتبها من طرابلس إلى المفتي العلامة أحمد بن الخوجة عقب عودته من تونس بتاريخ 19 ربيع الثاني (1298/ 1880) وهي رسالة تفيض بالمودّة والإجلال للمفتي وتؤكد ما ذكره سلفاً في أبياته من انتقال جسمه من تونس وبقاء روحه فيها، أودع ذلك في كلام منثور وآخر منظوم[4].

بيد أنه لم تمض مدة طويلة على بداية حكم أحمد راسم باشا في ولاية طرابلس، والتي اتّسمت بالكثير من صور الدبلوماسية والحيطة في إطار ذلك

---

(1) المجموع ورقة 57، ب.
(2) م. ن: ورقة 57، ب.
(3) م. ن: ورقة 57، ب.
(4) المجموع: ورقة 51، أ.

الموقف السياسي الشائك المقرون بالخوف من هجمتي إيطاليا وفرنسا على ليبيا، بل على عودة محمد كامل من رحلته الأخيرة إلى تونس، حتى نشبت قضية سياسية محلية كبرى في الولاية شغلت الرأي العام فيها، واحتلت حيّزاً كبيراً من تفكير الوالي وموظفيه والإدارة ومثقفي البلاد الذين شاركوا أو أقحموا فيها، أعني القضية التي عرفت في تاريخ ليبيا الحديث بقضية إبراهيم سراج الدين المدني أو المكي التي ابتدئ في التحقيق فيها في سنة (1300/ 1883)[1]. وقد تضاربت الأقوال في هذه القضية، وفي حقيقة الشيخ إبراهيم سراج الدين وفي هويته؛ فالملف الموجود في دار المحفوظات التاريخية[2] والمخصص للأقوال والاستجوابات من طرف الحكومة في هذه النازلة التي اعتقل بعض أطرافها مثل إبراهيم سراج وأحمد النائب وحمزة ظافر وغيرهم، وحقق مع أطراف أخرى كان في طليعتها الشيخ محمد كامل بن مصطفى وعدد غير قليل من تلاميذه ومريديه يمثل في الحقيقة النظرة الرسمية العثمانية لهاته الشخصية وتوجهاتها، ولمن أحاط بها واستقبلها من رجال البلاد؛ وهي نظرة مشوبة بالحذر الشديد، والاتهام الذي يذهب إلى إدانة إبراهيم سراج بتأسيس جمعية سرية فسادية وإقامة علاقات مشبوهة مع دول أجنبية وبخاصة إيطاليا وبريطانيا، وتأليب الرأي العام في الولاية على الدولة العلية.

وهناك نظرة أخرى تنظر إلى هذه القضية على أنها قضية مصلح من المصلحين، وصورة من صور اليقظة والنضال الشعبي[3] وثمّة وثيقة ـ ظهرت أخيراً ـ كتبت على ضوء بعض روايات بعض المعمرين ممن شهدوا هذه القضية وعاصروها[4]، تنظر إلى المسألة من هذه الزاوية، إذ ترى في إبراهيم سراج

---

(1) ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي: 348.

(2) دار المحفوظات التاريخية بالسراي الحمراء في طرابلس، وقد نشر الدكتور أحمد صدقي الدجاني جزءاً من هذا الملف ضمن كتاب ساق فيه جوانب من هذه القضية أو المسألة السراجية.

(3) ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي: 348.

(4) شعبة الوثائق والمحفوظات بمركز دراسة جهاد الليبيين.

الدين مصلحاً من المصلحين الذين شهدهم النصف الأخير من القرن الماضي، وتعدّه وفق هذا التصور مبرأ من التّهم الجارحة التي رمى بها، بل تعتبره أحد الشهداء الذين جنت عليهم الجوسسة الجائرة في العهد العثماني.

ولا يعنينا هنا البحث في تفاصيل هذه القضية التي تحتاج دون شك إلى تفرغ ودرس مضن، بقدر ما يعنينا أن نذكر أن محمد كامل ـ قد اكتوى ـ باعتباره في طليعة علماء طرابلس وشيخ شيوخها، ومن أبرز قضاتها ورجالها الرسميين أو على نحو أدقّ ـ كانت تربطه بالأطراف الفوقية المتهمة صلات حميمة ـ بنار هذه القضية، واحترق على نحو أو آخر بلهيبها اللافح.

وحقيق بالذكر أن الذي يتتبع ملف هذه القضية يجد أن نصيب ما مُس به الشيخ محمد كامل من هذا التحقيق كان نصيباً ضئيلاً؛ إذ لم توجه له اتهامات واضحة صارخة من شأنها إدانته أو إقحامه في لجّ تلك التوجهات السياسية؛ وإنما قصارى ما جرى له أن استدعى فسئل عن صلته بإبراهيم سراج المدني الذي ذكر معرفته به في بيتي صديقيه النائب وصهره المدني[1]، وأنه التقى به لأنه كان من أهل العلم ومن الغرباء الطارئين على البلد؛ كما سئل عن حضوره إلى جامع الناقة لسماع خطبة الجمعة المعنونة بـ«تعالوا بنا نبكي» فأقر بمجيئه إلى الجامع المذكور مع أحمد النائب وغيره من الأعيان لأداء فريضة الجمعة وللاستماع للخطبة التي قيل إنها جاءت من الشرق[2] وبيّن أنه ليس في ذلك ما يمكن أن يؤاخذ عليه أو يحاسب به.

ومن المعلوم أن التحقيق الرسمي في هذه القضية قد أسفر فيما أسفر عن سجن إبراهيم سراج المدني الذي قضى عدداً من السنين في محبسه توفي على أثرها، فيه وفاة صوّرتها الوثيقة التي كتبها أحد المعمرين تصويراً دقيقاً، أكد فيه على مأساوية نهايته، وما ظهر له من كرامة فيها[3]. كما قضت بإبعاد أحمد

(1) ملف «قضية إبراهيم سراج الدين» دار المحفوظات التاريخية بالسراي الحمراء بطرابلس.
(2) ملف قضية إبراهيم سراج الدين بدار المحفوظات التاريخية.
(3) الوثيقة بشعبة الوثائق والمخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس.

النائب، وحمزة ظافر المدني من ولاية طرابلس إلى استنبول، وكان في طليعة من برئت ساحته بعد ذلك التحقيق المطوّل الشيخ محمد كامل بن مصطفى عضو مجلس الولاية، وعدد من تلاميذه[1] فخرج بذلك مبرأ الساحة، موفور النقاء من الشبهة وازدادت ثقة الوالي أحمد راسم فيه، وقوي أمله في شخصه ما أجمعت عليه الآراء الخاصة والعامة مما أسداه للعلم وللدولة من خدمات جلى فعبّر له في معارض شتى عن تكريمه له، وعنايته به، وحدبه عليه، من ذلك أنه اختاره بعد مضي عدة سنوات، عن تلك القضية، وبالتحديد في سنة (1310/ 1892) للسفر إلى زواره «في جملة ذوات لتعيين الحدود بين ولاية طرابلس وتونس»[2] وقد أشار المترجم إلى هذا التكريم، ولكنه لم يشر إلى أسماء هؤلاء الذوات، واقتصر على ذكر «الذكي النجيب كامل أفندي، صهر الوالي»[3] الذي كان كاتباً للطرف الطرابلس، وقد امتدحه بقصيدة مكونة من سبعة أبيات أثنى فيها على خلقه وعلى أخلاقه وحسن كتابته وتحريره وذكر مطابقة اسمه لمسماه حيث يقول[4]:

يا كامل الخلق والمعروف والأدب — لا زلت بين الورى في المجد ترتفع
تكاملت فيك أوصاف الكمال فما — في الناس مفترق ففيك يجتمع
الصدر منشرح والوجه منبسط — والكفّ تمتع والأخلاق تتّسع
حسن الكتابة والتحرير منك بدا — ولم تزل لمليح الفكر تبتدع
مذ كنت طفلاً رأوا فيك النجابة قد — لاحت فأنت بها في الفضل تندفع
من أجل ذا لقّبوك كاملاً وأتوا — بالاسم طبق الذي في الذات منطبع
خذها إليك عروساً بالبكارة قد — سيمت فلم يرها من قبل مطلع

بيد أنه يخبرنا بعد ذلك بخبر هذه المهمة مفصلاً، ولكنه اقتصر على ذكر

(1) راجع ملف إبراهيم سراج الدين بدار المحفوظات التاريخية.
(2) المجموع، ورقة 68، أ.
(3) المجموع، ورقة 68، أ.
(4) المجموع، ورقة 68، أ.

ما اتّسم به الفريق التونسي أو حسب تعبيره «خصماؤنا التوانسة»[1] الذين رشحتهم فرنسا من اللجاجة والعناد وعدم الرضوخ للحق طيلة أيام المفاوضات، وقد سجّل ذلك أيضاً في سبعة أبيات هائية تنضح بهوان الدولة العثمانية على فرنسا المستأسدة وقتذاك حيث يقول[2]:

لقد طالت بنا الأيام حتى	رمتنا ذات يوم في زواره
نجدّد كل يوم ذكر حد	ببرهان ولطف في العباره
نجادل خصمنا فيها ونأتي	بتحقيق بدا بعد استشاره
وليس لخصمنا وجه ولكن	لهم وجه صحيح كالحجاره
لنا صدق المقال ووجه الحق	وليس لقولهم وجه استقامه
فيأسهم ودأبهُم العناد	وما للخير فيهم من إماره
فنرجو الله قهرهم جميعاً	وتعجيل المسرة والبشاره

وعلى الرغم من أن هذه الأبيات لا تحمل في تضاعيفها أي رفيف يدل على فنية الإبداع؛ إذ يغلب عليها طابع النظم والمباشرة، ولكنها تنقل بأمانة أجواء ذلك التفاوض الذي لم يستند على حق من الجانب التونسي، كما تفصح عن العجز الذي قابل به الجانب الطرابلسي ذلك اللجاج، وتبرهن من قريب. على مدى حبّ ابن مصطفى لوطنه المرزأ المغلوب.

كذلك نجد من مظاهر التكريم بعد تلك البراءة أن أسند إليه الوالي أحمد راسم باشا منصب الإفتاء الذي خلا بوفاة الشيخ مصطفى باكير تقديراً لأعماله ولإخلاصه وجدارته وجاءه النصب في هذه الوظيفة الدينية العالية موثقاً معتمداً بمرسوم «فرمان» من دار الخلافة فسمي مفتياً في سنة (1311/ 1893)[3]، وقد

(1) المجموع، ورقة 68، أ.
(2) م. ن. ورقة 68، أ.
(3) المجموع: ورقة 68، ب.

أشار مترجمنا إلى هذا المعنى في أحد قيوده حيث قال: «الحمد لله قد منَّ الله تعالى على الفقير بتوجيه وظيفة الفتوى في أوائل شوال سنة 1311، وكنت قبلاً مباشراً للإفتاء منذ سنة سبعين ومائتين وألف إلى هذا الوقت من غير توجيه من طرف المشيخة الإسلامية»[1].

ومن المعلوم أن المفتي في طرابلس وبرقة يعتبر «هو الزعيم الديني، بينما يتولّى القاضي رئاسة المحكمة الشرعية، وتقوم الآستانة بتعيين الاثنين، الأول مدى الحياة، والثاني لفترة تبلغ ثلاثين شهراً»[2]. وقد أشار نائب الشرع الشريف في هذه الولاية آنذاك ضمن تقريظه لحاشية مترجمنا على تفسير الشيخ البيضاوي إلى أن الشيخ محمد كامل تقلّد الإفتاء بفرمان من دار الخلافة[3] وفي ذلك تلميح إلى رفيع منزلته في الدوائر الرسمية في استنبول وفي الولاية، ومن الطرائف المتلقاة بالسماع، ويحسن تسجيلها في هذا المقام لدلالتها على تقدير الأوساط الشعبية له، بعد تأخر التسمية من الجهات الرسمية، أن أحد المهنئين من تلاميذه قال له وهو يبارك توليه هذه الخطة بفرمان من الآستانة «يا شيخنا أنت مفت في زمان، وقبل الفرمان»[4].

وقد توالت التهاني تترى على الشيخ محمد كامل ليس من الداخل فحسب، بل من الخارج أيضاً، تفصح عن مشاعر أصحابها نحوه، وتجلو كريم صفاته ونعوته التي اشتهر بها بين العلماء والفضلاء، وتجتزئ هنا تهنئتين الأولى كتبها تلميذه الشيخ محمد الطاهر البشتي الزاوي من طرابلس، والأخرى وردت إليه من عامل باجة علي الجويني التونسي.

قال مترجمنا عن الأولى مقدماً لها في المجموع «وقد كتب لي ولدنا الفاضل الأديب الشيخ محمد الطاهر الزاوي البشتي أبياتاً يهنئني بها، كما كتب

(1) المجموع: ورقة 68، ب.
(2) ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني: 22.
(3) مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل: ورقة 210.
(4) نقلاً عن الأستاذ علي الفقيه حسن.

لي غيره قصائد في ذلك المعنى، ولما كانت قصيدته أظرف وأرشق، أحببت تقييدها هنا»[1].

وتعدّ هذه القصيدة ستة وثلاثين بيتاً نكتفي منها بما يدل على ظرفها ورشاقتها، من ذلك تعبيره في الفاتحة عن البشر والسرور البادي في قوله[2]:

بشير السعد وافي بالتهاني ... وداعي الرشد أخبر بالأماني
وطير الأيك أنشدني حديثاً ... به ألقى المسرة في جناني
وأطربني وحلَّ عرى قيادي ... وبثّ لي الطلاقة في لساني
فأنبأني بأن أبا المعالي ... وكهف العزّ ملجأ كل عاني
حوى شرفاً وحلّ منار عزّ ... وفخر فوق أعلام الزمان
تقلد خطة الفتيا فجاءت ... له تسعى على قدم التداني

ثم أشار إلى قدم عهده بالفتوى، واشتهاره بين أهله بتحرير مسائلها، ورجوع الناس إليه فيها، وإدمانه على المراجعة[3]:

وقد كانت له قدماً تؤدي ... مسائلها بتحقيق المباني
وينشرها على الأقطار طراً ... ويبدي ما تعسّر من معان
حوت شرفاً وعزاً لا يضاهى ... طرابلس وهاتيك المغاني
بلى كل الولاية قد تسامت ... هذا الحبر مرفوع المكان

وخلص بعد ذلك إلى تعداد صفات ابن مصطفى، وبيان فضائله وخلاله النفسية، والمحامد التي أقرّ له بها كل من عرفه، وهي التي سقنا منها أبيات عند الحديث عن شخصيته.

---

(1) المجموع: ورقة 68، ب.
(2) المجموع: ورقة 68، ب.
(3) المجموع: ورقة 68، ب.

أما التهاني الواردة عليه من خارج الولاية فنقتصر منها على الأبيات الأربعة التي كتبها إليه عامل باجة في تونس أمير اللواء علي الجويني، والتي يقول فيها جاعلاً البيت الأخير تأريخاً شعرياً للمناسبة[1]:

بدور الهدى تبدو بعزّ سمائه وشمس البها تهنى الورى بارتقائه

تبسّم وجه الشرع وافتر ثغره وقرر لسن الدسن حسن ثنائه

وقال خطيب الحق يرقى ابن مصطفى على منبري والناس تحت لوائه

هنالك قام اليمن يدعو مؤرخاً سلامة جمع الفضل عزّ بقائه

وقد بذل مترجمنا جهوداً غير قليلة للنهوض بمنصبه وتحمل المشاق في القيام بأعبار الإجابة عما كان يرد إليه من استفتاء من طرابلس ومن أريافها وضواحيها، بل من مدينة بنغازي وغيرها كما جاء في فتوى من فتاوى كتابه، وكان في أثناء توليه للإفتاء ـ كما يذكر الشيخ الطاهر الزاوي ـ «مثال الأمانة والنزاهة، وعليه من مهابة العلم ووقاره ما بعث الهيبة في نفوس عارفيه حتى من اليهود والمسيحيين»[2] ومع ذلك كله، ومع ما كان يتطلبه هذا المنصب من الارتباط بالوالي ومجلس الولاية والمناسبات الرسمية التي تحتّم وجوده فقد شغل نفسه بما كان يشغلها به من المذاكرة الموصولة والمراجعة الدائمة، وعناها بقدر من تحمل من جهد ببعض ما كانت تكابده في وقت الصبا والشباب من الانتساب لشرف العلم والإصلاح، والتلذذ بالعمل والتوجيه والعطاء، ومن أخباره المتصلة بهذه الفترة قيامه وإشرافه على طبع كتابه الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية، الذي أصدره في سنة (1313/ 1895)، وهو الكتاب الذي بدأ في جمع مادته قبل خمس سنوات من هذا التاريخ[3].

ولا خلال في أنه أبقى على ما كان قد اعتاد عليه من برامج مقررة في حياته العلمية والاجتماعية.

---

(1) م. ن: ورقة 70، أ.

(2) أعلام ليبيا: 326.

(3) الفتاوى الكاملية: 2.

ومن الراجح أنه عاش خلال هذه المدة من حياته الخاتمة حياة هانئة آمنة سواء في محيطه الأسري الخاص، أو في المحيط البيئوي العام، ونعم بما انتهى إليه من مكانة موقرة، وبما كوّنه لنفسه من وشائج طيبة سامية مع البنية الاجتماعية الفوقية من الولاة والقضاة والعلماء وكبار موظفي الولاية، ومع البنية الاجتماعية الأخرى الممثلة في أهل بلده من المسلمين وغيرهم ممن يكبرونه ويرعون مقامه، ومن الراجح أيضاً أنه مال في خواتيم هذا الطور إلى ما لا بدّ منه من الدعة والسكون وإيثار الراحة اللذين تفرضهما السن والمنزلة الاعتبارية، فظل خلالها محطّ الإجلال في طرابلس الغرب الهادئة الجميلة، التي استسلمت هي الأخرى في آخر القرن الماضي إلى استرخاء وسبات، لا يريم عنها إلا إلى مسقط رأسه الزاوية بين الفينة والفينة، حيث ينفق أوقاتاً مسعدة مع عشيرته وجيرته ومن بقي من أصدقاء شبابه، كما كان يغشى مع أحبائه وعشرائه وتلاميذه الأثيرين في أوقات أخرى المزارع والبساتين المزهوة في سكرة، أو في منطقة الشارع الغربي، وغيرهما من أماكن الغروس والمياه والفلح ومواضع الأزاهير والمتعة السابية، وأغلب الظن أنه كان يختلف في الأماسي والعشايا ـ استناداً على بعض الروايات ـ على مقهى فندق حسان الذي ألمحنا إليه، وذكرنا أنه كان يمثل مجلساً من مجالس الكبراء ووجهاء المدينة في آخر القرن الماضي فيعقد فيه بعض مجالسه ومنتدياته، كما كان يعقد الشيخ جمال الدين الأفغاني بعض مجالسه في مقهى «ماتيتا» بالعتبة الخضراء بالقاهرة[1].

كذلك كان يستقبل بعض زواره ومؤانسيه من العلماء والتلاميذ في بيته الذي لا يزال قائماً إلى اليوم في زنقة المجروح بالمدينة القديمة، كما كان يطيب له المكث والمذاكرة في خلوته الكبيرة المستقلة في جامع عثمان باشا بباب البحر، وهي الخلوة التي تكون على آخر يسار الداخل إلى هذا الجامع، والمكونة من حجرتين مستقلتين متقابلتين وقد أفاد فيها كثيراً من طلابه العلم

(1) ثلاثة من أعلام الحرية: 51، زعماء الإصلاح: 67.

والتوجيه وطرائق الإصلاح، كما استفاد فيه كثير من المراجعين الفتوى والإرشاد. كما كانت مراحاً جميلاً للعلماء الطارئين على البلد في أواخر القرن الماضي.

إن تلاميذه الكبار من أمثال العلامة عبد الرحمن البوصيري والشيخ محمد العالم الكراتي، والشيخ إبراهيم باكير، والشيخ مصطفى الخازمي والشيخ مصطفى الهوني، والشيخ مختار الشكشوكي والشيخ أحمد الشارف والأديب مصطفى بن زكري وغيرهم لا يزالون في هذه المرحلة من أخريات حياته يتحلقون به، وينتفعون من مباحثاته وعلمه كما كانت تتحلق بالشيخ طاهر الجزائري في الشام تلامذته وحملة رايته من أمثال عبد الحميد الزهراوي، وعبد الرحمن شهبندر، وفارس الخوري، ومحمد كرد علي، ورفيق العظم ومحب الدين الخطيب وغيرهم، تلك هالة وضاءة بالشام تحيط بقمرها الساطع، وهذه هالة أخرى في طرابلس تدور حول قمرها المشعّ.

وقد دلتنا الإشارات اللطيفة من رواة أخباره على أنه كان يعطى في أخريات حياته ـ على كبر سنّه وعلوّ منصبه ـ دروساً في العقيدة الإسلامية والتوحيد لصغار الطلاب والمبتدئين في مكتب الرشدية الملاصق لجامع أحمد باشا بسوق المشير[1] ليشب ذلك النشء المسلم على إيمان راسخ، ويقين ثابت، وليمد شرايين الحياة العلمية الواعدة بدماء جديدة، واستمر في إلقاء هذه الدروس وفي بثّ مواعظه ودروسه الرمضانية في جامع شائب العين، وفي جامع مصطفى قرجي بباب البحر، وهي خلاف الدروس التي كان يحضرها أعيان البلاد والعلماء والضباط وعامة الناس يقرئهم كتاب الله، ويسمعهم تفسيره امتثالاً لأمر والده إلى أن توفي، وقد أدرك الرحالة الحشائشي ـ كما جاء في مقدمة هذا الكتاب ـ مجلساً من تلك المجالس في عام (1313/1895) أي قبل وفاته بسنتين، وأبدى إعجابه بعلم الشيخ وأثنى عليه.

---

(1) نقلاً عن الأستاذ علي الفقيه حسن؛ وقد أثبت هذا المعنى أيضاً في مقالته المنشورة بمجلة ليبيا المصورة سنة 1938 تحت عنوان الأستاذ محمد كامل بن مصطفى.

وقد أدرك بعد ذلك عدة أشهر من عهد الوالي نامق باشا (1896/ 1898) ذلك الوالي الذي أبدى عطفه على ولاية طرابلس الغرب، وتحمّس لإصلاح التعليم والعناية بنشر المعارف والعلوم، وإرسال وفود من الطلاب للتحصيل في استنبول، فامتدح من أهل البلاد والمصلحين فيها وذلك أن المعارف ـ كما يقول الشيخ محمد البوصيري ـ «كانت ولايتنا اسماً بلا مسمى؛ فأصدر إرادته العلية بقبول كل من أراد الاغتراف من فضائل المعارف في دار السعادة وقام بجميع اللوازم من جيبه الخاص، فهرع إلى الآستانة العلمية كثير من شبان الولاية، فما مضت عليهم برهة من الزمن حتى رجعوا إلى أوطانهم ضباطاً يرشحون بالمعارف»[1].

وقد أدرك الشيخ محمد كامل هذه الخصيصة في هذا الوالي المصلح، فتجاوب مع جهوده الإصلاحية، وأنفق معه الأشهر الأخيرة من حياته معاضداً لهذه النهضة ومسانداً له في حركته النهضوية العظيمة، وتخبرنا صفحات التاريخ أن مجلساً للمعارف تشكل بتاريخ 17 صفر 1315 للإشراف على الرقي بالتعليم، وتولى رئاسته نامق باشا نفسه، واختار للقيام بهذه المهمة عملياً شيخ الشيوخ ومحيي العلوم في الولاية المفتي الشيخ محمد كامل بن مصطفى ليكون رئيساً ثانياً لهذا المجلس الذي ضمّ في عضويته الفاعلة الشيخ بشير[2] والشيخ أحمد بن عبد السلام، والشيخ محمد السماتي، والشيخ أحمد الويفاتي، والشيخ أحمد بن محمود، والشيخ عمر المسلاتي»[3].

وفي الحق لم نهتد إلى معلومات دقيقة عن طبيعة عمل هذا المجلس، وعما أنجزه من تصورات إصلاحية للرقي بالمعارف، وعن الدور الذي قام به رئيسه الفعلي الذي أنابه الوالي عنه في التخطيط والاقتراح والتنفيذ، ولكن الذي

---

(1) جريدة الترقي العدد 64.

(2) هكذا ورد دون ذكر أية كنية أو لقب، ولعل المشار إليه الشيخ بشير إمام جامع الناقة الذي ورد اسمه في التحقيق في قضية إبراهيم سراج الدين.

(3) جريدة الترقي: بتاريخ 17 صفر 1315.

لا خلاف فيه أن رئاسته لهذا المجلس كانت آخر ما تقلّده من تكليف رسمي من الوالي؛ أما في المجال الشعبي، أو النشاط الاجتماعي العام فقد أشارت جريدة الترقي إلى عضويته في لجنة إعانة أولاد الشهداء التي شكّلت برئاسة الحاج عبد الرحيم أفندي نائب مركز الولاية[1] ثم تقدمت به السنّ ومسّه الإعياء والرهق من الأعباء التي نهض بها في رحلة عمره، ومسيرة إصلاحه، فضعف واستشرف أفقاً غير هذا الأفق:

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الأجسام

وفاته:

في صباح يوم من أيام أواخر عام (1315/ 1897)[2] تلبّدت أجواء المدينة البيضاء طرابلس الغرب بالغيوم الدكناء، حيث أفاقت كما أفاق الناس فيها على صوت نعي فاجع هزّ جنباتها وحرَّك سواكن أهلها بالألم الممض، الذي برز كالحاً في أنحاء البلاد بوفاة مفتيها، ومحيي العلوم فيها العلامة الشيخ محمد كامل بن مصطفى، الذي غربت برحيله عن سماء الحياة الفكرية والعلمية شمس مشعّة كانت ولعهد طويل تنشر الدفء والنماء والإشراق في أرض هذه البلدة الطيبة وفي ديار أخرى من أرض الإسلام، التي اهتزت وربت بأمواهه العذبة، وبذلك النبأ الراجف رحل عن معاهد العلم فيها عالم من أعلامها العاملين، اشتهر بحسن التلقي وكمال التبليغ، بعد أن عمّر في هذه الدنيا الفانية أكثر من سبعين عاماً، أنفق جلّها في العطاء العلمي والإصلاح، وبذل الجهد كالمصلحين للرقي بهذه البلاد من ديار العالم الإسلامي الذي كان يواجه في القرن الماضي التحديات الاستعمارية، وتحيط به الأخطار المحدّقة من الداخل والخارج.

---

(1) جريدة الترقي: العدد 20 ـ السنة 1 ـ 11 جمادى الآخرة 1315.

(2) هكذا ورد جريدة الترقي الصادرة في ذلك التاريخ، والتي ساقت النعي كما أثبتناه، وهو الذي اعتمد فيما بعد في كتاب أعلام من طرابلس: 219.
وقد ورد كتاب الأعلام، 7: 234، وفي دليل المؤلفين العرب الليبيين: 410 أنه توفي عام (1317/ 1900). وكذلك ورد في معجم المؤلفين: 11: 160، وهو خطأ بيّن.

فمات ـ رحمه الله ـ بعد جهاد مشرف، ولم يعقب من عمره إلا هذا التاريخ الحافل، ومن زوجته إلا ابنتيه عائشة وزينب[1].

وما رزق الإنسان مثل منية   أراحت من الدنيا ولم تخز في القبر

وقد رثاه بعض تلاميذه الكثر بقصائد تفصح عن المكانة التي كان يحتلها هذا الرائد في نفوسهم، ولكن لم يصلنا منها إلا ما صوّر به السيد محمد أفندي الزمرلي تلك الصدمة بوفاة شيخه محمد كامل في قصيدته الشاجية التي نجتزئ منها هذه الأبيات[2]:

خطوب الدهر نادت بالطراد   وأولغت المدى في كل ناد
وفاحت حربها عن كل ساق   وثارت نارها في كل واد
وأظلمت البلاد على أناس   تحجب بدرهم تحت اللحاد
وعاد الصبح بعد الشمس ليلاً   والحق ليلهم بليال عاد
فحصن الدين مذ خرت علاه   وصادف ثلمة علم البلاد
فمن للعلم بعدك يا كفيلا   لهاتيك التفاسير السداد
ومن للمعضلات لكل فنّ   ومن يرضى لتسليم القياد

وما من ريب في أن البلاد قد خرجت مكلومة وهي تحمل شيخها إلى مثواه الأخير، حيث دفن في مقبرة الصحابي الجليل منيذر اليماني رضي الله عنه ويقع قبره ـ عليه سحائب الرحمة ـ في الجهة الغربية القريبة من ضريح هذا الصحابي، وقد وقفت على قبره الذي لا يزال في حالة جيدة ـ على الرغم من مرور أكثر من ثمانين سنة على وفاته ـ ورأيت عليه عمودين من رخام[3]، صنعا

(1) آبتنى بالأولى تلميذه وابن عمه الشيخ أحمد بن محمود وبالأخرى محمد فائق أفندي مميز المحاسبة، الذي توفي ولده أحمد عبد العال ـ وكان من طلبة العلم النابهين ـ كما ذكرت جريدة الترقي في العدد 42 السنة 2 الصادرة في 1 محرم 1360 ـ بعد أيام من وفاة جده.

(2) جريدة الترقي ـ العدد 41 بتاريخ 23 من ذي الحجة 1315/ 1896.

(3) تهدم العمودان بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات من صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب، ثم أعيد أحدهما وهو الذي كتب فيه الأبيات وظل القبر شاخصاً بعد الترميم، ويبقى الملك لله وحده.

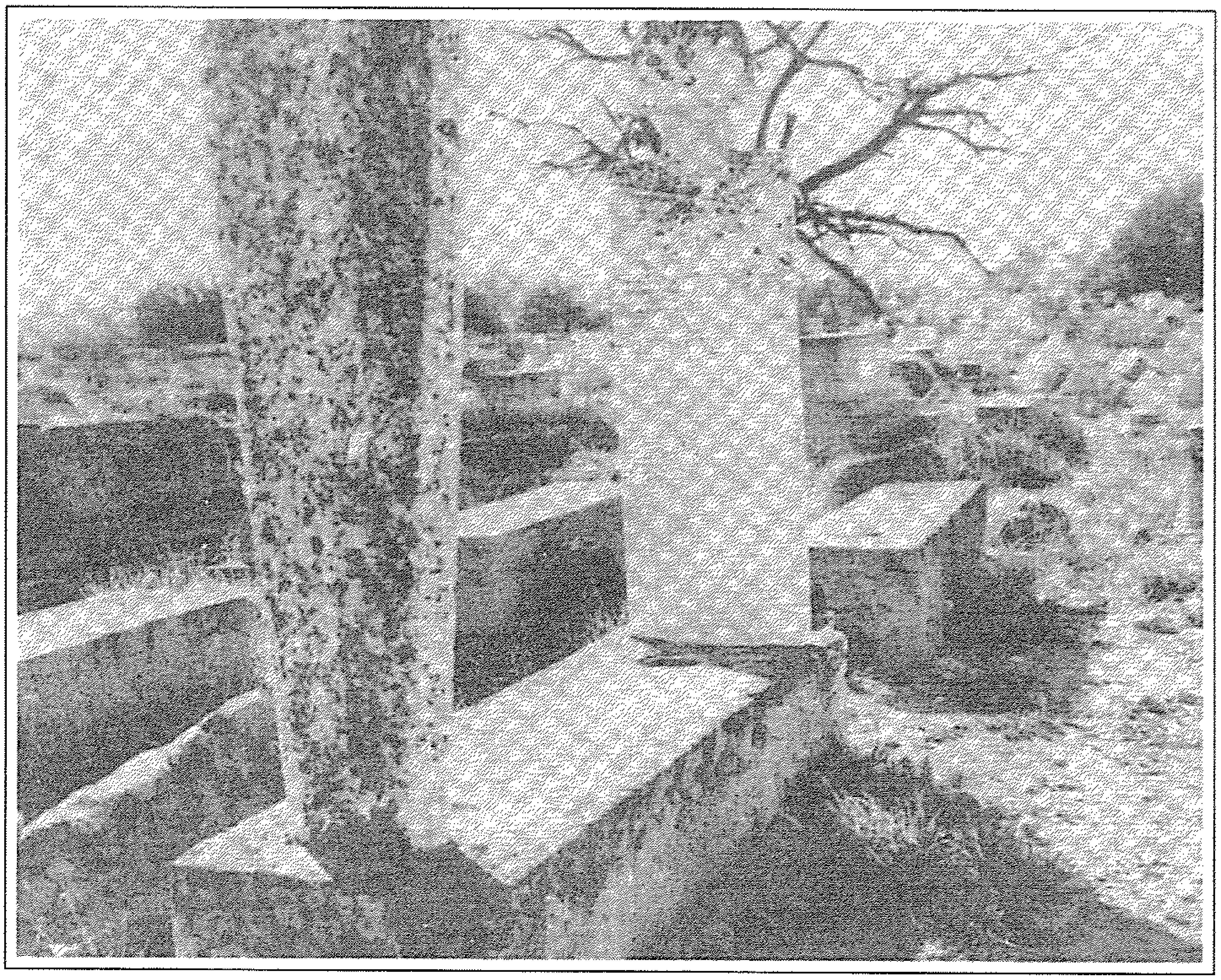

صورة لضريح الشيخ محمد كامل بن مصطفى في مقبرة سيدي منيذر بطرابلس

في العهد العثماني الثاني نقش على أحدهما هذا التقييد الذي يحمل الوفاء والاعتبار من تلميذه النابغ العلامة عبد الرحمن البوصيري، وأنا أنقله بنصه:

هو الباقي 1315هـ:

ألا أيـهـا الإنـسـان إنـك كـادح فتجري ولا تدري وأنت على شفا
أيـا عـقـلاء الـمـؤمـنـيـن تـأمـلـوا تـروا هـذه الـدنـيـا بـلاقـع صـفـصـفـا
تـوالـى نـزولاً بـارتـحـال مـسـرمـد فـمـن حلـهـا يـومـاً تـرحـل واختـفـى
وأدخـلـهـا الـمـفـتـي وسـار مـؤرخـاً ففي جنة الفردوس حلَّ ابن مصطفى

1315

لروحه الفاتحة

الفصل الثاني

تآليفه وآثاره

كان الشيخ محمد كامل بن مصطفى ـ كما قدمنا ـ يغرف في علومه من بحر، وذلك بفضل ما استفاده من دراسته وتحصيله من العلماء الكبار في الأزهر، ومن إدامته النظر في المراجع والمظان المختلفة طيلة حياته التي وظفها للتنقيب والمراجعة، فكان بهذا التحصيل متنوع المعارف في علوم الآلة وعلوم المقاصد، متعدد الطاقات والقدرات، وقد شهد له معاصروه من العلماء في ليبيا وفي المشرق والمغرب بذلك على نحو ما مرّ بنا من النعوت التي تشهد بزكانته وعبقريته.

وكان ـ كما أسلفنا ـ مبرزاً في تدريسه ووعظه وإفتائه، وإصلاحه الديني الذي نهض به، وقد رشحته الأقدار ـ كما هدانا البحث ـ لأن يكون الباعث لما اندرس، والمجدد لما انطمس أو كاد في طرابلس الغرب من علوم وفكر وتوجيه.

وقد بحثت كثيراً ـ انطلاقاً من هذا التصور الذي كونته لهذا الرائد ـ لعلّي أجد له آثاراً علمية أو أدبية متنوعة بتنوع ملكاته سواء في النثر الخطابي الديني منه أو السياسي، أو في النثر الفني الذي كان يعالجه من كان من مثل طبقته، أو في الشعر أو المقالة الصحفية التي بدأت حينئذٍ بالظهور، فلم أجد من ذلك كله

ـ إلى تاريخ هذه الطبعة ـ إلا هذا اللون الذي يجسّد بعض جهده في النثر التأليفي، أو ملامح من نظمه الدالة على تعاطيه فنّ المنظوم، وهو ما سنعرض له بعد قليل.

والقدر الذي عثرنا عليه من نثره التأليفي ـ على قلته ـ بالقياس لنتاج بعض شيوخه ومعاصريه وزملائه في التحصيل، بل بالقياس لآثار بعض العلماء الليبيين ومنهم بعض تلاميذه من أمثال الشيخ عبد الرحمن البوصيري، والشيخ العالم الكراتي وأضرابهما، يعطينا صورة دقيقة لمنزلة مترجمنا العلمية، وتبريزه في التحصيل والتأليف، كما يطلعنا على سعة اطلاعه، وكثرة مراجعته في الكتب والعلوم.

وليس ثمّة شكّ في أن تلك الجهود المضنية التي أنفقها في الرقي بالمعارف والتعليم والقضاء، وفي الإصلاح السياسي والديني في بلاده قد أخذت من وقته وجهده بالمقدار الذي حرمتنا معه من كتابة المؤلفات العلمية العديدة، ومن تحرير التآليف الكثيرة، التي تنتظر من أمثاله عند التقييم والموازنة.

كذلك لم يهتد هذا البحث إلى ما عساه قد كتبه من مقالات أو موضوعات في الصحف التي كانت تصدر في ذلك الزمن ـ داخل ليبيا أو خارجها ـ سواء في تونس أو مصر، وخصوصاً في جريدة الوقائع المصرية التي كان يشرف عليها شيخه الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوي، وإذن فلا مندوحة لهذا البحث ـ في غياب الوثائق الكاملة للرجل ـ أن يعرض بصورة وصفية استقرائية، وربما بصورة نقدية أيضاً لهذه الآثار، التي تسنّى لنا العثور عليها.

على أن المتأمل في آثاره ومؤلفاته وفي القدر الذي بقي بين أيدينا منها، يدرك ـ وهذا ما توصلت إليه الدراسة ـ أن نثره التأليفي ونظمه كانا وليدي عصر الكاتب والناظم، ووفاق بيئته ومناخه الثقافي العام، وأنهما يتفقان في ملامحهما العامة مع نتاج تلك الحقبة التاريخية التي اتّسمت بالسّمات الغالبة على علمائها

ومؤلفيها والموحدة بين طوابع تلك الأعمال، ومن هذا المنظور نحبّ أن نعرض آثار الشيخ محمد كامل بن مصطفى، ونقوّمها بموضوعية، كي لا نقع في إفراط أو تفريط في التقييم.

1 ـ كتاب الفتاوى الكاملية:

من أبرز ملامح هذا النثر التأليفي في آثاره كتابه القيّم المشهور المسمى بـ «الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية» وهو كتاب جامع للفتاوى الشرعية التي أفتى بها مفتي السّادة الحنفية بطرابلس الغرب.

والكتاب معدود من أوائل الكتب الليبية المطبوعة التي نشرت وصدرت في القرن الماضي[1].

وقد بدأ الشيخ محمد كامل ـ رحمه الله ـ في جمع مادة هذا الكتاب عام (1308/ 1890)، وطبعه في مصر بعد خمس سنوات تقريباً من ذلك الجمع سنة (1313/ 1895) في عهد راسم باشا أي قبل وفاته بسنتين في ثمان وثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير مودعاً في تضاعيفه القيود المتفرقة المسائل التي أفتى بها خلال أربعين سنة من عمره الحافل، أي منذ عودته (1270/ 1853) إلى زمن جمعه له أثناء توليه منصب الإفتاء، بل أدخل فيه أيضاً بعض الفوائد والتقييدات التي عثر عليها أو أفتى بها زمن إقامته في مصر طالباً للتحصيل، وهي التي توجد جملة منها في كناشة الذي سماه المجموع، وتبلغ هذه الحصيلة من القيود العلمية في مجموعها زهاء الألفين ونيف من الأسئلة أو الاستفتاءات والإجابات.

وقد أبان المؤلف شيئاً من منهجه في تقييدها بقوله «فجمعتها في هذه الأوراق، وحذفت منها المكرر إلا ما قل، كما جمعت ما بقي بخاطري غير مقيد، قاصداً بذلك نفعي ونفع من ابتلى بالإفتاء من الإخوان العلماء، وقد اختصرت الأسئلة والنقل من القيود، وربما اختصرت الجواب أيضاً، وربما

(1) منها ديوان مصطفى بن زكري الذي طبع بمصر سنة (1310/ 1892).

زدت فيه نقولاً وفوائد، وعزوت كل مسألة إلى محلها إلا قليلاً مما اشتهر في غالب الكتب المتداولة، فجاءت بحمد الله تعالى مجموعة تسرّ الناظرين، ولا سيما من هم من الإخوان الوطنيين»[1].

ولا شك في أن ما قام به الشيخ ابن مصطفى من هذا الجمع والاختصار والإضافة كان جهداً مضنياً، استغرق منه وقتاً غير قصير، ويبدو أنه قد استعان في بعض ذلك بأنجب تلاميذه الشيخ عبد الرحمن البوصيري، الذي بذل الوسع والجهد في نسخها وكتابتها، والمساعدة في تبويبها وضبطها.

على أن الذي نظفر به في تتبع الفتاوى الكاملية ما نراه من خضوعها في جملتها إلى منهج واحد هو المنهج الذي اختاره لها صاحبها، وقد أشار إلى ملامحه قبل قليل، وحررت مسائلها في رأينا بأسلوب علمي سهل دقيق، جمع فيه المؤلف بين غزارة العلم وسعة الاطلاع برجوعه إلى أمهات الكتب والمراجع القديمة والحديثة، وأقوال العلماء السابقين واللاحقين، مع التثبت والتحري المعروضين في وضوح العبارة وبلاغة العرض والأداء، بحيث تسهل الاستفادة منه، والانتفاع بما جاء فيه.

ومن المعروف أن العلماء في القديم والحديث قد درجوا على تسجيل فتاويهم التي اجتهدوا في الإفتاء بها، أو عملوا على جمعها وتحريرها في المسائل الحادثة أو النوازل الواقعة، نذكر من ذلك فتاوى الإمام ابن تيمية معين الحكام على الأحكام للغزي الشافعي ونوازل عيسة بن دينار، ونوازل ابن زمنين ونوازل أبي عبد الله بن الحاج، ونوازل أبي القاسم البرزلي وأجوبة سحنون، وأجوبة الداودي ومعيار الونشريسي[2] وقد عمد هؤلاء العلماء منذ عصور بعيدة إلى التماس أن تكون كتبهم حافلة بالبحوث العلمية الجادة، مستندة على أقوال المتضلعين من علماء الإسلام معروضة في معارض سهلة ميسرة من حيث اللغة

(1) الفتاوى الكاملية: 3.
(2) راجع كتاب كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية.

والتبويب، ليسهل تناولها والأخذ منها، وقد جارى مترجمنا من سبقوه في هذا الباب أو في هذا اللون من التأليف، وتأثر إلى حدّ بعيد في تأليف فتاويه الكاملية بمنهج أستاذه العلامة الشيخ محمد عليش المالكي صاحب الفتاوى المشهورة باسمه، كما تأثر بالفتاوى المهدية في الوقائع المصرية التي ألفها صديقه وزميله في التحصيل الشيخ محمد العباسي المهدي مفتي مصر، فجاء كتابه على سنن كتب أولئك المفتين السابقين، غير متميز عنهم بشيء غير مألوف.

فطريقة العرض هي وفاق الطريقة المألوفة في كتب الفتوى والفقه، إذ قسمت مسائل كتابه على أبواب مبتدئة بكتاب الطهارة فالصلاة، فباب الجنائز، فكتاب الزكاة، ثم يمضي هذا التقسيم المعهود إلى أن ينتهي بكتاب الفرائض ملاحظاً في ذلك آخر ما يتعلق بالإحياء بعد مغادرتهم الحياة الدنيا. هذا عدا المقدمة القصيرة التي ألقت مع ما جاء في تضاعيف الكتاب تنويراً مهماً على حياة المؤلف ومعارفه وأشياخه ورحلاته العلمية، والعلماء الذين كاتبهم أو اتصل بهم، كما ألقت أضواء على الكتاب ومنهجه، وعدا المقدمة التي أنشأها المؤلف في مسائل من العقائد وما يناسبها، وكذلك جعله خاتمة للكتاب تشبه الملحق، وهي التي ذكر فيها «خلل بعض المحاضر والسجلات، نافعة للمفتي إن شاء الله تعالى»[1].

وبغض النظر عن القيمة الفعلية التي يمكن أن تستفاد اليوم من مثل هذه الخاتمة، فإننا نرجح أن المؤلف قد كتبها في أواخر القرن الماضي تحت تأثير دواعي الحاجة إليها في ذلك الوقت.

والذي يمكن تقريره باطمئنان أن المفتي محمد كامل ـ بالرغم من أنه كان من أهل الرأي ـ فإنه كان في فتاويه منقبضاً في الإدلاء برأيه ممسكاً عن الجرأة في الحكم في دين الله. يتضح هذا المظهر في مثل قوله «سئلت من بعض الطلبة أثناء المذاكرة في حديث «اللهم آت منفقاً خلفاً، وممسكاً تلفاً» بقوله كيف هذا

(1) الفتاوى الكاملية: 303.

مع أن الملائكة كلهم من أهل الخير فلا يليق بهم الدعاء على الممسك من المؤمنين بالتلف. فالجواب أني بقيت مدة طائلة لم أجد جواب هذا السؤال، ثم عثرت على السؤال والجواب في اليواقيت لسيدي عبد الوهاب الشعراني» ثم نقل ذلك[1].

وهو مثال يمثّل أمثلة عديدة ومختلفة نعثر عليها في هذا الكتاب، وهذا ما يفسر لنا نزعته في الاستدلال بآراء الأعلام من علماء المذاهب الإسلامية، واعتماده كثيراً على ما أفتوا به، أو سجلوه أو نقل عنهم، فكان إذا ورد إليه استفتاء قلبه على جوانبه وقلب معه ما بيده من الكتب المعتمدة في الشريعة والفتوى مثل تنقيح الحامدية، والتنوير وشرحه المسمى الدر المختار، والخيرية والفتاوى المهدية، والخانية، والهندية والفتاوى الرحيمية، والفتاوى الأنقروية وغيرها من المصنفات، فإذا وجد فيها الإجابة أفتى ـ بعد أن يعزو الجواب لقائله في أمانة علمية، وإذا لم يجد لذلك جواباً أمسك وتريّث في إصدار الفتوى إلى أن يتحقق ويرجح أو عمد إلى مراجعة من يثق في دينهم وعلمهم في بلاده، أو كاتب من يكبرهم من أصدقائه كالشيخ أحمد بن الخوجة، وصالح التبرسقي وغيرهما من علماء تونس، أو الشيخ محمد العباسي المهدي الذي يسميه «أخونا وشريكنا في الدرس»[2] أو من في طبقته في مصر.

كما يعتمد أحياناً على ما يقيده من فتاوى غير منشورة اطلع عليها في أثناء رحلاته، وهو ما يشير إليه بالرؤية مثل قوله في مسألة الوقف «إني رأيت سؤالاً مثل هذا وجوابه لمفتي الحنفية بتونس العلامة أحمد كريم»[3] أو قوله في المسألة نفسها «إني رأيت بخط الفاضل الشيخ محمد الطنطاوي الأزهري فتوى على حجة الوقف»[4].

---

(1) الفتاوى الكاملية: 9.
(2) الفتاوى الكاملية: 61.
(3) م. ن: 60
(4) م.ن: 61.

إن الفتوى في منظوره إعطاء حكم الدين في واقعة من الوقائع، ويتحدد على ضوئها سلوك المستفتي نحو نفسه وربه ومجتمعه، كما تمسّ سعادته الدنيوية والأخروية، وكل تعجل في الإدلاء بها قد يفضي بالمفتي إلى غضب ربه، وإلى النار التي وقودها الناس والحجارة، ومن هنا يأتي نكيره الدائم على المتسرعين مثل ما أفتى به في مسألة تحري فيها الدقة، ثم أعقبها بقوله «خلافاً لما أفتى به في زماننا من لا خبرة له»[1].

وهذا الأسلوب التوثيقي الدقيق يزيد في نظرنا من قيمة الكتاب وأهميته، ولا ينقص منه شيئاً وهو من حسنات الاطلاع والتأليف التي انبنى عليها منهج البحث العلمي الإسلامي منذ القديم.

وقد أثبت المؤلف في ذيل كتابه الفتاوى الكامليه على العادة الجارية في ذلك العهد تقريظات لإبراهيم راضي الشرقاوي الأزهري، والسيد محمد أفندي نائب مركز ولاية طرابلس الغرب، وتقريظاً بأبيات منظومة لتلميذه الشيخ سالم ابن المبروك السعودي الورشفاني[2].

وقد أدرك هؤلاء المقرظون في كلماتهم قيمة هذا العالم الجليل، ومكانة كتابه وفائدته بين كتب الفتاوى، والمظاهر الإيجابية في الشكل والمضمون التي نحل بها هذا العالم مؤلفه، فقدروا مكانته الفكرية وأشادوا بآثاره العلمية، التي يجيء هذا الأثر في مقدمتها.

ومما جاء في تقريظ الشيخ إبراهيم راضي الشرقاوي على هذه الفتاوى الكاملية:

«أما بعد فإن كتب الفتاوى، وإن تزايدت كثرتها، وبلغت إلى عنان السماء شهرتها، إلا أنها قديمة الأسلوب، وأكثرها في هذا العصر لا يفي بالمطلوب،

---

(1) م.ن: 50.

(2) الفتاوى الكاملية: 303.

مع اشتداد الحاجة إليها، واعتماد أرباب القضايا عليها، فقام إنسان عين المجد، ونور مطلع سماء السّعد العالم العلامة الفاضل الفهامة، الأستاذ الشيخ محمد كامل بن مصطفى مفتي الديار الطرابلسية أمده الله بإمداداته الربانية، فألّف هذا الكتاب على نموذج جديد، وطراز مغن للمستفيد، قرب به عين مذهب الإمام الأعظم، وطابت به نفسه من تصدر للفتوى وتكلم»[1].

وعلى الرغم مما تحمله هذه الكلمة من مظاهر التأثرية في الحكم والإعجاب المفرط بالمؤلف فإنها تؤكد في عمومها ما ذكرناه في مقام قيمة الكتاب من حيث المحتوى والإطار، كما تلفتنا إلى مظاهر الحفاوة التي استقبل بها الكتاب في أواخر القرن الماضي، والمنزلة التي حظي بها مترجمنا عند معاصريه ليس في ليبيا فحسب بل في البلاد العربية والإسلامية أيضاً.

ومما جاء في قصيدة العلامة الأديب الفهامة النجيب الشيخ سالم المبروك الورشفاني الطرابلسي في مدح هذا الكتاب ومؤلفه[2].

ونهج الفتاوى الكاملية شاهد بهمته في النصح والبذل للوسع
فقد أدخلت تحت القواعد ما يرى أبياً على من يدرك الأصل بالفرع
وصارت هي النجم المراقب في السرى وسلم من رام ارتقاء إلى السبع

وحقيق بالذكر أن المؤلف قد أعين في إخراج هذا الكتاب وإصداره من كل من الحاج محمد الحلو المعتمد السلطاني من لدن دولة المغرب، والسيد أحمد بن حيون المغربي التاجر بطرابلس وقتذاك فطبع في أواخر شهر شعبان سنة ثلاث عشر بعد الثلاثمائة وألف في مطبعة محمد أفندي مصطفى، تلك الطبعة التي نفذت نسختها وندرت واشتدت حاجة الدارسين إليها للإفادة من هذا الأثر القيم من تراثنا، الذي مضى على طبعه ما يقرب من قرن.

(1) الفتاوى الكاملية: 307.
(2) الفتاوى الكاملية: 308.

2 ـ مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل:

ومن الآثار العلمية القيّمة التي دبجها يراع العلامة المصلح، رائد النهضة الفكرية في طرابلس الغرب، والتي تندرج ضمن نثره التأليفي كتابه في تفسير سور من كتاب الله العزيز، والمعروف في أوساطنا الثقافية بـ«حاشية الشيخ محمد كامل بن مصطفى علي البيضاوي»، وقد سماه مؤلفه بـ«مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل» وهو من الأعلاق النفيسة التي تحتفظ بها قماطر مكتبة الأوقاف بطرابلس تحت رقم (105 عام ـ الرقم الخاص 2 و228) وقد انتهى إليها ضمن ما انتهى إليها من كتب مكتبة مترجمنا، بعد أن اشتريت من ورثته عقب وفاته ـ رحمه الله[1] ـ لتكون مع ما أهدى إليها من كتب العلماء والأعيان النواة الأولى لتأسيس هذه المكتبة العامرة، صانها الله من الضياع والتلف.

ومن الحق القول إن هذا الكتاب التفسيري يدل في تقديري على علم الشيخ محمد كامل الذي كان ينشره في هذه الديار، والذي استحق به تقدير العلماء في الداخل والخارج، كما يبين بوضوح معارفه وعطاءه الثر، ويطلعنا من قريب عن خطته في التأليف، وأسلوبه العلمي والمنهجي في المعالجة.

ويقع هذا الكتاب في مجلد ضخم ينيف على الأربعمائة صفحة من الحجم الكبير، وقد كتب بخط مغربي جميل وواضح، مطرد على شكل واحد، ولم يختلف عن بعضه في الرسم المذكور إلا في صفحات محدودة.

ونتمنى على الله في هذا المقام، أن يؤهل أحد الباحثين لتحقيقه ونشره، وبيان قيمته، فيكون عمله من برّ الأبناء بالآباء[2].

---

(1) جريدة الترقي العدد 64 ـ 1316.

(2) كان من توفيق الله أن اقترحت على الأستاذين عبد الرحمن العدولي، وعبد الدائم محمد الباجقني تحقيق هذه المجموعة فنهضا مشكورين بهذا العبء، وقسما الجهد بينهما وتقدما بذلك إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية حيث منح كل منهما درجة الماجستير على عمله وقد نشر الأستاذ الباجقني عمله المتضمن نصف الكتاب تقريباً وفيه سورتا «يس» و«الصافات» تحت عنوان «تعليقات على أنوار التنزيل» ونأمل أن يصدر الباقي في مدة قريبة بتحقيق صديقنا العالم عبد الرحمن العدولي.

وإذا كان ليس من قصدي هنا بيان منهج الشيخ محمد كامل في حاشيته، أو التوسع في عرض هذا الكتاب الذي يحتاج ـ كما ذكرت ـ إلى جهد باحث أو أكثر يفرغ الوسع لاستقرائه وتقويمه؛ فإنني أسمح لنفسي بالوقوف على ساحل بحره، واكتفى بذكر كلمة عجلى، قد تلقى بعض الضوء على هذا التأليف.

لقد قرر بعض العلماء، ومن بينهم العلامة المبرور الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور أن تفسير الشيخ ناصر الدين البيضاوي من علماء القرن السابع الهجري المسمى «أنوار التنزيل، واسرار التأويل»، والذي ألّف مترجمنا حاشيته حوله، يقوم على منهج نفيس في الجمع والاستنباط والشمول، الأمر الذي أهله لأن يكون محوراً من محاور الدرس والبحث، وموضوع المراجعة والنظر في المستويات العالية من التعليم، وقد اعتمد العلامة البيضاوي في تحريره على تفسير الكشاف لجار الله محمود الزمخشري، وعلى التفسير الكبير للفخر الرازي، وهما تفسيران عظيمان بين الكتب المفيدة البديعة من التفاسير، على أن كلاً منهما يتخذ منحى خاصاً، يتميز بالصنعة الغالبة على مؤلفه، وقد جعل الشيخ البيضاوي «اعتماده في بيان الألفاظ والتراكيب، وتجليل المباني لاستخراج نكت المعاني على تفسير الكشاف، واعتمد في إبراز روح الحكمة القرآنية، وعرض نظرياتها من نواحي الفلسفة، وأصول الفقه على المرجع في ذلك، وهو تفسير الإمام الرازي، فأحلّه الناس منذ بروزه واشتهاره في النصف الثاني من القرن السابع محلّ الاعتماد والإقبال»[1].

ويظهر من اختيار الشيخ محمد كامل لهذا التفسير موضوعاً لدروسه وتعليقاته أنه كان معجباً به وبطريقة الشيخ البيضاوي ومنهجه الجامع في اللغة والنظر، وقد دفعه ذلك على إدمان قراءته والاستفادة من تحليلاته منذ أن كان طالباً في الأزهر، ثم اشتغل ـ بعد عودته إلى طرابلس الغرب ـ بقراءته لتلاميذه الكبار، بل في مجالس وعظه أيضاً وهي المجالس التي كان ينهض بها في شهر

(1) التفسير ورجاله: 97، وانظر في بيان قيمة تفسير البيضاوي وحواشيه كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة حـ1، ص186 ـ 187.

رمضان من كل عام بأمر من والده كما جاء في مقدمة هذه الحاشية أو المجموعة.

ومن مظاهر إعجابه وافتتانه بتفسير البيضاوي أنه التمس الإجازة فيه، وسعى إلى وصل اسمه بأسماء رواته المجازين فيه في إحدى السلاسل من صاحب التفسير، وقد تمّ له ذلك ـ كما تقدم ـ بما أجازه به الشيخ عبد الله السني، الذي كان يرويه عن شيخه وصديقه الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي[1].

بدأ مترجمنا في تدوين كتابه هذا «مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل» بعد عودته من مصر، وأنفق في إعداده وكتابته زهاء ستة عشر عاماً هي الواقعة بن نهذين التاريخين (1279 إلى 1295)؛ وقد أشار في مقدمته إلى أنه شرع في هذا التفسير من الجزء الأخير من سورة النبأ إلى آخره، ثم من سورة الجن، ثم من سورة الملك وهكذا إلى نهاية سورة يس. ومن المؤسف ألا نجد من ذلك الجهد إلا القدر الذي يحتوي على أربع سور من ذلك أي سورة يس التي أتمّها في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة 1295، وسورة الصافات وهي التي أتمّ تحريرها في سادس ذي القعدة من سنة ستة وتسعين ومائتين وألف، وختمها. رحمه الله، ورضي عنه، وغفر له بهذا الدعاء المبارك «أسأل الله تعالى التمام، وحسن الختام، وأسأل كل من وقف على هذا المحل الدعاء لي بالغفران والرحمة والرضوان؛ وها أنذا أدعو للواقف على هذا المحل، اللهم اغفر له وارحمه، وارض عنه، ومتّعه بالنظر إليك آمين»[2]. ثم سورة ص، وأكمل تفسيرها في عاشر شوال من سنة 1297هـ، وأخيراً سورة الزمر التي انتهى من تحبيرها في الليلة الحادية عشرة من شهر رمضان المعظم سنة تسع وسبعين ومائتين وألف[3].

---

(1) مجموعة العبد الذليل ـ ورقة 1.

(2) م.ن. ـ ورقة 100.

(3) مجموعة العبد الذليل ورقة 209.

أقول إنه لمن المؤسف حقاً ألا يصلنا من جهده في التفسير إلا هذا القدر، وأن يضيع باقيه ويختفي في مجاهل لا نعلمها؛ والراجح عندي أنه كان يكتب تلك التحريرات ـ الموجودة والمفقودة ـ أثناء الإعداد لتدريس تفسير البيضاوي في المجالس الخاصة والعامة فيودعها «فوائد توضحه، وفرائد ترشحه، حتى اجتمع من ذلك عدة كراريس، وجملة قراطيس»[1] هي التي حملته فيما بعد على الجمع، وقد ذكر السيد باينه در الحاج عبد الرحيم أن من الدواعي التي دعت المؤلف لتأليف هذه الحاشية إفادة طلاب العلم «حيث نظم في سلك التحرير ما نشر في الدرس والوعظ بالتقرير، جعله تسهيلاً للواعظين والمستفيدين»[2] وقد أكّد هذا المعنى الشيخ محمد كامل في تقديمه لهذه المجموعة حيث قال «فعسى أن ينتفع بها من هو مثلي من القاصرين، وأنال منه دعوة تنفعني في يوم الدين»[3].

ومن جملة الأسباب الحاملة على هذا التقييد وتدريس هذا المنهج ونشره بين أهل العلم وطلابه أن علم التفسير عند العلماء، بل عند مترجمنا نفسه معدود من «أشرف العلوم وأعلاها وأنفعها للطالب وأولاها»[4] فأحب أن يذكر به في عداد العلماء والمفسرين، ولا سيما وأنه لم يكن مقطوع الوشيجة بالسلف الصالح من العلماء والرواة، فهو يروي هذا التفسير ـ كما قدمنا ـ عن شيخه الشيخ عبد الله السني، الذي يرويه عن شيخه محمد بن علي السنوسي ضمن سلسلة نفيسة من الأعلام تنتهي في ذروتها إلى المؤلف الشيخ ناصر الدين البيضاوي نفسه، وتبعاً لهذه البواعث والجواذب جمع المؤلف هذه التعليقات والقيودات والتعقيبات في كتاب ـ وذلك كما أبان ـ «خوف الضياع، وقصد الانتفاع»[5].

---

(1) م.ن. الذليل ورقة 1.
(2) م.ن. الذليل ورقة 210.
(3) م.ن. الذليل ورقة 1.
(4) مجموعة العبد الذليل: ورقة 1.
(5) م.ن.: ورقة 1.

وقد استهل المجموعة بمقدمة جمعت براعة الاستهلال بالحمدلة والثناء على الرسول ﷺ، ثم ذكر بلدته التي ينتمي إليها ودعا لها بالصون، واسمه الذي قرنه بما يشير إلى تواضعه الجمّ ومذهبه والدعوة له ولأهل الفضل عليه حيث قال «حمداً لمن فتح لنا باب الخير؛ وهو الربّ الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وأنزل القرآن هدى للمتقين، ورحمة للعالمين، ونوّر بصائرنا بأنوار التنزيل، وأسرار التأويل، وحصّنا بمولانا محمد سيد الخلائق أجمعين، وبعد فيقول من هو طرابلس الغرب المحمية ـ صانها الله تعالى من كل آفة وبلية، أفقر العباد إلى الله تعالى اليوم واليوم الموعود، الذليل الحقير محمد بن مصطفى بن محمود ـ الأشعري الشاذلي الحنفي، ـ عامله الله تعالى ووالديه ومشائخه، وسائر المسلمين بلطفه الخفي»[1].

ثم أورد بعد ذلك كلمة في علم التفسير من حيث إنه من أشرف العلوم وأعلاها، ورفع بعد ذلك سنده في الرواية ابتداء من شيخه «المرحوم الصالح سيدي عبد الله السني»[2] إلى أن انتهى به إلى القاضي عبد الله ناصر الدين، ليشرع بعد ذلك تفسير السور.

ومن طرائقه التي اتبعها في هذه المجموعة أو الحاشية التي اقتفى فيها نهج القدامى أنه يتبدئ تفسيره بذكر مكان نزول السور، هل هي مكية أو مدنية، وبذكر عدد آياتها وفضائلها وتسمياتها، وأسباب النزول مدعّماً ذلك بالحديث الشريف، والمأثور من أقوال الصحابة والتابعين، وآراء العلماء ثم يورد قول الشيخ البيضاوي في تفسيره ليعقب عليه بأقوال مشاهير العلماء في التفسير واللغة، معتمداً اعتماداً يكاد يكون كلياً على شيخ زاده، وتفسير القرطبي والقنوي وتفسير الرازي وتفسير الجمل، وابن التمجيد، وكتاب البرهان للزركشي، وفتح البيان للعلامة الهندي، والكشاف للزمخشري، وشرح الأسماء للشيخ أحمد زروق، وصحاح الجوهري، والمصباح للفيومي، والقاموس

(1) مجموعة العبد الذليل.
(2) م.ن: 1.

المحيط للفيروز أبادي، وغير ذلك من المراجع المعتبرة التي يجدها القارئ في طوايا هذه الحاشية وفي تضاعيفها. وهو ما تتجلى به بوضوح قوّة عارضة الشيخ محمد كامل في سعة اطلاعه، وبحثه وتنقيبه في كتب التراث، وبراعته في التفكير النحوي واللغوي بصورة خاصة.

ومن الحق أن نقرر أنه في هذا القدر الموجود بين أيدينا من تفسيره، يكثر النقل عن العلماء السابقين وعن كتب التفسير المذكورة، ويميل إلى الاستشهاد بأقوال أصحابها وآرائهم إلى درجة يمكن أن تلفت نظر الباحث؛ فكأن الشيخ محمد كامل في تلك الشواهد التي ينقلها، والتحقيقات التي يوردها، يريد أن يبين لنا الرأي الذي يرتاح إليه، والمذهب الذي يرتئيه من بين مذاهب الأعلام، وهو على ما ذكرناه من علمه وفضله يأبى أن تفارقه خلال حياته وتواضعه، فنراه يقف دوماً من العلماء القدامى موقف التلميذ المتواضع، لا يتطاول، ولايتبجح ولا يحدث نفسه بتعاظم وتعالم؛ إذا ظهر له رأي أبداه، وناقش باستحياء العالم، وإذا عنت له مسألة أدلى بها في تؤدة ولطف.

هذا وقد كتب في هذا التفسير الجليل تقريظ منصف كتبه باينه در الحاج عبد الرحيم نائب الشرع الشريف بمركز ولاية طرابلس، أشاد فيه بمنزلة المؤلف والمؤلف، وأكثر فيه ـ على العادة الجارية المتبعة في التقريظ عهدئذ ـ من الدعاء للخليفة السلطان عبد الحميد خان، وللوالي المصلح نامق باشا.

3 ـ المجموع أو الكناش:

وهو الكناش الذي جمع فيه المترجم بعض قيوداته وملاحظاته الخاصة، وأودعه جملة من فتاويه، وطائفة من رحلاته وأسفاره، وأثبت فيه بعض المسائل والشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الذاتية والعامة، وهذا الكناش، أو المجموع ـ كما سمّاه المترجم في بعض أوراقه ـ ليس تأليفاً علمياً بالمعنى المعهدو في النثر التأليفي، وعلى نحو ما قررناه في الكتابين السابقين، وإنما هو مستودع لجملة من القضايا ذات أهمية بالغة بالنسبة لترجمة صاحبه، والاطلاع

على بعض مجريات أحواله، وأوضاعه الاجتماعية والثقافية من جهة، وبالنسبة للاستفادة العلمية والمعرفية من خلال المسائل المثبتة من جهة أخرى، وقد استفدنا فائدة ممتازة من هذا المجموع أو الكناش كما ظهر في فصول الكتاب.

والمجموع أو الكناش بهذا الاعتبار أثر من آثار العلماء والمؤلفين، وأهل العلم ووجوه السياسة والحكم، يفيدهم فائدة خاصة من حيث التذكير ببعض ما يعنيهم تذكره؛ ومعلم بارز من المعالم الخاصة التي يتهدى على ضوئها الباحثون إلى معالم ومرتكزات لا يمكن الاهتداء إليها إلا بهذه المجاميع والكناشات، يقول الأستاذ المبرور الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور في تعريفها «المجاميع المختلفة التي يتخذها العلماء والأدباء لتقييداتهم الشخصية تسمى «الكنائش، وهي أدخل في معنى الشخصية؛ إذ لم يقصد بها النقل إلى الغير وتشتمل من تفاصيل الأحوال في جليلها ودقيقها والمواقف والمحاورات مما لا يمكن بيانه في الكتب والرسائل على مادة غزيرة جديرة بالفحص والتحقيق والإخراج»[1]. وذكر في مقام الحديث عن التاريخ التونسي بين الوثائق والكتب من العلماء الذين كانت لهم هذه المجاميع في القرن الثالث عشر الوزير حسين باشا مملوك، وشيخ الإسلام محمد بيرم الرابع، والكاتب علي الحداد[2].

وقد كتب الشيخ محمد كامل بن مصطفى مجموعه في فترة مبكرة من حياته، كما يستفاد من بعض تحريراته فيه، أعني التي كتبها إبان الطلب والتحصيل في الأزهر، وقد استمر في تقييد بعضه الآخر إلى أخريات حياته كما تفصح بعض القيودات، وظل هذا المجموع أو الكناش مجهولاً إلى أن انتهى أخيراً إلى شعبة الوثائق والمخطوطات في مركز دراسة جهاد الليبيين بالشراء؛ فكان ظهوره إسهاماً في إلقاء حزمة من الأضواء حول هذه الشخصية الرائدة من جهة، وعلى طبائع بعض جوانب من الحياة التاريخية والثقافية من جهة أخرى.

---

(1) ومضات فكر: 2: 391.

(2) م.ن: 2: 391.

وما دمنا سلمنا أن المجموع ليس كتاباً علمياً بالمفهوم المدرك من معنى التأليف العلمي المحدّد، وأن قيوداته موزعة على موضوعات وأغراض مختلفة، بل متباينة في بعض المواضع؛ فإننا نقصر العمل في عرضه على ذكر قطوف وملامح منه، وبخاصة ما اتصل منها بالجانب الفكري والثقافي.

ففي إطار القيود الثقافية الواردة فيه، احتوى هذا المجموع على عدد غير قليل من الفتاوى والنقول الشرعية والأحكام شغلت صفحات متعدّدة؛ لعله استفاد من النقل منها في أثناء جمع كتابه الفتاوى الكاملية؛ كما اشتمل على تحرير بعض رحلاته وما جرى له فيها من لقيا علماء البلدان التي رحل إليها، وما دار بينه وبينهم من مفاتشات، ومناقلة ومناولة وما أجاز به وما أجيز به من الإجازات العلمية الجزئية والتامة، وقد أثبتنا ذلك كله مفصلاً وبأسلوب المترجم في فصلي رحلاته وإجازاته العلمية.

وقد توفرت في هذه الرحلات ـ كما عرضناها ـ الكثير من شرائط فن الرحلة الجامعة بين الركيزة الأدبية، والمعلومات الاتنوجرافية[1]. فقد استطاع الشيخ أن يجمع فيها بين أبرز أغراض الرحلات أغنى الغرض التعبدي فيما قام به في رحلة الحجاز، والغرض التعليمي والمعرفي فيما نهض به في رحلاته إلى مصر وتونس والآستانة، والغرض التكليفي الرسمي فيما سفر به لوالي الولاية في رحلته الأخيرة إلى تونس.

وعلى الرغم من أنه لم يعن كثيراً ـ في الإطار الأثنوجرافي ـ بوصف أسلوب الحياة والتقاليد والأدوات والفنون، أو وصف المناخ والتضاريس والطبيعة التي شاهدها في الأمصار التي زارها فإنه قد وفَّى كثيراً في وصف العلماء وما امتازوا به من معارف وإجازات وما بادهم به من المسائل، وما تطارحوا به معه من قضايا. وظاهر من خلال هذه العناية الملتزمة بذكر هذا الجانب أن الغرض المعرفي كان مسيطراً على ذهنه عند كتابة هذه الرحلات.

---

(1) راجع كتاب أدب الرحلات: 49 وما بعدها. ومجلة الفكر العربي العدد 51 السنة 9 «الرحلات العربية والرحالات».

كما أورد في قيوده التاريخية الأخرى المبثوثة في المجموع تواريخ دقيقة ليس من السهل العثور عليها فيما يتصل وأيضاً فيما ذكره من عزل وتعيين الولاة سامح باشا وعلي رضا باشا الجزيري، ومصطفى عاصم باشا وغيرهم، وما ذكره من مسألة الحدود الليبية التونسية التي نشبت في النصف الأخير من القرن الماضي.

كذلك استطاع هذا المجموع أن يطلعنا على الكتب العلمية المطبوعة التي كانت تتداولها أيدي العلماء والمثقفين في طرابلس الغرب في أواخر القرن الماضي، نذكر منها فيما يتصل بالدراسات الفقهية والإسلامية، شرح العزيزي على الجامع الصغير في الحديث الشريف، وإظهار الحق للدهلوي، والدردير الكبير، وشرح الدر المختار مع حاشية ابن عابدين، والعقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، والفتاوى الخيرية، وتحفة الملوك والسلاطين لابن فرشتة، وشرح الشربنلالي على النظم الوهباني، وشرح مجمع البحرين لابن فرشته والتحرير في أصول الفقه الحنفي لابن الهمام، وحاشية العدوي على شرح المسلم والملوى على السمرقندية وحواشي الأمير عليه، والفوائد الزينبية في المذهب الحنفي وتفسير الإمام الرازي، وسنن أبي داود وربيع الأبرار، وشرح أقرب المسالك والميزان الكبرى، والموطأ، والأبريز، والإتقان في علوم القرآن، وشرح المواقف.

ويطلعنا المجموع في نطاق اللغة والأدب على بعض الكتب المقروءة في ليبيا إبان النصف الأخير من القرن المذكور مثل حاشية السجاعي علي بن عقيل، وكتاب الأشموني الماكودي ورسالة الدردير في البيان، وحاشية الخضري علي بن عقيل، والمستطرف في كل فن مستظرف، وشرح ابن الوردي والمصباح في اللغة وحواشي الشيخ خالد وكتاب الحيوان وألف ليلة وليلة، ونرى من أسماء كتب التاريخ فيه تاريخ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وتاريخ الشيخ أحمد زيني دحلان وتاريخ وفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان، وتاريخ الواقدي.

فهذه الكتب وغيرها مما هو مثبت في المجموع تصلح لأن تتخذ دلالات ومؤشرات على التاريخ لطوابع الحياة الفكرية في ليبيا في القرن الماضي، وللوقوف على ما كان يجنح إليه العلماء والأدباء من ألوان القراءة والتآليف؛ ومن المزايا التي يحتفظ بها كتاب المجموع أنه يدلنا على بعض أسماء أولئك المثقفين الذين كانوا يحرصون على القراءة بالاقتناء أو الاستعارة نجتزئ منهم بذكر الأشياخ أحمد بن عبد السلام ومصطفى الخازمي ومحمد علي بن موسى ومحمد متيطن الغدامسي وعلي قرجي وابن حمادي ومحمد الجزيري وأبي القاسم العيساوي وعمورة القرقني وعبد الرحمن شكري وابن بطيخ وصالح الجربي ومحمد الطاهر ومحمود زكي المصري وغيرهم. ومن حسنة هذا المجموع أنه ضمّ عدداً غير قليل من أشعار المترجم ومنظوماته، وهي التي سقنا طائفة منها أثناء الحديث عن شعره، وقوّت اليقين بالحكم الذي حكمنا به عليها من قبل، كما أنها نقلت لنا أشعاراً أخرى ومنظومات من مروياته، تصلح لأن تكون مادة للحكم على ذوقه واختياراته، وما عمل في تكوين وجدانه، وحفل المجموع أيضاً بالاحتفاظ ببعض الفوائد والطرائف التي كان الشيخ معجباً بها وبالاستشهاد بمعانيها مثل هذه الطرفة التي سماها ـ رحمه الله ـ فائدة[1] وهي «لما سقطت منارة جامع المؤيد بمصر قال أدباء العصر في سقوطها شعراً كثيراً منه ما قاله حافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الشافعي، رحمه الله تعالى:

لجامع مولانا المؤيد رونق   منارته تزهو من الحسن والزين
تقول وقد مالت عليهم تمهلوا   فليس على جسمي أضر من العين

فتحدث الناس أن في قوله العين قصد التورية لتخدم في العين التي تصيب الأشياء فتتلفها، وفي الشيخ بدر الدين محمود العينتابي فإنه يقال له العيني أيضاً فقال المذكور يعارضه:

منارة كعروس الحسن إذ جليت   وهدمها بقضاء الله والقدر

---

(1) المجموع: ورقة 39، أ.

قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ما أوجب الهدم إلا خسّة الحجر

أول قول مترجمنا في موضع آخر من الكناش[1] «سمعت من بعض علماء حلب أنه كان بحلب عالم فاضل منقطع لتعليم العلوم الشرعية، فقير جداً حتى أنه كان يلبس ثوب الصيف في أيام الشتاء، فقال له بعض أهالي حلب ما شأنك بقيت بوصف الفقر وأنت على ما أنت من العلم والفضل فأنشد:

أتيتكم بعلوم لو أتيت بها المحيط لنالتني جواهره

ما ضرني غير أني من بلادكم وزامر الحي لم تطرب مزامره

وفي المجموع قيود اقتصادية منها مسائل خاصة تتصل بالكاتب من جهة معاشاته وشركته في تجارة الكتب مع الشيخ سعيد الشماخي[2]، وما يتعلق بإيجاراته وعقارات أهله والمشتريات الخاصة بهم ويمكن الاطلاع من خلالها على الوضع الاقتصادي الخاص بالمترجم وبأسرته[3]، كما يمكن الاستفادة من قيوداته في تقدير قيم الأشياء في ذلك الوقت، وفي التعرف على أنواع العملات المعمول بها في داخل ولاية طرابلس في ذلك الوقت غير العملة العثمانية المعروفة[4] كما اشتمل الكناش على بعض القيود الاجتماعية من ذكر الأمانات والإشهادات وغيرها[5] وبعض المسائل الصحية والعلاجات المعمول بها في ذلك التاريخ[6].

نعود فنكرّر ونقرّر أن هذا المجموع ليس كتاب علم محدّد وإنما هو مستودع ملاحظات وارتسامات صاحبه، وفوائد علمية وشخصية؛ وهو على وضعه المذكور مفيد فائدة كبيرة لمن يترجم لصاحبه أو يتناول الحياة العامة في

(1) المجموع: ورقة 53، أ.
(2) المجموع: 43.
(3) المجموع: ورقة 1، 32، 33، 34، 35، 37.
(4) المجموع: ورقة 30، 32، ب، 33، 34، أ الخ.
(5) م.ن: ورقة 63، أ، 64، أ، 69، ب الخ.
(6) م،ن: ورقة 7، أ، 8، ب.

ليبيا إبان القرن الماضي؛ ومن المفيد أن نذكر أنه يقع في مجلد صغير يعدّ أكثر من ثمانين ورقة ولكننا لا ندري هل كان للشيخ ابن مصطفى كناش آخر أو أكثر سوى هذا المجموع، والغالب على الظن أن رحلة حياته غير القصيرة قد حررت مسائل كثيرة في غير المجموع.

4 ـ فتح الودود في حلّ نظم المقصود:

إن الكتاب الذي أحبّ أن أنبّه إليه هنا في معرض الحديث عن نثر علامتنا التأليفي وهو الأثر الذي لم يشر إليه أحد قبلي ممن ترجموا له، أو عرضوا لدراسة تآليفه «كتاب فتح الودود في حل نظم المقصود» وقد طبع هذا الكتاب في عهد الخليفة السلطان عبد الحميد خان زمن ولاية السيد الحاج أحمد عزت باشا ابن المرحوم الحاج عثمان باشا الأزرنجاني، الذي تولى مهامّ هذه المدينة في الفترة الواقعة بين سنتي (1858/ 1860).

لقد عثرت على الملزمة الأولى من هذا الكتاب ضمن أوراق قديمة عندنا انتهت إلينا من الجدّ الذي كان معاصراً للمترجم، ولست أدري هل تمّ طبع هذا الكتاب جميعه أو لا؟ وهل تداولته الأيدي، وكتبت له الشهرة في عهد نشره، أو حالت دون ذلك الحوائل؟

وغاية ما علمته من أمره جهل الدارسين والباحثين به، وعدم اطلاعهم على محتوياته والتعرف على موضوعه! وأنه لم يرد في كتابات من قبلي إشارة تدل على عثورهم على نسخة منه، أو كتابة حوله.

لقد كتب في الصفحة الأولى من هذا التكاب ما نصه «هذا فتح الودود في حلّ نظم المقصود، تأليف العالم العلامة، المحقق الفهامة من منح الحسن خلقاً وخلقاً، واشتهر فضله غرباً وشرقاً، مولانا الأستاذ الفاضل الشيخ محمد كامل بن مصطفى بن محمود الطرابلسي الحنفي نصر على عدوه، ووقى شره وكفى «آمين»[1].

(1) فتح الودود في حل نظم المقصود: 1.

وفي الصفحة الثامنة من الكتاب مقدمة وجيزة ابتدئت بهذه الديباجة التي كتبها المؤلف «نحمدك اللهم يا من تنزّه عن الوصف الناقص والمثال، وتعالى وتقدس عن كل ضعف واعتلال، فأنت المحمود المقصود والمطلوب، وأنت المعطي الوهاب لكل موهوب، ونشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك في التصرّف في جميع الأفعال، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك المصطفى من ذوي الفضل والكمال ﷺ، وعلى آله وصحبه وشرف وكرم»[1].

وبعد هذه المقدمة اللطيفة المناسبة لغرض الكتاب وهو فنّ الصرف،والمشتملة على حسن الاستفتاح والاستهلال مع استخدام مصطلحات الفن، أشار بعد ذكر اسمه على عادة القدماء في التقديم إلى قيمة علم الصرف، وأن أحسن ما صنف فيه ـ فيما ذهب إليه ـ أرجوزة شيخه العلامة، وأستاذه الفهامة أحمد بن عبد الرحيم الطهطاوي، الذي ترجمنا له في مقام الترجمة لشيوخه، وذكر أن تلك الأرجوزة جمع فيها ما احتوى عليه متن المقصود في علم الصرف المنسوب للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وأبان أن شيخه المشهور الشيخ محمد عليش المالكي الذي ترجمنا له أيضاً قد شرحها «شرحاً حسناً جامعاً لكثير من مسائل الفن، بيد أن به نوع أطناب على عادته في سائر مؤلفاته»[2].

فكان ذلك الملحظ حاملاً لمترجمنا على تأليف هذا الكتاب المختصر، وأن يشرح الأرجوزة شرحاً في عبارة سهلة مختصرة وإشارة واضحة، ليكون ذلك العمل ـ كما قال مترجمنا متواضعاً ـ «لائقاً بأمثالي من المبتدئين، وبإخواني من طلبة العلم القاصرين»[3] وسماه بما ذكرناه سلفاً «فتح الودود في حلّ نظم المقصود» معتمداً فيه على شرح الشيخ محمد عليش[4].

---

(1) م.ن: 2.

(2) فتح الودود في حل نظم المقصود: 3.

(3) م.ن: 3.

(4) فتح الودود في حل نظم المقصود: 3.

وقد صنّف هذا التأليف على الشكل المتبع في التأليف والطباعة في القرن الماضي من وضع المتن بين قوسين هلاليين يشتملان على قول المصنف، يليهما شرح الشارح، وهو شرح واضح مختصر العبارة، جيد التفيهم كما يستفاد من الأوراق التي بين أيدينا.

ويظهر من ملامح الطباعة، ونوعية الحروف المستخدمة أن هذا الكتاب الذي لم تصلنا منه إلا هذه الأوراق، التي لم تحمل لنا معلومات كافية ومفصلة، أنه طبع بمطبعة الولاية بطرابلس الغرب بعد عودة العلامة محمد كامل من مصر بربع قرن تقريباً.

5 ـ كليات في المنطق:

أخبرني الباحث الفاضل الأستاذ علي الصادق حسنين في أثناء العودة من رحلة غدامس العلمية سنة ( ) أنَّ لديه في مكتبته الخاصة تأليفاً صغيراً في المنطق للشيخ محمد كامل بن مصطفى لم تقع الإشارة إليه من قبل، فتمنيت عليه أن يطلعني عليه أو يمكنني من تصويره، فوعدني مشكوراً بذلك، ثم أمدني مشكوراً بنسخة مصورة منه، هي التي سنعتمد عليها في الوصف، ونثبت صورتها في الملحق.

حينما اطلعت على هذا التأليف وجدته كناشاً صغيراً يقع في خمس أوراق، مكتوب بالخط المغربي المعتاد، مفتتح بالبسملة ومختوم بفائدة متكونة من أبيات.

أما نسبة هذا الكناش أو مجموع هذه الأوراق إلى الشيخ محمد كامل فصحيحة ومؤكدة في البدء بقول الناسخ «هذا تقرير شيخنا ابن مصطفى متعنا الله به آمين»، وفي الختم «وله أيضاً حفظه الله». يعني الشيخ المذكور.

ويستفاد من الختم المذكور أنَّ نسخ مجموع هذه الورقات إنما تمّ من أحد تلاميذ الشيخ ابن مصطفى، وفي حياته أيضاً.

ذكر ابن مصطفى في تقريره بل تأليفه الذي لم يصلنا كاملاً، والذي نقل

عنه هذا الكناش نقلاً غير تام ـ كما يتضح ـ أنّه لما أراد الشروع في مطالعة بعض كتب المنطق الذي بمعرفته ـ حسب تعرفه وتصوّره ـ «كلُّ أخرس ينطق» عمل إلى جمع كليّات تتعلق بمبادئه وحقائقه؛ ليكون متعاطي هذا الفن على بصيرة وذكر، كما ذيَّل تلك الكليات كما ورد في النصِّ التام المكتوب بخط الشيخ ابن مصطفى «بكلمات لطيفة على البسملة الشريفة».

نبه ابن مصطفى في بداية الكناش أو هذه الأوراق المنقولة عنه إلى ضرورة أن يعرف كل دارس أي فن وعلم حقيقته وحدوده وأن يتصوّره تصوراً ذاتياً، وأن يميّزه عما عداه، كي لا يكون بين هذا العلم المدروس وبين غيره اشتباه.

وقد مضى بعد ذلك إلى جمع الكليات، فأشار على وجه الإجمال والشرح المختصر ـ إلى الضروريات التصوّرية والتصديقية والمنطوقات، وموضوع العلوم التصوري والتصديقي، كما ذكر الجوهر والعرض والكيفيات النفسانية، وغير ذلك من الكليات ومباحث علم المنطق.

ويبدو أن الشيخ ابن مصطفى استعان في جمعه في كناشه أو تقريره بعدد من كتب الفن مثل: السلم المنورق ومختصر ابن عرفة والتهذيب ومختصر السنوسي وايساغوجي وغيرها مما أورده في تضاعيف كلامه، بل جمعه.

والمتأمل في الكناش أو فيما وصلنا من منه يراه أنّه مجرّد جمع للكليات في علم المنطق، وليس بالتأليف أو الشرح الكاشف الموسَّع، فهو أقرب إلى التقرير الموجز، أو رؤوس الأقلام التي يستعين بها أيُّ مدرس أو معلم في استذكار هذا الفن ومصطلحاته لدى التدريس والتقرير.

وعلى الرغم من أَن الناسخ ختم تلك الأوراق ببيتين لابن مصطفى في علم المقولات، فإنّ النصَّ الذي بين أيدينا خلا خلواً كاملاً مما أَلمح إليه الشيخ محمد كامل في مقدمته من أنَّه ذيل تلك الكليات «بكليمات لطيفة على البسملة الشريفة».

لذلك فإننا نميل إلى أن الشيخ ابن مصطفى له تقدير كامل اشتمل على

الكليات في المنطق، وكليمات لطيفة على البسملة الشريفة، وهو غير هذا العمل المنقوص والمبتور المكتوب بخط أحد تلاميذه الذي نقل في حياة الشيخ بعضه وترك بعضه الآخر، وربما عمد إلى اختصار بعض المواضع فيه، يؤكد ذلك في رأينا ثلاثة أشياء:

1 ـ ما جاء في أوله مما ذكره هذا التلميذ أو المريد الذي نجهل اسمه، إذ لم ينص على ذلك في نسخه للكناش هذا تقرير شيخنا ابن مصطفى ـ متعنا الله به آمين».

2 ـ ما جاء في ختامه قبل إيراد نظم محمد كامل بن مصطفى بيتين في علم المقولات «وله أيضاً حفظه الله» يشير بذلك إلى شيخه.

3 ـ وما ذكرنا سلفاً من خلوّ هذا التقبيل من «الكليمات اللطيفة في البسملة الشريفة» التي نصَّ عليها الشيخ ابن مصطفى صراحة في طالعة كناشه التام.

ومهما يكن من أمر، فقد أحسن هذا التلميذ المريد لشيخه ولنا حينما دلّنا على وجود الغابة بالإشارة إلى شجرة منها، ولولا ذلك لبقي اسم هذا التقرير في غياهب النسيان.

فهل كانت للشيخ محمد كامل بن مصطفى آثاره قلمية أو تأليفية أخرى؟

في تقديري أن مستقبل الأيام كفيل بإظهار بعض نتاجه الآخر، كما هو كفيل باطلاعنا على آثار أخرى مختفية من إبداع معاصريه وسابقيه، وقد ذكر الأستاذ عبد السلام سنان في مقال كتبه عن أعلام ليبيين في القرن الماضي أن للشيخ محمد كامل بن مصطفى «ثلاثة هوامش على البيضاوي وثلاث حواشي على السعد، وكتب في البلاغة، كما أشار إلى أن له بحثاً سياسياً كبيراً عن خيانة العثمانيين إلى مجلس المبعوثان التركي بالاشتراك مع بعض السياسيين الليبيين»[1].

---

(1) جريدة العلم بتاريخ 1/ 5/ 1968.

ولم يشر إلى هذه الآثار الباحثون الذين درسوا مترجمنا[1] كما لم ذكر الأستاذ عبد السلام سنان المصادر والمظان التي اعتمد عليها فيما ذكره، ولم يبين لنا أسماء أولئك السياسيين الذين شاركوه في كتابة ذلك البحث.

وإذا صحَّ ما أورده الأستاذ سنان فإننا نكون ـ دون شك ـ أمام جهود كثيرة ومختلفة، تجعلنا نكبر هذا الرجل الرائد من جهة، وتشعرنا بالحاجة إلى البحث عن هذا التراث، وبوجوب إنقاذه من الضياع من جهة أخرى.

شعره:

كان المترجم ـ كما تفصح بعض آثاره ـ حافظاً لافظاً، يروي الشعر الجيد، ويستشهد بشواهد النظم الكثيرة المتصلة بالمسائل العلمية، والقضايا الفقهية، وإيراده لبديع المنظوم في تفسير فتاويه ومجموعه الذي ظهر أخيراً، يدل على حبّه للشعر، واستمتاعه به كلون وفن جميل من فنون أدبنا العربي.

ولكن الميل إلى الشيء غير الإبداع فيه، والاستمتاع بلطائفه وطرائفه غير معاناة إنتاجه، والتوفيق في صناعته.

لقد كان ـ كما أشرنا ـ معنياً بحفظ عيون الشعر والاستشهاد به في تآليفه، وخصوصاً في حاشيته على تفسير البيضاوي، ولا بد أنه قد نظم بغزارة محفوظة في شبابه، وخصوصاً زمن تحصيله، قدراً غير قليل في النظم والشعر ولكننا لم نعثر على شيء من ذلك[2] خلا أبيات قليلة محدودة الأغراض والأشكال، لا تدل على شاعرية خصبة، ولا يمكن بحال أن ترقى إلى آفاق الشعر الجيد الذي نجده عند معاصريه أو لدى بعض تلاميذه أمثال الشيخ إبراهيم باكير وأحمد الفقيه حسن (الجد) ومصطفى محمد بن زكري، وهذا مرادي من أن الميل إلى

---

(1) أشار الأستاذ علي الفقيه حسن في مقالته عن الأستاذ محمد كامل بن مصطفى إلى أن له «تقارير وحواشي على بعض مؤلفات علوم البلاغة كالسعد وغيره». راجع ليبيا المصورة العدد 64/ 1938.

(2) احتفظ لنا كتابه بشيء من ذلك. أوردنا شواهد منه فيما تقدم من فصول.

الشيء غير الإبداع فيه، ولكننا ما دمنا نحاول الحديث عن آثار هذا العالم الرائد، نسوق تلك الأبيات والمنظومات استيفاء لإبعاد الصورة في رسم الشخصية، وتبياناً للمكانة التي كان يحتلها هذا العالم المصلح، ولا يضيره تقصيره في هذا الفن، وألا يكون شاعراً؛ لأنه وظّف طاقاته ـ كما تهدي هذا البحث ـ للإصلاح والتعليم، فصنع من عطائه وإخلاصه الأعاجيب.

من هذه الأبيات التي تفصح عن طبيعة وصيغة نظمه، قوله عندما كان يدرس في الأزهر، ويحضر درس السنشوري[1].

إن رمت ما من أمور الدين قد شهرا	بين الخلائق فاحفظ حيز أشعاري
فصحة العقد مع صدق بمقصدنا	وزد وفاء بعهد الخالق الباري
كذا اجتناب لحد وهو يختمها	فاطلب ثواباً لنا يا أيها القاري

وقد جاءت هذه الأبيات عقب جواب عن سؤال فحواه ما هي أمور الدين؟ هل هي قواعده الخمس؟ أم هي شيء آخر؟

فأجاب بقوله هي شيء آخر، كما ورد في اللؤلؤة نقلاً عن النووي، الذي ذكر أمور الدين تنحصر في «الصحة بالعقد، والصدق بالقصد، والوفاء بالعهد، واجتناب الحدّ»[2].

وقد شرح المترجم هذه الأمور الأربعة في فتاويه وأردفها نظماً بتلك الأبيات، وكما لا يخفى فإنه اتبع فيها ذلك التيار الغالب في ذلك الزمن، تيار نظم العلماء للمسائل في أبيات يسمونها شعراً وليست بشعر.

قال الأستاذ المصراتي «ولاحظت وأنا أبحث عن حياة الشيخ وآثاره، إنه ليس له شيء من الشعر إلا أبياتاً نظمها على طريقة الفقهاء، عندما كان في الأزهر يحضر درس السنشوري»[3] ثم ساق الأبيات، ومع اتفاقنا مع الأستاذ المصراتي

(1) الفتاوى الكاملية: 270.
(2) م. ن: 270.
(3) أعلام من طرابلس: 223.

في حكمه على طبيعة الأبيات المذكورة وملامحها، إلا أننا نختلف معه في قوله إنه ليس له شيء من الشعر سواها، وقد عثرت على أبيات أخرى تنفي ذلك، ولكنها لا تجعلني أقول إنني عثرت على كنز ثمين في الشعر والشعور.

وفي عداد هذه الأبيات التي عثرنا عليها قوله يمدح شيخه الكبير أحمد عبد الرحيم الطهطاوي، كفاء ما تفضل به عليه من علم وتهذيب ورعاية(1).

فهو الذي في الصدر تشرق شمسه ... فتنير آفاق الفؤاد القاسي
لولاك ما الآداب يدرك سرها ... من بعد ما درست أتمّ دراس
كلا ولا حاك القصائد حائك ... في عصرنا يا طيب الأنفاس
سميت أحمد فالمحامد كلها ... تتلى عليك فأنت كل الناس

ومما عثرنا عليه من نظمه ما أشرنا إليه في معرض الحديث عن رحلاته، حيث ألمحنا إلى أن الشيخ محمد كامل مدح في أثناء زيارته للبلاد التونسية شيخ الإسلام أحمد بن الخوجة بأبيات أجاب عنها هذا الشيخ بأبيات أخرى مشابهة أثبتناها في ذلك الموضع، وقد ناسب المقام الآن لإثبات ما جادت به قريحة مترجمنا، وهو القدر الذي وجدته بخطه في الجزء الأول من نسخته من كتاب «عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي»(2) ممهداً له بقوله «الحمد لله، قد وصلت إلى حاضرة تونس ـ حرسها الله تعالى ـ صبيحة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من صفر سنة 1288هـ، واجتمعت فيها بكثير من أكابر علمائها منهم شيخ الإسلام سيدي أحمد بن الخوجة ـ حفظه الله تعالى ـ وأطال في عمره، وإني بعد اجتماعي به، مرّ على لساني ما نصه» ثم أورد هذه الأبيات(3).

يا إمام الورى وقطب الأنام ... يا سراجاً به تفضل ربي
كنت قبلاً أحبكم عن سماع ... ولدى رؤيتي لكم زاد حبي

---

(1) فتح الودود: 6.
(2) مكتبة الأوقاف تحت رقم 3011 عام، 932.2 خاص.
(3) م. ن. المجموع:

فقتم منطقاً ولطفاً وظرفاً   فملكتم مني لبابة لبي

كيف حالي إذا ارتحلت بجسم   عنكم وبقيت فيكم بقلبي

لكم العهد إنني لا أزال   فيكم مغرماً ولا زال قربي

وقد استطاعت هذه الأبيات التقريرية ـ كما تلحظ ـ أن تنقل نقلاً مباشراً وسهلاً أحاسيس الناظم ومشاعره نحو شيخ الإسلام ابن الخوجة، كما برهنت عما يحمله له من عواطف زاكية، وود صادق إلا أنها لم تستطع لطبيعتها التقريرية، ولروحها النثرية أن ترقى إلى توفير مائية الشعر ورفيفه، شأنها في ذلك شأن الأبيات السابقة، ومهما يكن من أمره؛ فإن هذا الرائد المصلح كان في شعره بل في نظمه من خلال الكمّ الموجود الذي نستدل به على المفقود، والذي نحسب بل نعتقد أننا لم نخسر شيئاً فنياً ذا بال بضياعه أقول كان الشيخ ابن مصطفى في شعره ناظماً وزاناً ولم يكن بحال شاعراً فناناً، ولقد كان بعض تلاميذه ـ كما أوضحنا ذلك في بعض دراساتنا ـ أكثر شاعرية وإبداعاً وطبعاً منه في هذا الغرض لأنهم عشقوا الأدب، وتفاعلوا مع نصوصه الجيدة وتعلقوا بروائعه، واستكملوا أدوات الشعر، وحصلت لهم فيه الموهبة والدربة، ولا خلاف بعد ذلك في أن ما يسند للفروع من فضل، عائد لا محالة إلى الأصول:

كالبحر يمطره السحاب وما له   فضل عليه لأنه من مائه

نماذج من شعره:

فمن النماذج التي عثرنا عليها في المجموع ما قاله في غرض الإخوانيات والمناسبات الذي راج في العهود الأخيرة(1)، وهو ما نظمه في تاريخ ولادة لكاهية محمود باشا المسمى صابيّا والمولود اسمه أحمد(2):

كتخذا محمود باشا   صايب الرأي المسدد

---

(1) المجموع: ورقة 15، ب.

(2) م. ن: ورقة 15، ب.

خـــصـــه الله بـــنـــجـــل صـــانـــه الـــمـــولـــى وأيـــد

قـلـت فـي الـتـاريـخ شـطـراً ســاب بـالـلـذات أحـمـد

وله خمسة أبيات أخرى في الولد المذكور[1]:

يـا أيـهـا الـنـجـل الأسـعـد شـــرحـــت مـــنـــا صـــدورا

وقـــد ولـــدت لـــصـــايـــب أصـــاب مـــنـــك ســـرورا

تـــكـــون إن شـــاء ربـــي عـــونـــاً لـــه ونـــصـــيـــرا

ســمـيـت أحـمـد كـيـمـا تـنـال حـمـداً كـثـيـرا

وهـــاك تـــاريـــخ نـــشـــأ لا زلـــت لـــيـــثـــاً دســـورا

وقال في أوائل سنة (1286/ 1969) عندما حفر بعض إخوانه المسمى يحيى من الأشراف بئراً في الصحراء «بجوار قبور أناس أشراف من أهل البيت، وذكر أنه رجا بذلك حصول الثواب له ولهم»[2].

سبيل لدى الأشراف أحياه ماجد على حبهم إذا كان من نسلهم يحيى

طـواه رجـاءً لـلـثـواب إلـيـهـم فـجـاء بـه عـذبـاً بـه تـرجـم الأحـيـا

عـسـى الله بـنـجـيـه بـهـم ويـصـونـه إذا مـا أتـاه عـنـد خـتـم أبـو يـحـيـى

لقد طبت يا يحيى وطاب لك الثنا وفزت بذكر في المماة وفي المحيا

وإذ تـمّ قـال الـسـعـد أرخ لـحـفـرة لك الخير والأجر الجميل أبا يحيى

ونظم بإرادة الوالي حالة محمد باشا لما مرض شيخ الإسلام باستنبول الشيخ محمد رفيق أفندي[3]:

---

(1) م. ن: ورقة 15، ب.

(2) م. ن: ورقة 22، أ.

(3) المجموع: ورقة 22، ب.

وعقب على الأبيات المنظمة بقوله: «فما كان إلا أن جاء خبر موته ـ رحمه الله تعالى ـ آمين» المجموع.

حـــمـــداً لـــرب شـــفـــاكـــا نـــعـــم الـــرفـــيـــق مـــحـــمـــد
أبـــقـــى الإلـــه وجـــودك مـــعـــظّـــمـــاً ومـــمـــجّـــد
فـــي غـــنـــيـــة مـــن حـــكـــيـــم وفـــي الـــعـــلا تـــتـــصـــعّـــد

ونظم أيضاً[1]:

عـــوفـــيـــت مـــن كـــل داء شـــفـــيـــت مـــن كـــل عـــلـــة
أنـــت الـــرفـــيـــق مـــحـــمـــد فـــي الـــفـــضـــل فـــقـــت الأهـــلّـــة
لا زلـــت تـــعـــلـــو وتـــســـمـــو فـــي الـــخـــيـــر بـــيـــن الأخـــلّـــة

وقال مادحاً الأديب الشيخ أحمد ساسي بن شتوان بمناسبة كتابه «الفوائد الغريبة»[2]:

إن الـفـوائـد قـد بـدت فـي الـنـاس تـحـوي مـن الـتـبـيـان كـل جـنـاس
وحوت قلائد من جواهر نظمت في سلك تبر من صياغة ساسي
نـيـطـت قـلائـدهـا بـجـيـد إمـامـنـا عـبـد الـعـزيـز الـطـيـب الأنـفـاس
وبـجـيـد مـن هـو لـلـوزارة حـامـل صـدر الـصـدور وبـهـجـة الـجـلاس
لـم تـرض جيـد سـواهـمـا لـعـلائـهـا فـي كـل مـنـقـبـة وطـيـب أسـاس
مـدحـتـهـمـا فـتـزيـنـت بـحـلاهـمـا وإلـيـهـمـا زفـت بـخـيـر لـبـاس
فـلـعـلـهـا تـحـظـى الـقـبـول لـديـهـمـا وتـنـال حـسـن رضـا مـع اسـتـئـنـاس
مـذ أنـشـئـت فـالـنـاس يـرتـقـبـونـهـا فـبـدت ودارت بـيـنـهـم كـالـكـاس
فـتـنـاولـوهـا بـالأنـامـل رغـبـة فـيـهـا وحـيـوهـا بـخـفـض الـراس
وتـمـايـلـوا طـربـاً لـدى إنـشـادهـا ودعـوا لـمـنـشـئـهـا بـرفـع لـلـبـاس

(1) المجموع: ورقة 22، ب.
(2) المجموع: ورقة 20، أ.

وله في تهنئة صديقه الحاج محمد الغرياني بمناسبة حجه الثاني، والمترجم بالأزهر في مصر[1]:

زهت النّفوس وبان في الأكوان   طيب الحجاز بمقدم الغرياني
مذ حلَّ مصر تزينت وتزخرفت   وغدت تهنيه بحج ثان
سبحان من أولاه حجاً ثانياً   فغدا به يسمو يسمو على الأقران
هنيت بالحجين يا خلي هما   حجان مبروران مقبولان
نلت السّعادة والكرامة منهما   ورجعت ترفل في ثياب أمان
هذا وأرجو أن تنال سلامة   حتى تقر بأهلك العينان
وتبلغ الإخوان مني كلهم   أبهى السلام عاطر الأردان

وقال عندما سأل بعض إخوانه قضاء حاجة طلب إليه ألا يردّه دون إنفاذها[2]:

سألتكم باللّه لا   تسارعوا بقول لا
وبادروا بأختها   جميعكم على الولا[3]

ومن مقطعاته وأشعاره في غرض النسيب قوله في أبّان الصبا والشباب[4]:

حبيبي قد برى جسمي   وأضناه وأرداه
فأشكوه إلى ربي   وأرجو اللّه يرعاه

وقال[5]:

(1) المجموع: ورقة 14، أ.
(2) م. ن: ورقة 20، أ.
(3) جريدةو العلم بتاريخ 1/ 5/ 1968.
(4) المجموع، ورقة.
(5) م. ن: ورقة 17، أ.

لـمـا جـفـانـي حـبـيـبـي عــدمــت مــاء الــمــحــيّــا
وقـــد أتـــانـــي فـــحـــيّـــا تـــحـــيـــة عـــدت حـــيـــا

وقال[1]:

إن لـــي فـــيـــك حـــبّـــاً مـــا لـــغـــيـــرك قـــلـــت
أنـــت والـــلّـــه روحـــي إن تـــبـــاعـــدت مـــتّ

وله في التشبيب بمن كنى عنها بليلي قوله[2]:

أحاطت بكل الحسن ليلاي إذ بدت إلـيَّ بـوجـه لا أحـاكـيـه بـالـبـدر
وليس بـهـا عيـب سـوى أن ردفهـا أحاطت به حيات سوء من الشعر

ومن طرائف أشعاره هذه اللطيفة التي مهّد لها بقوله: «رأى بعض المحبين من يهواه مساء فقال له أسعد الله صباحك؛ فظن المحبوب أنه يهزأ بقدره أو يمازحه فأنشد المحبّ في الحين قوله[3]:

صبحته عـنـد الـمـسـاء فـقـال لـي تـهـزأ بـقـدري أو تـريـد مـزاحـا
فـأجـبـتـه إشـراق وجـهـك غـرنـي حتى تخيلت المساء صباحا

قال: وقد كنت شطرتهما حال حضوري بالجامع الأزهر فقلت[4]:

صبحته عـنـد الـمـسـاء فـقـال لـي هـذا مـسـاء كـيـف صـار صـبـاحـا
إنـي أظـنـك قـلـتـه مـتـهـكـمـاً تـهـزأ بـقـدري أو تـريـد مـزاحـا
فـأجـبـتـه إشـراق وجـهـك غـرنـي يا من يفوق الشمس والإصباحا
لـولاه مـا الـدنـيـا تـلألأ نـورهـا حتى تخيلت المساء صباحا

---

(1) م. ن: ورقة 17، أ.
(2) المجموع: ورقة 13، أ.
(3) م. ن: ورقة 11، أ.
(4) م. ن: ورقة 11، أ.

ومن أشعاره التقريظية المدحية في التنويه بجملة من العلوم والكتب، هذه المقطعات الواردة في المجموع، قال مرغباً في قراءة علم المنطق(1):

إذا ما رمت تحقيق المسائل ومعرفة الحدود مع الدلائل
فلازم منطقاً تزدد ذكاء تفوق به على أعلى الأفاضل
وكن بالعارفين به وثوقاً فإنهم حدوا كل الفضائل
وما للجاهدين به وثوق كما قال الغزالي في الأوائل

وقال في النقد التأثري مشيراً لأفضلية جرير في الشعر على الفرزدق(2):

جرير شعره أعلى وأحلى من الشعر الذي يأتي الفرزدق
إذا استقرأت ما قالاه مدحاً وهجواً تلقى ما قلنا محقق

وقل منوّهاً بعلم المقولات(3):

علم المقولات علم ليس يدركه إلا رجال لهم أدقّ إدراك
إن لم تكن دقة الإدراك فيك فلا تركن إليه وكن عن دركه باكي

وكتب على ظهر كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي قوله(4):

فهاك كتاباً للسيوطي متقناً به علم تنزيل فكن فيه عالما
كتاب شريف القدر من يشتريه لم يكن قط مغبوناً ولم يك نادما

وكتب على ظهر الكتاب المذكور أيضاً(5):

لو بيع الإتقان بالأرواح جاد بها ذوو العلوم فكيف البخل بالمال
فيه علوم كتاب اللّه قد جمعت للّه درّ السيوطي الحافظ العالي

(1) المجموع، ورقة:
(2) المجموع: ورقة 20، أ.
(3) م. ن: ورقة 13، أ.
(4) م. ن: ورقة 12، ب.
(5) م. ن: ورقة 13، أ.

وقال بعد أن أعاد تفسير الإمام الرازي الذي استعاره من محمد أمين أفندي في ذي الحجة من سنة (1289/)[1]:

مـتـعـتـنـي بـأنـيـس لا يـسـأم الـقـلـب مـنـه
نـعـم الأنـيـس كـتـاب تـروي الـمـسـائـل عـنـه
أحـسـنـت لـي فـدعـوت فـقـلـت يـا رب صـنـه
يـا رب واحـفـظ أمـيـنـاً مـحـمـداً لا تـهـنـه
واسـتـره واسـتـر بـنـيـه وكـن لـه وأعـنـه
فـإن أنـسـى بـرازي قـد جـاءنـي مـن لـدنـه

وقال أيضاً[2]:

أعـرتـمـونـي كـتـابـاً جـزاكـم الـلّـه خـيـرا
جـنـيـت مـنـه قـطـوفـاً وقـاكـم الـلّـه شـرا
رددتـه وفـؤادي يـصـلـى مـن الـنـار جـمـرا
وهـكـذا كـل ألـف يـفـارق الألـف قـهـرا

ومن أمثال العرب التي راقت له فنظمها قولهم «قال الجدار للوتد لِمَ تشقني، قال الوتد سل من يدقني» فنظم المعنى في قوله الذي أتى به في مكسر سهل[3]:

قـال الـجـدار لـلـوتـد لأي شـيء تـشـقـنـي
فـقـال فـي جـوابـه سـل الـذي يـدقـنـي

ومن الأبيات القديمة الجارية على ألسنة بعض الأدباء قول أحدهم[4]:

---

(1) المجموع: ورقة 23، أ.
(2) م. ن: ورقة 23، أ.
(3) المجموع: ورقة 54، أ.
(4) م. ن: ورقة: 22، ب.

شفيعي إليك اللّه لا ربّ غيره ... وليس إلى ردّ الشفيع سبيل

وقد أضاف إليه بيتاً آخر فقال:

وعدت فانجز فالكرام وعودهم ... ديون عليهم والوفاء جميل
شفيعي إليك اللّه لا رب غيره ... وليس إلى ردّ الشفيع سبيل

منظومته في مباحث الأسماء والحروف والأفعال(1):

يقول ذو التقصير تارك الوفا ... محمد المعروف بابن مصطفى
أحمد من علمنا الأسماء ... والفعل والحروف والأشياء
ثم أصلي وأسلم على ... محمد وآله ومن تلا
وبعد فالكلمة قول مفرد ... بنفسه استقلّ نحو يعبد
أقسامها ثلاثة خلافاً ... لمن أتى برابع وحافا
اسم وفعل ثم حرف معنى ... أبحاثها في النظم قد جمعنا

أبحاث الاسم

للاسم حدٌّ وكذا سمات ... والاشتقاق الحكم واللغات
كذاك أقسام فتلك ستة ... نافعة للمبتدى البتة
فحدُّه ما أفهم المسمى ... فالكلمات كلها قد عما
وفي اصطلاح كلمة دلت على ... معنى بنفسها من الوقت خلا
سماته الجر كذا التنوين أل ... ندا وتصغير وإسناد حصل
من السموّ يشتق ومن السمه ... وحكمه الإعراب أصلاً فافهمه
لغته مع عشرة ثمانية ... سم سمات سمة والباقيه

(1) وهي المنظومة التي عثرنا إليها أخيراً ضمن شرح حفيده أحمد بن عبد العال لها ـ حسبما تقدم في ترجمته.

هي سماء وكذا اسم وسما وكلها مثلثات فاعلما
أقسامه ثلاثة تقرر ظاهر مبهم كذاك مضمر

أبحاث الفعل

للفعل حدّ، وكذا علامه والاشتقاق الحكم ردّ أقسامه
فتلك خمسة يحده الحدث نحو القيام والقعود والعبث
وفي اصطلاح كلمة دلت على معنى به اقتران وقت حصلا
سمه بتا التأنيث والسين وقد وسوف نحو سوف يأتي قد ورد
من فعل يشتق والبناء حكم له في الأصل نحو جاؤوا
أقسامه ثلاثة ماضٍ كذا مضارع يليه أمر كخذا

أبحاث الحرف

للحرف حدّ وعلامة وزد له اشتقاقاً مع حكم يطرد
كذاك أقسام فهي خمسة فمن يحوزها يفوق خمسة
فحده إن رمته هو الطرف كطرف الحصير فزت بالشرف
وفي اصطلاح كلمة دلت على معنى بغيرها فقط كما ولا
سمه بأن لا يقبل العلامة كأن وهل ولو فكن فهّامه
من التحرف اشتقاقه كما نص على ذلك بعض العلما
أقسامه ثلاثة مختص بالاسم أو بالفعل عنه نصوا
مشترك بينهما كهل يفي بالوعد محبوب وهل هو مسعفي
وحكمه البنا على الدوام والحمد للّه على التمام

الخاتمة

في مرحلة الانحدار الحضاري الرهيب الذي تلبس ـ منذ القرن الثاني عشر الهجري ـ الثامن عشر الميلادي ـ بالعالم العربي والإسلامي وأوجد فيه نتيجة خموله وإفلاسه أعراض القابلية للاستعمار، برز في تلك الحقبة أعلام مصلحون، وعلماء مخلصون، عملوا في أرجائه الوسيعة الممتدة في المشارق والمغارب على إيقاظ الأمة الإسلامية من سباتها، وعلى تحريرها من قيود غفلتها، وجاهدوا جهاداً مستميتاً في ذلك الظرف التاريخي الحاسم الذي كان يسود فيه الصراع ضدّ الاستعمار والتخلف؛ للأخذ بيدها إلى سبيل حيوي لاحب من شأنه أن يكفل لها اليقظة والنهضة، ويحرك في هيكلها المتكلس السواكن ويعيد إليه دورة الحياة.

وقد كان من أولئك الرجال المصلحين، والأعلام الذين حملوا مشاعل التنبيه والتوجيه طائفة من الرواد حظيت بالدرس والتعريف، وبذيوع الذكر والشهرة في كتابات الباحثين وبين الناس أجمعين، نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ طاهر الجزائري والشيخ محمد اطفيش والفيلسوف محمد إقبال والشيخ أحمد بن الخوجة والشيخ سالم أبو حاجب والشيخ أبا شعيب الدوكالي والشيخ محمد حسين والشيخ رحمة الله الدهلوي والشيخ زيني دحلان وإضرابهم ممن جلّت

أبعاد جهادهم وأعمالهم الأقلام، وأحاطت بشيء غير قليل من آثارهم وأفكارهم الأفهام. ومن أعلام الإصلاح طائفة أخرى مناضلة مجاهدة، عملت هي الأخرى ما عملته تلك الشخصيات الرائدة، وساهمت في ذلك المعترك مساهمتها المحمودة؛ إلاّ أنها بقيت ـ لأسباب متعددة ـ مجهولة العالم، مطموسة الآثار لا يعلم العامة بل الخاصة من أمرها شيئاً بالرغم من أنها لا تقلّ جهاداً ومفاداة عن الطائفة الأولى، ولله در المقري في قولته:

سبحان من قسم الحظوظ   فلا عتاب ولا ملامه

ونحن لا نستنكر على المشهورين شهرتهم؛ ولا ننتقد أصحاب الأقلام فيما نهضوا به من واجب التعريف بأقدارهم التي أكبرها التاريخ، وعنت لها وجوه المؤرخين المنصفين، وسطرت ريادتها في صفحات مفاخر الإنسانية التي ترعى لهم العهد ما بقيت؛ إنما تدعو إلى وجوب رعاية هذه الفضيلة مع عظماء آخرين أصلحوا الحياة والناس، وحملوا راية الإصلاح، ورسالة الهداية في شعوبهم، ثم طواهم النسيان، وحاق بكفاحهم الجحود أو كاد.

وقد حاولت هذه الدراسة المتواضعة إماطة اللثام ـ ضمن الجهود العاملة على التعريف بالإعلام المغمورين ـ عن شخصية مصلحة مؤثرة من تلك الشخصيات التاريخية التي بذلت الجهد ـ في تجرد وصمت ـ لإنقاذ واقع العالم العربي والإسلامي المتردي في مراغة الضعف إبان القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، ووقفت وقوف الأبطال البواسل الذين اصفطتهم المقادير لتنبيه الغافلين، وإرشاد الضالين عن سنن الله في الكون؛ وللتصدي لمكائد المستعمرين وأحقادهم، والعودة بواقع المسلمين إلى سالف مجدهم، هذا الحضور الفعال هو وحده الذي دعا إلى البحث عن أخبار العلامة الليبي المصلح الشيخ محمد كامل بن مصطفى (1828م/ 1897م) وأثاره، وإلى الكشف عن طبيعة حركته بين طبائع الحركات الإصلاحية في ذلك الظرف التاريخي.

وقد حظيت هذه الشخصية ـ كما قدمنا ـ ببعض التعريف الوجيز من بعض

الأساتذة الليبيين وغيرهم في مقالات أو أنهر قصيرة سريعة، بقيت معها هذه الشخصية مجهولة المعالم، مطموسة الجهود؛ لا يكاد يتبين لها أثر بين آثار رواد الإصلاح، أو يلحظ لها دور محدد جلي في المحيط المحلي أو الخارجي.

والعجب العاجب، أن جهل الناس بالعلامة المصلح محمد كامل الذي وجّه أعماله للرقي ببلاده ليبيا، باعتبارها حلقة مهمة من حلقات الوطن الإسلامي الكبير، غير مقصور على غير الليبيين ممن نلتمس لهم الأعذار؛ بل يتجاوزهم إلى أهل ليبيا ومثقفيها الذين ظهرت فيهم حركته، وناضلت في ديارهم مواقفه وكلمته وأعماله المشرفة، والتي لم تنل على الرغم من مرور الزمان إلا قليلاً من الإشادة؛ ومن الحق أن نقول إن من أبرز علائم الإنصاف لهذا المصلح أن ننظر إلى جهاده الطويل الذي تجاوز نصف قرن على أنه كان مدرسة إصلاحية كاملية؛ فقد استطاع بفضل عصاميته ورعاية شيوخه في المشرق والمغرب أن يكوِّن نفسه تكويناً علمياً وثقافياً ممتازاً، كما استطاع أن يرفد هذا التكوين وروافد أغنت تصوره واتجاهه فيما ناله من إجازات علمية مختلفة من جلّة الشيوخ في مصر والحجاز وتونس وليبيا وغيرها، وفيما ربطه من علائق وارتسامات استفادها من رحلاته العلمية والتعبدية التي ألمحنا إليها، وقد كان من نتاج حصيلة تلك الروافد ما سمح له أن يرسي دعائم ما أسميناه المدرسة الكاملية في الوجهة الإصلاحية التي برز بها في مجالات التعليم والتوجيه والفتيا والقضاء وفي المجال السياسي أيضاً، وفيما أسفرت عنه جهوده في مسح رقعة واسعة من ظلام الجهل والتخلف، وإعداد طوائف كبيرة من التلاميذ والمريدين، ومن الخلف الذين ترسموا منهاج مدرسته.

وأحسب أن البحث في صفحاته السالفة قد تكفّل بالمحاولة الجادّة لاستكشاف المجهول، وبالعمل الدؤوب لإبراز مظاهر التأثير التي نهض بها هذا المصلح أو المدرسة الكاملية في المحيط الفكري في ليبيا وما صاقبه من محيطات، وسار بقدر ما أتيح لكاتبه من مصادر ومظان ووقت، ضارباً في مجاهل واسعة، استعان على إجلائها بالإضاءات القليلة الموجودة في بعض

التآليف والمقالات، والوثائق والمخطوطات، وبما توفر له من سماع وروايات، ومعولاً في بعض المواطن على اعتماد الفروض والتصورات، المستندة على ما هدى إليه الدرس من الحقائق والاستنتاجات.

والبحث في مجموعه إظهار لجهود هذا الرائد خلال القرن الماضي، وبيان لمسار إصلاحه، وما قام به، من توجيه في الحياة العامة، وإبراز لأشكال البيئات التي تقلب فيها، واصطبغ بها، وكشف أمين لتقدير المؤلف لمن أحسن لدينه ووطنه، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[1].

ولد مترجمنا ـ كما حققنا ـ في أواخر العهد القره مالّلي (1244/ 1828)، وشبَّ في أوائل العهد العثماني الثاني، وقد كان ذلك العهد عهداً متوتراً غير قارّ، انعكس مباشرة على حياته وعلى نشأته وتحصيله العلمي، مما أدّى بأسرته إلى التفكير في إرساله إلى حاضرة من الحواضر الإسلامية المستقرة، فرحل عام (1263هـ/ 1846) إلى مصر للتحصيل حيث تفتح على وسط نشط متحرك استفاد منه بعض علومه وتكوينه الثقافي، وفي الفصل الأول والثاني عرض لما استقاه من معارف، ومحاولة لإزالة الإظلام الذي كان يحيط بهذه النشأة وبالتلقي التعليمي، وبشيوخه الذين كان لهم أثر واضح في تكوين ملكاته وتوجّهاته؛ وذكر لإجازاته العلمية وسنده العلمي الذي شهد له به أولئك الشيوخ، وقد كان هذا الفصل المتّصل بالإجازات والفصل الأول الممهّد الذي أسميناه الحياة العامة ضرورين ولازمين للتمهيد لبيان إصلاحه وطرائقه في العمل.

على أن القرن الذي عاش فيه المترجم ـ كان كما أسلفنا ـ عصر صراع حضاري بين الشرق والغرب وقد ظهرت فيه حركات إصلاحية مختلفة، وزعامات دينية ووطنية، وغير خاف أن تلك الزعامات والحركات قد تباينت تبعاً لثقافاتها وميولها وقدراتها من جهة، وللمحيطات وللبيئات التي وظفت فيها جهودها من جهة أخرى، وقد أظهرت في الحديث عن وجهته الإصلاحية اقتران

(1) سورة الرحمن، الآية: 60.

جهوده بجهود بعض قادة البناء من أنداده وفي زمنه من أمثال الشيخ أحمد بن الخوجة شيخ الإسلام في تونس، ومحمد المهدي العباسي شيخ الأزهر في مصر والشيخ محمد اطفيش في الجزائر، والشيخ الطاهر الجزائري في بلاد الشام والشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وغيرهم. وقد أبطلت الزعم الواهم بأنه كان تلميذاً لهذين الشيخين وهو الرأي الذي يرتئيه الدكتور محمد الصادق عفيفي ومن لفَّ لفَّه، وأكدت أن منهجه الإصلاحي يتّفق مع بعض المصلحين في الشعور بالحالة البائسة التي آل إليها واقع المسلمين الأليم، الذي عمل على الرقي به من خلال المجالات التي أهّلته إمكانياته للعمل فيها كالسياسة والتدرس والفتيا والقضاء فقد اتخذ ـ في الوجهة السياسية ـ السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة العثمانية رمزاً، أوجب الحفاظ عليه والعمل على مساندته في مواجهته الاستعمار الصليبي الغربي، الذي كان يتربص الدوائر بالجامعة الإسلامية والرابطة العثمانية.

ولا جدال في أن البلاد العربية والإسلامية كانت تمر في ذلك القرن الحافل بالإفلاس وبالتيارات السياسية المتضاربة بمنعرج خطير ترك طوابعه بارزة على مختلف وجوه الحياة العامة، كما أن ليبيا التي كانت تسمى آنذاك ولاية طرابلس الغرب وطن المترجم له كانت تعاني هي الأخرى ضروباً من التخلف والصراع، مما جعلها هدفاً للطامعين من المستعمرين؛ وقد كان على هذا الرائد المصلح ـ بعد عودته إلى بلاده من مصر ـ أن يسهم في التأثير على حياة مجتمعه في البنى الفوقية والبنى التحتية، ليصلح ما استطاع المعوج في الحاكمين والمحكومين وينهض بالأعباء في النشاط التعليمي والثقافي، وقد أظهر الفصل المعنون بـ «عودته إلى بلاده ووجهته الإصلاحية» كيف أنقذ محمد كامل مع بعض معاصريه ليبيا من الجهل الذي أناخ عليها بكلكله، وأوردها مع المصلحين موارد عذبة كان يفيض بها في دروسه ـ العامة والخاصة ـ وكوّن التلاميذ الذين كان منهم ـ كما أوضحنا ـ السياسي الحاذق والعالم الفهم، والمثقّف الأديب والمؤلف المبدع، على نحو ما فصّلنا فيه القول عند استعراضنا ذكر تلاميذه، الذي دلّت القرائن على أخذهم عنه واستمدادهم منه.

وقد اقتضى التسليم بعظم دوره وتأثيره في الحركة الفكرية في ليبيا البحث في مقومات شخصيته، التي استطاع أن يلعب بها دور الإيجابي، فجاء الفصل المعنون بـ «شخصيته» باحثاً عن المزايا الخلقية والخلقية، وعن المكونات العقلية والنفسية والروحية، التي أفسحت له في إبراز أعماله الحيوية في أوساط الراعي والرعية.

ولا نكران في أن رحلات العلماء، وأسفار طلبة العلم في القديم والحديث تُعد وافداً أصيلاً من روافد الثقافة، ومظهراً واضحاً من مظاهر الدلالة على مكانة من يقوم بها، والتدليل على قيمته العلمية، ومكانته الإصلاحية وقد التمست في الفصل المتصل بهذا الغرض حصر ما قام به محمد كامل أو المدرسة الكاملية من رحلات إلى مصر وتركيا والحجاز وتونس مع ضبط تواريخها، والحديث عما جرى له فيها، وما لقيه من أحداث وشخصيات وبيان ما انعكس عليه منها، وقد كان هذا الفصل في الطبعة السابقة مختصراً، ولكنه جاء في هذه الطبعة مفصلاً يميل إلى البسط والإفاضة؛ وذلك بفضل الحقائق التي أمدّنا بها المجموع المخطوط، الذي كتبه الشيخ بقلمه، وعرض في جانب منه لرحلاته المشرقية والمغربية، وتحدثت في الفصل الأول من الباب الثالث عن أخريات حياته وما قام به خلالها من أعمال علمية وسياسية وما عرض له في أثنائها من هزات؛ فأسلمنا الحديث فيه إلى أن حياته في البدء والختام عبء محمول وجهاد موصول.

ولا غنى للباحث في مقام الإبانة والكشف عن حقيقة هذا العالم المصلح ـ عن الدرس لآثاره وتآليفه المتبقية، وتسجيل انطباعاته عنها وعن نتاجه القلمي، وبيان قيمته في المكتبة العربية والإسلامية، وقد ذكر بعض الباحثين أن له تآليف كثيرة، وأعمالاً وفيرة، فبذلت جهداً غير قليل طمعاً في الوقوف عليها، والتعريف فيها، والإفادة مما جاء فيها، ولكنني لم أحظ بشيء من ذلك؛ فاقتصرت في الفصل الثاني من الباب الثالث على الإشارة والإيماء على أسماء تلك الأعمال الضائعة التائهة في المجاهل القريبة أو البعيدة، وعرفت بالموجود

منها سواءً أكان مخطوطاً أم مطبوعاً فتحدثت في كلمات قصار دالة عن كتابه الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية وعن مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل، وعن كتابه فتح الودود في حلّ نظم المقصود، ثم كناشة الذي أطلق عليه اسم المجموع وهو ما انتهى أخيراً إلى شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس، وختمت الحديث عن آثاره القلمية بلمحة نقدية لأشعاره بل لمنظوماته القليلة التي عثرنا عليها في المجموع وغيره التي كانت تُعدُّ بمقياس ذلك العصر وذوقه مندرجة في عداد الإبداع الشعري، وقد سقنا بعد أحكامنا النقدية عليها نماذج أخرى من نتفه ومقطعاته وقصائده فأثبتناها لتتأكد حقيقة الأحكام النقدية التي ذهبنا إليها في منظومة؛ ولتتوفر من ناحية أخرى أصول جديدة من النظم قد تعين الباحثين والنقدة الذين يشكون من ندرة النصوص في عصرها على إفادة أحكامهم النقدية منها.

الكشافات والفهارس

1 ـ الشواهد

أ ـ القرآن الكريم

رقم متسلسل	السورة	رقمها	الآية	الصفحة
1	البقرة	2	156	146
2	البقرة	2	269	79
3	آل عمران	3	31	151
4	النساء	4	131	67
5	التوبة	9	29	161 ـ 181
7	يس	36	40	206
8	فصلت	41	34 ـ 35	162
9	الشورى	42	23	151 ـ 160
10	الذاريات	51	56	150
11	الرحمن	55	60	262
12	البينة	98	5	79

ب ـ الحديث النبوي الشريف

الرقم المتسلسل	الحديث الشريف	الصفحة
1	«اللهم آت منفقا خلفاً، وممسكاً تلفاً»	227
2	«إنما الأعمال بالنيات» صحيح البخاري، وصحيح مسلم	79
3	«إنما يرحم الله من عباده الرحماء» صحيح البخاري	183
4	«كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمّى» صحيح البخاري، وصحيح مسلم	91
5	«كما تكونوا يُولّى عليكم»	89
6	«من لا يَرحم لا يُرحم» صحيح البخاري	183
7	«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» صحيح البخاري، وصحيح مسلم	67

جـ ـ القوافي والأمثال

الرقم المتسلسل	القافية	عدد الأبيات	قائلها	الصفحة
1	اصطلاء	3	محمد كامل بن مصطفى	55
2	شيء	16	محمد كامل بن مصطفى	
3	الهناء	11	محمد كامل بن مصطفى	103
4	بارتقائه	4	علي الجويني	216
5	مائه	1		250
6	شفا	4	عبد الرحمن البوصيري	222
7	يحيى	5	محمد كامل بن مصطفى	251
8	لا	2	محمد كامل بن مصطفى	253
9	المحيا	2	محمد كامل بن مصطفى	
10	مصطفى	6	محمد كامل بن مصطفى	257
11	لب	6	محمد كامل بن مصطفى	126
12	لليبيا	4	سالم الورشفاني	128
13	ربي	5	محمد كامل بن مصطفى	171
14	قلبي	5	أحمد بن الخوجة	173
15	ربي	5	محمد كامل بن مصطفى	249

الصفحة	قائلها	عدد الأبيات	القافية	الرقم المتسلسل
62	محمد كامل بن مصطفى	2	شريفة	16
102	محمد كامل بن مصطفى	6	والدراية	17
152	محمد كامل بن مصطفى	2	عدة	18
173	محمد كامل بن مصطفى	مخمس	هنية	19
252	محمد كامل بن مصطفى	3	علة	20
254	محمد كامل بن مصطفى	2	قلت	21
100	محمد كامل بن مصطفى	4	الأرواح	22
77	محمد المختار شويخة	2	محدود	23
175	محمد السنوسي	مخمس	يد	24
207	محمد المختار شويخة	1	محدود	25
221	محمد الزمرلي	7	ناد	26
250	محمد كامل بن مصطفى	3	المسدد	27
252	محمد كامل بن مصطفى	3	محمد	28
71	عبد الهادي الأبياري	17	الأقطار	29
100	محمد كامل بن مصطفى	4	واشكر	30
112		1	ينتقر	31
133	قدور أفندي	10	ظهرا	32
206		1	أقمار	33
240	بدر الدين العينتابي	2	والقدر	34
241		2	جواهره	35
248	محمد كامل بن مصطفى	3	أشعاري	36
251	محمد كامل بن مصطفى	5	صدورا	37
254	محمد كامل بن مصطفى	2	بالبدر	38

الرقم المتسلسل	القافية	عدد الأبيات	قائلها	الصفحة
39	زواره	7	محمد كامل مصطفى	213
40	خيرا	4	محمد كامل بن مصطفى	256
41	أجازه	4	محمد كامل بن مصطفى	62 ـ 66
42	أساس	8	محمد كامل بن مصطفى	70
43	الآسي	7	أحمد عبد الرحيم الطهطاوي	70
44	الناس	2	محمد كامل بن مصطفى	126
45	القاسي	4	محمد كامل بن مصطفى	249
46	جناس	10	محمد كامل بن مصطفى	252
47	للوسع	3	سالم الورشفاني	128 ـ 230
48	ترتفع	7	محمد كامل بن مصطفى	212
49	للوسع	3	سالم الورشفاني	
50	وقف	2	محمد كامل بن مصطفى	153
51	الفرزدق	2	محمد كامل بن مصطفى	
52	أتاك	5	محمد كامل بن مصطفى	107
53	إدراك	2	محمد كامل بن مصطفى	255
54	فاضل	2		13
55	الولي	2	محمد كامل بن مصطفى	98
56	الدلائل	4	محمد كامل بن مصطفى	255
57	بالمال	2	محمد كامل بن مصطفى	255
58	سبيل	3	محمد كامل بن مصطفى	257
59	عالما	2	محمد كامل بن مصطفى	255
60	ولا ملامه	1	أحمد المقري	260
61	الاجسام	1		220

الرقم المتسلسل	القافية	عدد الأبيات	قائلها	الصفحة
62	المسلمون	2	محمد كامل بن مصطفى	88
63	قيعان	8	محمد كامل بن مصطفى	110
64	فتمكنا	1	•	129
65	الثاني	1	أحمد السقاط	177
66	بالأماني	10	محمد الطاهر الزاوي	215
67	والزين	2	أحمد بن حجر	240
68	الغرياني	7	محمد كامل بن مصطفى	253
69	تشقني	2	محمد كامل بن مصطفى	256
70	لا يضاهى	7	محمد كامل بن مصطفى	152
71	عليه	2	أبو بكر الصديق	179
72	منه	6	محمد كامل بن مصطفى	256
73	شي	16	محمد كامل مصطفى	97

د ـ الكتب والدوريات

الأبريز: 239
الأشموني: 239
الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث: 118، 123.
أجوبة الداودي: 226.
أجوبة سحنون: 226.
أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره: 27، 127، 198، 199، 201.
أحمد الفقيه حسن (الحفيد) حياته وأدبه: 12.
أدب الدول المتتابعة: 129.
أدب الرحلات: 238.
أزهار الرياض في أخبار عياض: 8.
إظهار الحق للدهلوي: 239.
الأعلام: 11، 41، 57، 63.
أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث: 35، 39، 62، 63.
أعلام ليبيا: 42، 45، 117، 123، 131، 135، 137، 138، 139، 141، 154، 216.
أعلام من طرابلس: 10، 42، 53، 141، 155، 158.
أعيان القرن الثالث عشر: 49، 58.
أقرب المسالك: 50.
اكتشاف التقدم الأوروبي: 34.
ألف ليلة وليلة: 239.
أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 76، 91.
أنيس الجليس: 168.
بحوث ودراسات في التاريخ الليبي: 25، 197.
برجيس باريس: 168.

البرهان: 235.
تاريخ أحمد زيني دحلان: 239.
تاريخ الأقطار العربية الحديثة: 23، 25، 48.
تاريخ الأمة العربية «عصر الانبعاث»: 22.
تاريخ الشرق الأوسط الحديث: 24، 26.
تاريخ الصحافة العربية: 36، 168.
تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور: 42.
تاريخ الواقدي: 239.
التحرير في أصول الفقه: 239.
تراجم الأعلام: 35، 39، 170، 206.
ترويح البال في القلم والمال: 168.
تطور التعليم في ليبيا: 36.
تحفة الملوك والسلاطين: 50، 239.
تفسير ابن التمجيد: 235.
تفسير البيضاوي: 232.
تفسير الجمل: 235.
تفسير الرازي: 235، 239.
تفسير القرطبي: 235.
تفسير القنوي: 235.
التفسير ورجاله: 232.
تنقيح الحامدية: 228.
التيار المشرق في بوار المشرق: 168.
ثلاثة من أعلام الحرية: 49، 58، 216.
الجاسوس على القاموس: 167.
جريدة برجيس باريس: 168.
جريدة الترقى: 114، 124، 125، 134، 140، 141، 155، 218، 219.
جريدة العلم: 108، 116.
جريد اللواء الطرابلسي: 139.
جريدة المرصاد: 124.
جريدة الوقائع: 57.
جلاء الكرب عن طرابلس الغرب: 7 ـ 40، 92، 114.
الجواهر الزكية في حديث خير البرية: 131.
حاشية ابن عابدين: 239.
حاشية الخضري على ابن عقيل: 239.
حاشية السجاعي على ابن عقيل: 239.
حاشية العدوى على شرح مسلم: 239.
حاشية علي ابن عاشر: 138.
حاشية على تاودي العاصمية: 138.
حاشية على شرح الماكودي: 239.
الحركة الأدبية والفكرية في تونس: 170.
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: 239.
حكاية مدينة: 42.

حواشي الشيخ خالد: 239
الحوليات التونسية: 25.
الحوليات الليبية: 27، 30، 42، 197، 198، 201.
الحياة الأدبية في ليبيا: 11، 118، 119.
الحيوان: 239.
الدر المختار: 50، 228.
الدردير الكبير: 50، 51، 239.
الدلائل: 61.
دليل المؤلفين العرب الليبيين: 9، 11، 54، 58، 121، 122، 123، 126، 131، 141.
ديوان أحمد الشارف: 123.
ديوان مصطفى بن زكري: 128.
ربيع الأبرار: 239.
رسالة الدردير في البيان: 239.
الرسالة العضدية: 239.
رضاب المرتشف: 183.
زعماء الإصلاح: 35، 58، 85، 86، 217.
الساق على الساق فيما هو الفادياق: 167.
سر الليال في القلب والإبدال: 167.
السعد للتفتزاني: 116، 239.
سكان ليبيا: 46.
السلسبيل: 76. سليمان الباروني (آثاره): 12، 36.
سليمان الباروني (أخباره): 12، 36.
سنن أبي داود: 239.
السنوسية دين ودولة: 36، 58.
شذور الذهب: 116.
شرح ابن الوردي: 239.
شرح أقرب المسالك: 50، 239.
شرح البخاري: 90.
شرح الحكم: 138.
شرح الدر المختار: 50، 239.
شرح العزيزي على الجامع الصغير: 239.
شرح العيني: 50.
شرح الألفية: 50.
شرح مجمع البحرين: 239.
شرح المؤلف: 124، 239.
شرح المواقف: 239.
الشرق الأوسط في التاريخ الحديث: 22، 23، 24، 26، 48.
الشعر والشعراء في ليبيا: 11، 85، 118، 128، 136.
شفاء الصادي المجرب: 137.
الشفا في التعريف بحقوق المصطفى: 8، 76.

صحاح الجوهري: 235.
صحافة ليبيا في نصف قرن: 36، 40، 132، 134.
صحيح البخاري: 67، 77، 79، 183، 208.
صحيح مسلم: 67، 79.
الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث: 34.
الصراع التركي الفرنسي: 198، 199، 201، 202.
العاصمية: 138.
عجائب الآثار في التراجم والأخبار: 39، 40، 150، 165، 172.
العرب والعثمانيون: 22، 24، 25، 26، 32، 197.
العقود الدرية في تنقيح الفتاوي الحامدية: 239.
غنية الطالب ومنية الراغب: 167.
فاكهة اللب المصون: 131.
فتاوي ابن تيمية: 226.
الفتاوي الأنقروية: 40، 166، 228.
الفتاوي الرحيمية: 228.
الفتاوي الخيرية: 239.
فتاوي عليش: 186.
الفتاوي الكاملية في الحوادث الطرابلسية: 26، 39، 40، 42، 44، 45، 46، 50، 51، 52، 53، 55، 57، 60، 61، 76، 84، 89، 108، 128، 158، 159، 160، 161، 162، 171، 185، 204، 216.
الفتاوي المهدية في الوقائع المصرية: 63.
فتح البيان: 239.
فتح الودود في حل نظم المقصود: 57، 58، 59، 84، 91، 95، 243.
الفنون الأدبية وأعلامها: 34، 48.
الفوائد الزينبية: 239.
في الأدب الحديث: 32، 34، 48.
في تاريخ العرب الحديث: 26، 42، 43، 48.
القاموس المحيط: 235.
قصة الأدب في ليبيا العربية: 11.
كشف الظنون: 232.
الكشاف: 235.
الكنز بشرح ملامسكين: 50، 116.
لمحات أدبية عن ليبيا: 40، 111، 116، 121، 122، 124، 130.
ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني: 27، 36، 42، 104، 145.
ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي: 27، 28،

34، 42، 96، 118، 198، 199، 210، 214.
مبتكرات اللآلى والدرر: 131.
ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911: 27، 28، 201.
مجلة البحوث التاريخية: 29، 30، 31، 32، 36، 118، 145، 200.
المجلة التاريخية المغاربية: 36.
مجلة الثقافة العربية: 130.
مجلة الشهيد: 11.
مجلة الضاد: 11.
مجلة الفصول الأربعة: 16.
مجلة ليبيا المصورة: 11، 53، 154، 200، 218.
مجمع الأمثال: 83.
مجمع الدواوين التونسية: 175.
المجموع [الكناش]: 23، 36، 41، 45، 46، 50، 51، 55، 56، 60، 61، 62، 63، 66، 68، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 88، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 105، 107، 109، 112، 119، 129، 132، 133، 146، 147، 160، 169، 171، 172، 173، 176، 177، 178، 4179، 180، 181، 182، 184، 185 ـ 186، 187، 189، 190، 191، 192، 193، 203، 204، 206، 208، 209، 212، 213، 214، 215.
مجموع العبد الذليل على أنواع التنزيل: 40، 163، 214.
محمد عبد الله السني ترجمته وتحقيق ما تبقى من أثاره: 36.
مختصر السعد: 50، 60، 184.
مدرسة الأحياء والتراث: 34، 48، 129.
مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني: 23، 24، 89،
مراقى الفلاح: 50.
مسامرات الظريف بحسن التعريف: 175.
المستطرف في كل فن مستظرف: 239.
المسلك المحمود في معرفة الردود: 159، 160.
المصباح للفيومي: 235.
المصباح في اللغة: 235، 239.
مصطفى بن زكرى في أطوار حياته وملامح أدبه: 12، 141، 142، 169.
المطابع والمطبوعات الليبية: 36.
المعاصرون: 35.
معجم المؤلفين: 58.
معجم المطبوعات الليبية (العربية): 11

المعيار للونشريسي: 51، 226.
معين الحكام على الأحكام: 51، 226.
مغنى اللبيي عن كتب الأعاريب: 51، 182.
الملوى على السمرقندية: 239.
من أعلام المغرب العربي: 12.
المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب: 76، 84، 95، 96، 104، 106، 198، 201.
الموطأ: 239.
المواقف: 239.
الميزان الكبرى: 239.
نزهة التقلين في رياض إمام الحرمين: 131.
نفحات النسرين والريحان: 9، 111
نموذج من الأعمال الخيرية: 127، 131، 140.
نهضة الجزائر المباركة: 35.
نوازل ابن زمنين: 226.
نوازل أبي عبد الله ابن الحاج: 226.
نوازل أبي القاسم البرزلي: 226.
نوازل عيسى بن دينار: 226.
نيل الأماني في توضيح مقدمة القسطلاني: 183.
ورقات مطوية: 136.
وفيات الأعيان: 239.
الوقائع المصرية: 57.
ولاة طرابلس: 27، 96، 106، 199.
ومضات فكر: 237.
اليواقيت: 228.

2 ـ الأعلام

إبراهيم الباجوري: 190.

إبراهيم التوزري: 65، 75، 78.

إبراهيم راضي الشرقاوي: 229.

إبراهيم الرياحي: 207.

إبراهيم سراج الدين المكي المدني: 28 ـ 210، 211.

إبراهيم السقا الشافعي: 62، 63، 162، 178.

إبراهيم محمد التونسي: 78.

إبراهيم مصطفى باكير: 116، 117، 121، 122، 218، . 247.

أبو القاسم العيساوي: 75، 240.

أحمد بن إدريس: 75، 76.

أحمد أمين: 85.

أحمد الباروني: 160.

أحمد البكباك: 122، 125.

أحمد بيري: 97.

أحمد التواتي: 36.

أحمد تيمور: 59.

أحمد الخوجة: 77، 150، 152، 162، 171، 172، 173، 204، 209، 228، 249، 263.

احمد بن حيون المغربي: 230.

أحمد الدردير: 50.

أحمد راسم باشا: 105، 110، 198، 199، 213، 225.

أحمد زيني دحلان: 186، 189، 259.

أحمد ساسي بن شتوان: 9، 102، 252.

أحمد الشارف: 123، 218.

أحمد شقرون: 124.

أحمد شكري الجزائري: 55.

أحمد شوقي: 94.
أحمد الصباغ السكندري: 207.
أحمد الطحطاوي: 50.
أحمد عبد الرحيم الطهطاوي: 50، 57، 68، 70، 71، 162، 178، 179، 224، 243، 249.
أحمد عبد السلام: 124، 219، 240.
أحمد بن عبد العال: 124، 125.
أحمد عزت باشا الأرزنجاني: 84، 95، 110، 242.
أحمد فارس الشدياق: 167، 168، 169.
أحمد الفقيه حسن (الجد): 126، 127، 198، 247.
أحمد بن مبارك: 183.
أحمد بن محمد النعاس: 54، 55.
أحمد بن محمود: 127، 219.
أحمد المقرى: 8.
أحمد النائب الأنصاري: 201، 202، 203، 210، 211.
أحمد الويفاتي: 219.
الأنكشاريون: 22.
أولاد الأعور: 44، 46.
أولاد زميرلو: 44، 46.
بانية الحاج عبد الرحيم: 234، 236.
البشير بن حمزة: 137.
البولاقي: 60.
جمال الدين الأفغاني: 85، 86، 87، 217، 259، 263.
الجنرال حسين: 170.
الجنرال رستم: 170.
حزب الكتلة السياسية: 11، 55.
أبو الحسن الشاذلي: 152.
حسن الطويل: 127.
حسن العدوى: 50، 60، 61، 162، 178.
حسن العطار: 162.
حسن اليوسي: 183.
حسين باشا: 193، 237.
حسين صالح جمل الليل: 75، 191.
ابن حمادى: 240.
حمزة ظافر المدني: 198، 201، 202، 210.
حميدة الزمرلي: 156.
خديجة المصرية: 118.
خليل الرشدي الحنفي: 62.
الخوارج: 159.
خير الدين الزركلي: 42.
خير الدين باشا التونسي: 170.
الرازي: 256.

راسم بن ضو: 127.
رحمة الله الهندي الدهلوي: 191، 259.
رشيد الدحداح: 167، 168.
رفيق العظم: 218.
الزرقاني: 183.
زينب محمد كامل بن مصطفى: 221.
سالم أفندي: 161، 229.
سالم المبروك الورشفاني: 128، 230.
سامح باشا: 238، 239.
سعيد التعاريتي الجربي: 160.
سعيد الشماخي: 160، 241.
سليمان الباروني: 28، 139، 140.
سليم الثالث: 22.
الشاذلية (الطريقة): 152.
الشريف حميد: 28.
الشريف محمد: 28.
الشيبيون: 185، 186.
الشيخ الأمير: 50.
الشيخ الباجوري: 190.
شيخ زاده: 235.
الشيخ خليل: 50.
الشيخ الدسوقي: 50.
أبو شعيب الدوكالي: 259.
الشيخ معاوية: 171.
صالح التبرسقي: 202، 203، 204، 205، 206، 228.
صلاح الدين حسن السوري: 30، 145.
الطاهر أحمد الزاوي: 117، 123، 135، 138، 216.
طاهر الجزائري: 35، 143، 218، 259.
الطاهر النيفر: 206، 207.
الطيب النيفر: 207.
عائشة محمد كامل بن مصطفى: 221.
عباس باشا: 49.
عبد الجليل سيف النصر: 27.
عبد الحفيظ بن ضو: 53.
عبد الحليم محمود: 152.
عبد الحميد خان الثاني: 23، 24، 89، 91، 198، 202، 263.
عبد الحميد الزهراوي: 218.
عبد الدائم الباجقني: 231.
عبد الرحمن البوصيري: 122، 130، 132، 150، 167، 168، 218، 222، 224، 226.
عبد الرحمن سراج: 162، 187، 189.
عبد الرحمن شهبندر: 218.
عبد الرحمن العدولي: 231.
عبد الرحيم أفندي: 220.

عبد السلام أدهم: 201.
عبد السلام الأزمي الفاسي: 183.
عبد السلام سنان: 108، 247.
عبد العزيز الثعالبي: 170.
عبد العزيز خان: 101.
عبد القادر الجيلاني: 152.
عبد القادر الريماوي: 65، 67.
عبد القادر بن محمود: 45.
عبد القادر بن مصطفى: 55.
عبد الله أبو قرين: 131.
عبد الله السني: 36، 76، 152، 233، 235.
عبد الله يحيى الباروني: 36.
عبد الهادي التازي: 16.
عبد الهادي نجا الأبياري: 65، 71، 72، 178، 182.
عبد المجيد خان: 23، 91.
عبد الوهاب الشعراني: 228.
العثمانيون [الدولة العثمانية]: 22، 23، 24، 27، 43، 44، 90، 91.
عقيل محمد البربار: 15.
علي الجويني: 216.
علي الحداد: 237.
علي رضا باشا الجزائري: 96، 102، 104، 105، 110، 239.
علي الصادق حسنين: 244.
علي عياد: 132.
علي الغرياني: 253.
علي الفقيه حسن: 11، 55، 117، 154، 167، 168، 169.
علي قرجي: 240.
علي القرقني: 96، 97، 98.
علي كمالي: 105.
علي كوتري: 40، 163.
علي مصطفى المصراتي: 7، 45، 155، 158، 248.
عمار جحيدر: 138، 142.
عمر العربي الجنزوري: 161.
عمر المسلاتي: 122، 140، 219.
عمرو بن العاص: 183.
عياض (القاضي): 8، 76، 114.
غومة المحمودي: 27.
فارس الخوري: 218.
الفضالي: 60.
فوزي البشتي: 44.
قاسم المحمودي باشا: 97.
قدور أفندي: 132، 133، 134.
القرة مالليون: 32، 33، 42، 43.
القويسني: 59.
كامل أفندي: 212.

الكرغلية: 28، 29، 47.
الكريتيون: 28.
ليزا أندرسون: 29.
مؤتمر غريان: 139.
مادي حسان: 156، 157.
المالطيون: 31.
مالك ابن أنس: 50.
المالكية (المذهب): 50.
محب الدين الخطيب: 218.
محمد أحمد المهدي: 27 ـ 35.
محمد الأسطى: 136.
محمد الأشموني: 50، 59، 73، 162، 178، 184.
محمد أفندي: 229، 230، 256.
محمد إقبال: 259.
محمد الأمير الكبير: 190.
محمد يوسف أطفيش: 143، 259، 263.
محمد البشير السقاط: 177.
محمد البوصيري: 132، 134، 219، 240.
محمد بيرم الخامس: 170، 208، 209، 237.
محمد التركي: 132.
محمد حالت باشا: 105، 193.
محمد حبيش: 190، 191.
محمد حسين: 190، 259.
محلو الحلو: 230.
محمد الخازمي: 198.
محمد رشيد باشا: 105.
محمد رفيق أفندي: 251.
محمد الريفي المغربي: 54.
محمد الزمرلي: 134، 221.
محمد سعيد المسعودي: 135، 136.
محمد السنوسي: 170، 175، 176، 177.
محمد شاكر: 170.
محمد الصادق عفيفي: 85، 86، 204، 263.
محمد الضاوي: 136.
محمد الطاهر البشتي: 137، 214.
محمد الطاهر الجراري: 16.
محمد الطاهر الزاوي: 214.
محمد الطاهر ابن عاشور: 170.
محمد الطاهر الغدامسي: 75، 76.
محمد بن عاشور: 39.
محمد العالم الكراتي: 8، 137، 218، 224.
محمد العباسي المهدي: 62، 86، 227، 263.

محمد عبد الله السني: 36.
محمد عبد الكريم الوافي: 15.
محمد عبده: 49، 58، 86، 87، 259، 263.
محمد بن عبد الوهاب: 27 ـ 34.
محمد عثمان الحشائشي: 7، 8، 9، 39، 218.
محمد علي باشا: 24، 44، 48.
محمد بن علي السنوسي: 8، 35، 36، 58، 75، 76، 153، 233، 234.
محمد علي بن موسى: 8، 54، 138، 240.
محمد عليش: 50، 58، 59، 162، 178، 180، 181، 208، 226، 227، 243.
محمد عياض: 8.
محمد فاضل الشنقيطي: 9، 138.
محمد الفاضل ابن عاشور: 171، 232.
محمد فرحات الزاوي: 138، 139.
محمد الفقيه حسن: 139.
محمد قاجة: 9، 54، 160.
محمد كرد علي: 218.
محمد متيطن الغدامسي: 132، 134.
محمد المختار شويخة: 202، 203، 206، 207.
محمد المهدي بن سودة: 56، 61، 62، 65، 66، 150.
محمد نظيف باشا: 105.
محمود باشا: 250.
محمود الثاني: 22.
محمود الخازمي: 9، 161.
محمود بن الخوجة: 202، 203.
محمود بن سليمان القبطان: 183.
محمود الشكري ابن إسماعيل: 74، 191، 192.
محمود عمر المسلاتي: 140.
محمود نديم باشا: 96، 99، 100، 101، 102، 110.
مختار الشكشوكي: 122، 140، 218.
مراد الخامس: 23، 88.
المرصفي: 60.
المسلمون: 22، 34.
مصطفى باشا: 105.
مصطفى باكير: 111، 200، 213.
مصطفى البولاقي: 162.
مصطفى الخازمي: 141، 218، 240.
مصطفى بن زكري: 128، 141، 218، 247.
مصطفى عاشر: 147.
مصطفى عاصم باشا: 239.
مصطفى عبد الله بعيو: 138.

مصطفى بن محمود: 52.
مصطفى نجيب باشا: 43.
مصطفى الهوني: 141، 142، 218.
منيذر اليماني: 221.
المهدية (الحركة): 27.
نامق باشا: 106، 110، 119، 219.
النصارى: 22، 52.
نفيسة القريتلي: 53.
يوسف شقليلة: 154.
يوسف عز الدين طاباق: 122.
يحيى: 251.
اليهود: 23، 28، 31.

3 ـ البلدان والمواضع

الآستانة: 28، 35، 144، 167، 168، 214.

استنبول: 88، 99، 101، 108، 169، 212، 214.

الاسكندرية: 25، 49، 178.

آسيا الصغرى: 24، 28.

أفريقيا: 28.

أوربا: 23، 26، 28، 33، 91، 94، 143، 169، 199.

إيطاليا: 92، 108، 136، 139، 156، 202، 210.

باب البحر: 217.

برقة: 123، 214.

برنو: 27.

بنغازي: 100.

بيروت: 147.

تاورغاء: 123.

تركيا: 47، 264.

تونس: 7، 8، 35، 39، 75، 77، 78، 79، 105، 106، 138، 144، 152، 156، 162، 165، 169، 170، 171، 172، 173، 176، 177، 197، 198، 201، 202، 204، 205، 206، 208، 209، 228، 263، 264.

جامع أحمد باشا: 45، 112، 116، 122، 127، 139، 144.

الجامع الأزهر: 34، 42، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 53، 57، 58، 59، 60، 62، 63، 65، 66، 67، 70، 83، 84، 117، 120، 127، 157، 167، 180، 182، 184، 193، 253، 254، 263.

جامع درغوت باشا: 127.

جامع الزيتونة: 7، 34، 170، 173، 175، 207.
جامع شائب العين: 8، 99، 112، 122، 144.
جامع صاحب الطابع: 203.
جامع الصقع: 137.
جامع صوان: 127.
جامع عثمان باشا: 144، 217.
جامع قرجى: 8، 99، 112، 114، 122، 144.
جامع القرويين: 35.
جامع المغاربة: 45.
جامع ميزران: 137.
جامع الناقة: 45، 144.
جامعة علبكرة: 34.
جامعة الفاتح: 16.
جبال النوبة: 27.
جبل زغوان: 173.
الجبل الغربي: 27، 36، 107، 137، 158.
الجزائر: 24، 26، 106، 143، 263.
جنزور: 132.
الحجاز: 27، 66، 71، 74، 144، 165.
الحرمان الشريفان: 61، 105، 127، 177.
الحلفاويين: 203.
الخلدونية: 170.
الخمس: 116.
الدار العربية للكتاب: 12.
دار المخطوطات التاريخية: 118، 210.
روسيا: 24.
زاوية الأثبات: 44، 45.
الزاوية الغربية: 42، 43، 44، 46، 109، 138.
زاوية ابن شعيب: 44، 45.
زليتن: 123.
زواره: 212.
ساحل المنشية: 135.
سرت: 123.
السودان: 27، 35.
سوريا: 132.
سوق الترك: 156.
الشام: 24، 27، 35، 143، 147، 169، 218، 263.
الشرق الإسلامي: 26، 27، 166.
شمال أفريقيا: 21، 24.
طرابلس الغرب: 7، 8، 9، 10، 11، 12، 24، 25، 26، 27، 29، 30،

31، 32، 33، 34، 35، 36، 37،
39، 40، 41، 42، 43، 45، 46،
47، 53، 54، 55، 56، 58، 60،
73، 77، 88، 90، 94، 95، 96،
99، 102، 103، 104، 110، 111،
113، 119، 121، 122، 124، 126،
131، 132، 135، 136، 137، 140،
141، 144، 147، 150، 153، 155،
159، 160، 167، 169، 172، 179،
183، 184، 189، 198، 201، 208،
209، 212، 214، 217، 219، 229،
230، 232، 235، 244، 264.

العتبة الخضراء: 217.

عشقوت: 167.

غدامس: 106، 107، 116، 244.

غريان: 116، 139.

فرنسا: 25، 26، 48، 92، 108، 139،
169، 170، 197، 205، 210، 213.

فزان: 28، 36.

القاريوللي: 123.

القاهرة: 47، 53، 57، 61، 167،
169، 178، 217.

الحجاز: 185، 188، 193، 194،
264.

الحرمان الشريفان: 186، 187، 188،
190.

القيروان: 35.

كردفان: 27.

كلية اللغات: 16.

لبنان: 176.

ليبيا: 7، 10، 12، 15، 16، 21و 22،
23، 24، 27، 29، 30، 31، 32،
35، 36، 37، 39، 40، 43، 54،
84، 85، 87، 92، 95، 106، 119،
120، 128، 131، 133، 136، 142،
149، 165، 176، 197، 198، 210،
223، 242، 261، 263.

مجلس إدارة الولاية: 124، 144، 212.

مجلس المبعوثين: 246.

مجلس المعارف: 119، 219.

محلة المجد: 16.

مدرسة باردو: 170.

مدرسة عثمان باشا: 45، 116.

مدرسة عين ورقة: 167.

مركز دراسة جهاد الليبيين: 15، 16،
127، 135، 166، 237، 265.

مسجد السيدة زينب: 49.

المسجد الأنور: 191.

مسجد بني مسلم: 123.

مسلاتة: 123، 138.

مصر: 24، 26، 27، 33، 35، 44،

46، 47، 49، 50، 53، 54، 55، 64، 65، 71، 83، 85، 86، 99، 105، 106، 117، 119، 132، 144، 156، 162، 165، 167، 177، 179، 182، 185، 193، 225، 227، 228، 240، 244، 253، 262، 264.

مصراته: 36.

معركة نافارين: 22.

معهد أحمد باشا: 127، 139، 144.

المعهد الجامعي للبحث العلمي: 15.

مقهى ماتيتا: 217.

مكة: 74، 162، 188، 189، 192، 193.

مكتبة الأوقاف: 231.

المنشأة العامة للنشر: 12.

الهند: 127.

هون: 141.

اليونان: 24.

4 ـ المصادر والمراجع

أ ـ الكتب

1 ـ **القرآن الكريم**:

2 ـ **الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي**: د. محمد الصادق عفيفي ـ بيروت ـ دار الكشاف للنشر والطباعة ط أ.

3 ـ **أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه**: محمد مسعود جبران ـ ليبيا ـ مركز دراسة جهاد الليبيين ـ ط1 ـ 1988.

4 ـ **أدب الرحلات**: د. حسين محمد فهيم ـ الكويت ـ المجلس الوطني للثقافة ـ ط1 ـ 1989.

5 ـ **الأعلام**: خير الدين الزركلي ـ بيروت ـ لامط ـ ط3.

6 ـ **أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث**: أحمد تيمور، مصر ـ لجنة المؤلفات التيمورية ـ ط1 ـ 1967.

7 ـ **أعلام ليبيا**: الطاهر أحمد الزاوي ـ القاهرة ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ ط1 ـ 1381.

8 ـ **أعلام من طرابلس**: علي مصطفى المصراتي ـ ليبيا ـ دار مكتبة الفكر ـ ط2.

9 ـ **أعيان القرن الثالث عشر**: خليل مردوم ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ط2 ـ 1977.

10 ـ **بحوث ودراسات في التاريخ الليبي**: مجموعة من الباحثين ـ الجماهيرية ـ مركز دراسة جهاد الليبيين ط1 ـ 1984.

11 ـ بلدية طرابلس في مائة عام: أصدرته بلدية طرابلس ـ ليبيا ـ المطبعة الليبية ـ ط1.

12 ـ تاريخ الأقطار العربية: لوتسكي ـ موسكو ـ دار التقدم ـ ط1 ـ 1971.

13 ـ تاريخ الأمة العربية (عصر الانبعاث): محمد أسعد أطلس ـ بيروت ـ دار الأندلس ـ لاط ـ 1963.

14 ـ تاريخ الصحافة العربية: فيليب دي طرازي ـ بيروت ـ المطبعة الأدبية ـ 1913.

15 ـ تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور: جون رايت ـ تر، عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازوري ـ طرابلس ليبيا ـ مكتبة الفرجاني، ط1، 1972.

16 ـ تراجم الأعلام: محمد الفاضل ابن عاشور ـ تونس ـ الدار التونسية للنشر ـ ط1 ـ 1970.

17 ـ تطور التعليم في ليبيا: رأفت غنيمي الشيخ ـ بنغازي ـ مطابع دار الحقيقة ـ ط1 ـ 1972.

18 ـ تعليقات على أنوار التنزيل: محمد كامل بن مصطفى، ـ محمد عبد الدائم الباجقني ـ ليبيا كلية الدعوة 1991.

19 ـ التفسير ورجاله: محمد الفاضل ابن عاشور ـ تونس ـ دار الكتب الشرقية ـ ط1، 1966.

20 ـ ثلاثة من أعلام الحرية: قدري قلعجي ـ بيروت ـ دار الكاتب العربي ـ لاط ـ لات.

21 ـ الحركة الأدبية والفكرية في تونس: محمد الفاضل ابن عاشور ـ تونس ـ الدار التونسية للنشر ـ ط1 ـ 1972.

22 ـ حكاية مدينة (طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب): د. خليفة محمد التليسي ـ ليبيا ـ تونس ـ الدار العربية للكتاب ـ ط1 ـ لات.

23 ـ الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي: شارل فيرو ـ تحقيق د. محمد عبد الكريم الوافي ـ طرابلس ـ المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ـ ط2 ـ 1983.

24 ـ الحياة الأدبية في ليبيا: د. طه الحاجري، القاهرة ـ معهد الدراسات العربية العالية ط1 ـ 1962.

25 ـ دليل المؤلفين العرب الليبيين: أمانة الأعلام والثقافة طرابلس دار الكتاب ـ ط1 ـ 1977.

26 ـ ديوان أحمد الشارف: أحمد الشارف ـ تحقيق علي مصطفى المصراتي ـ بيروت ـ المكتب التجاري ـ ط1 ـ 1963.

27 ـ **ديوان مصطفى بن زكري**: مصطفى بن زكري ـ مصر ـ المطبعة العثمانية ـ ط1 ـ 1310.

28 ـ **رحلة الحشائشي إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)**: محمد عثمان الحشائشي ـ تحقيق علي مصطفى المصراتي ـ لبنان ـ دار لبنان ط1، 1965.

29 ـ **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**: أحمد أمين ـ القاهرة مكتبة النهضة المصرية ـ لاط ـ 1965.

30 ـ **سكان ليبيا**: هنريكو دي أغسطيني ـ ترجمة خليفة محمد الكلسي ـ بيروت ـ دار الثقافة ط1.

31 ـ **السلطان عبد الحميد الثاني «مذكراتي السياسية»**: عبد الحميد بن عبد المجيد ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ط1 ـ 1977.

32 ـ **سليمان الباروني ـ آثاره**: محمد مسعود جبران ـ ليبيا ـ تونس ـ الدار العربية للكتاب ـ ط1 ـ 1992.

33 ـ **السنوسية**: د. محمد فؤاد شكري ـ مصر ـ دار الفكري العربي ـ ط1 ـ 1948.

34 ـ **الشرق الأوسط في التاريخ الحديث**: د. محمد ضياء الدين الريس ـ مصر ـ مكتبة الشباب ـ ط2 ـ 1965.

35 ـ **الشعر والشعراء في ليبيا**: د. محمد الصادق عفيفي ـ القاهرة ـ مكتبة الأنجلو مصرية ـ ط1 ـ 1957.

36 ـ **شفاء الصادي المجرب لمن أراد التقرب**: محمد الضاوي.

37 ـ **صحافة ليبيا في نصف قرن**: علي مصطفى المصراتي ـ بيروت ـ مطابع الكشاف ـ ط1 ـ 1960.

38 ـ **الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث**: د. محمد الكتاني ـ الدار البيضاء ـ دار الثقافة ط1 ـ 1982.

39 ـ **الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى**: عبد الرحمن تشايجي ـ تر د. علي إعزازي ـ ليبيا ـ مركز دراسة جهاد الليبيين ـ ط1 ـ 1982.

40 ـ **صفحات خالدة من تاريخ الجهاد الليبي**: سليمان الباروني ـ تحقيق. زعيمة الباروني ـ لاط ـ لاب ـ لات.

41 ـ **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**: عبد الرحمن الجبرتي ـ النسخة التي كان يمتلكها

المترجم والموجودة في مكتبة الأوقاف، التابعة لمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي بطرابلس تحت 3011 عام، 932.2 خاص.

42 ـ **العرب والعثمانيون (1516 ـ 1916)**: د. عبد الكريم رافق ـ دمشق ـ مكتبة أطلس ـ ط1 ـ 1974.

43 ـ **فتاوى أنقروي**: النسخة التي كان يمتلكها المترجم ـ الموجودة بمكتبة الأوقاف التابعة لمركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي بطرابلس ـ تحت الرقم العام 785، الرقم الخاص 1/ 254.

44 ـ **الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية**: محمد كامل بن مصطفى ـ القاهرة ـ مطبعة محمد أفندي مصطفى ط1 ـ 1313.

45 ـ **فتاوى عليش (فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك)**: محمد عليش ـ مصر ـ مطبعة التقدم العلمية ـ ط1 ـ، 1319.

46 ـ **التفاوى المهدية في الوقائع المصرية**: محمد المهدي العباسي ـ مصر ـ المطبعة الأزهرية، ط1، 1310.

47 ـ **فتح الودود في حل نظم المقصود**: محمد كامل بن مصطفى ـ لاط ـ لات ـ لاط.

48 ـ **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**: أنور الجندي ـ مصر الدار القومية للطباعة ـ لاط ـ 1965.

49 ـ **الفنون الأدبية وأعلامها**: أنيس المقدسي ـ لبنان ـ دار العلم للملايين ـ ط3، 1980.

50 ـ **في الأدب الحديث**: عمر الدسوقي ـ مصر ـ مطبعة الرسالة ـ ط7، 1969.

51 ـ **في تاريخ العرب الحديث**: د. رأفت غنيمي الشيخ ـ القاهرة ـ دار الثقافة ـ ط1 ـ 1975.

52 ـ **القاموس المحيط**: مجد الدين الفيروز أبادي ـ مصر ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ ط2 ـ 1952.

53 ـ **قصة الأدب في ليبيا العربية**: د. محمد عبد المنعم خفاجي ـ بنغازي ـ دار الكتاب الليبي، ط1.

54 ـ **كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية**: د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ـ جدة ـ دار الشروق ـ ط2 ـ 1983.

55 ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: مصطفى بن عبد الله (حاجي خليفه) بغداد ـ مكتبة المثنى.

56 ـ **لمحات أدبية عن ليبيا**: علي مصطفى المصراتي ـ طرابلس الغرب ـ المطبعة الحكومية ـ ط1 ـ 1956.

57 ـ **ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني**: فرانسيسكو كورو ـ تر. خليفة محمد التليسي ـ طرابلس ـ دار الفرجاني ـ لات.

58 ـ **ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي**: د. أحمد صدقي الدجاني ـ القاهرة ـ المطبعة الفنية الحديثة ـ ط1.

59 ـ **مؤرخون من ليبيا**: علي مصطفى المصراتي ـ ليبيا ـ الشركة العامة للنشر والتوزيع ـ ط1 ـ 1977.

60 ـ **مجمع الأمثال**: أحمد محمد النيسابوري الميداني ـ بيروت ـ دار مكتبة الحياة، 1962.

61 ـ **مدرسة الإحياء والتراث**: د. إبراهيم السعافين ـ لاب ـ دار الأندلس ـ ط1 ـ 1981.

62 ـ **مذكرات السلطان عبد الحميد**: عبد الحميد بن عبد المجيد ـ تر محمد حرب عبد الحميد ـ مصر ـ دار الأنصار لاط 1978.

ـ **المسلك المحمود في معرفة الردود**: سعيد بن تعاريت الجربي ـ تونس ـ لاط ـ ط1 ـ 1315.

ـ **مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه**: محمد مسعود جبران ـ ليبيا ـ المنشأة العامة للنشر والتوزيع ـ ط1 ـ 1984.

ـ **المطابع والمطبوعات الليبية قبل الاحتلال الإيطالي**: عبد العزيز الصويعي ـ طرابلس الجماهيرية ـ المنشأة العامة ط1 ـ 1985.

ـ **المعاصرون**: محمد كرد علي ـ دمشق ـ مجمع اللغة العربية ـ ط1 ـ 1980.

ـ **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة ـ دمشق ـ مطبعة الترقي ـ ط1 ـ 1960.

ـ **المعجم المفهرس ،لألفاظ الحديث النبوي**: د. أ. ى. ونسنك ـ ليدن ـ مكتبة بريل، لاط، 1936.

ـ **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**: أحمد النائب الأنصاري ـ طرابلس الغرب ـ مكتبة الفرجاني ط1، لات.

ـ **نفحات النسرين والريحان**: أحمد النائب الأنصاري ـ تحقيق ـ علي مصطفى المصراتي.

ـ **نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة المطبعة المنيرية**: محمد منير الدمشقي ـ مصر ـ المطبعة المنيرية.

ـ **ورقات مطوية**: محمد الأسطى ـ طرابلس ليبيا ـ المنشأة العامة ـ ط1 ـ 1983.

ـ ولاة طرابلس: الطاهر أحمد الزاوي ـ بيروت ـ دار الفتح للطباعة والنشر ـ ط1 ـ 1390 .

ـ ومضات فكر: محمد الفاضل ابن عاشور ـ ليبيا تونس ـ الدار العربية للكتاب ط1 ـ 1982 .

ب ـ الدوريات

جريدة الترقي ـ طرابلس الغرب:

ـ العدد 10 ـ

ـ العدد 20 ـ السنة 11 جمادى الآخرة 1315 .

ـ العدد 37 ـ السنة 1 ـ 18 ذي القعدة 1315 .

ـ العدد 41 ـ السنة 1 ـ 23 ذي الحجة 1315 .

ـ العدد 42 ـ السنة 1 ـ 1 محرم 1316 .

ـ العدد 47 ـ السنة 2 ـ 22 محرم 1316 .

ـ العدد 94 ـ السنة 2 ـ 1 محرم 1316 .

ـ العدد 85 ـ 4 ذي القعدة 1326 .

جريدة العلم ـ ليبيا:

ـ عبد السلام محمد سنان 1/ 5/ 1968 .

مجلة البحوث التاريخية ـ مركز دراسة جهاد الليبيين ـ (ليبيا):

ـ د. عبد الله علي إبراهيم «مجلس الإدارة في ليبيا في العهد العثماني الثاني» العدد 1 ـ السنة 2 يناير 1980 .

ـ عدد خاص حول تجارة القوافل عبر الصحراء. العدد 1 ـ السنة 3 ـ يناير 1981 .

ـ د. صلاح الدين حسن السوري «تحديث المؤسسات التعليمية والقضائية والدينية في ولاية طرابلس 1835 ـ 1911» العدد 2 ـ السنة 5 يوليو 1983 .

ـ محمد مسعود جبران «الشيخ محمد عبد الله السني مجاهداً بالسيف والحرف» العدد 1 ـ السنة 6 ـ يناير 1984 .

ـ بشير قاسم يوشع «أبو جابر عبد الله الغدامسي العالم المهاجر.

ـ د. صلاح الدين السوري «الضرائب العثمانية في طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في العهد العثماني الثاني.

ـ د. عبد الله علي إبراهيم «أنماط التجارة الداخلية في ولاية طرابلس الغرب وبرقة في

النصف الثاني من القرن التاسع عشر». العدد 2 ـ السنة 6 ـ يوليو 1984.

- عبد الحميد عبد الله الهرامة «الحياة العلمية في الجبل الغربي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين» العدد 1 السنة 7 ـ يناير 1985.
- ليزا أندرسون «آراء غربية في إصلاح عثماني ـ ليبيا في أواخر القرن التاسع عشر» العدد 2 السنة 7، يونيو 1985. مجلة الثقافة العربية (ليبيا).
- محمد مسعود جبران «العلامة عبد الرحمن الأخضري البوصيري» العدد 5 السنة 4.

مجلة حوليات الجامعة التونسية (تونس)

- د. الحبيب الجنحاني «الحركة الإصلاحية في تونس، خلال النص الثاني من القرن التاسع عشر» العدد 6، 1989.

مجلة الفصول الأربعة (ليبيا)

- فوزي البشتي «مراجعات... محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا». العدد 44 ـ 1990.

مجلة الفكر العربي

- عدد خاص عن الرحلات العربية والحالات العدد 51 السنة 119 ـ 1988.

مجلة ليبيا المصورة (ليبيا)

- مؤرخ طرابلس = علي الفقيه حسن «أعيان ليبيا 3 ـ الأستاذ محمد كامل بن مصطفى» العدد 4 السنة 3، يناير 1938.

جـ ـ المخطوطات والوثائق

- **الرحلة المعينية**: تأليف ماء العينين العتيق بن محمد الشنجيطي ميكروفلم 80 الخزانة العامة بالرباط نسخها الأستاذ عامر محمد جحيدر.
- **المجموع أو الكناش**: شعبة المخطوطات والوثائق بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.
- **مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل**: بمكتبة الأوقاف التابعة لمركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس تحت رقم 105 عام، الرقم الخاص 2.228.

الإجازات:

- أ ـ إجازة الشيخ إبراهيم التباني التوزري التونسي.
- ب ـ إجازة الشيخ أحمد عبد الرحمن الطهطاوي.

- حـ ـ إجازة الشيخ.
- د ـ إجازة الشيخ عبد القادر الريماوي.
- هـ ـ إجازة الشيخ محمد المهدي بن سودة.

- **خطاب كتبه الشيخ عبد الرحمن البوصيري في سنة (1332/ 1913)** دار المحفوظات التاريخية ـ بالسراي الحمراء بطرابلس الغرب.
- **سجلات المحاكم الشرعية في النصف الأخير من القرن الماضي**: دار المحفوظات التاريخية.
- **المسألة السراجية**: شعبة الوثائق والمخطوطات في مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس.
- **ملف أسماء أعضاء مجلس الولاية**: إعداد الأستاذ عبد السلام أدهم ـ دار المحفوظات التاريخية.
- **ملف أسماء قضاة ولاية طرابلس الغرب** إعداد الأستاذ عبد السلام أدهم ـ دار المحفوظات التاريخية.
- **ملف قضية إبراهيم سراج الدين** دار المحفوظات التاريخية.
- **وثيقة تتضمن شكر الشيخ محمد كامل بن مصطفى من مديرة مكتب البنات بالولاية.**
- **وثيقة تحت رقم 10/ د.** مترجمة بقلم الأستاذ عبد السلام أدهم ـ بدار المحفوظات التاريخية، **تتصل بعمل المترجم وأحمد النائب في حلّ قضية مسألة الحدود الليبية التونسية.**

د ـ الروايات الشفاهية

1 ـ **روايات الأستاذ علي الفقيه حسن.**

2 ـ **روايات الشيخ محمود عمر المسلاتي.**

أ ـ ما سمع منه مباشرة.

ب ـ المقابلة 72 المنطقة 2 المكتبة الشفاهية بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

3 ـ **رواية الشيخ يوسف الطاهر شقليلة.**

4 ـ **رواية الأستاذ عبد الحفيظ بن ضو.**

5 ـ **رواية السيد راسم بن ضو.**

الملاحـق

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين ﴿أما بعد﴾
فيقول العبد الفقير محمد كامل ابن مصطفى بن محمود الطرابلسي الحنفي الأشعري الشاذلي بينما كنت حال
صغري مشتغلا بحفظ القرآن العظيم إذ تذاكر والدي وجدي وعمي رحمهم الله تعالى ورحمني معهم
ورحم جميع المسلمين في شأني وقالوا ان وطن طرابلس الغرب لم يبق به عالم ماهر في المذهب الحنفي ينشر
ويعلمه الناس فاتفقت آراؤهم على ارسالي الى الجامع الأزهر بمصر القاهرة لتحصيل المذهب الحنفي
ونشره في الوطن المذكور بعد الرجوع اليه فأرسلني والدي رحمه الله تعالى اليه في سنة ألف ومائتين
وثلاث وستين وأنا حينئذ ابن تسع عشرة سنة وقد حفظت بفضل الله تعالى القرآن العظيم واشتغلت
بقراءة العلم قبل ذلك بنحو ثلاث سنين على بعض علماء الوطن فلما وصلت الجامع الأزهر والمسجد الأنور
لازال ان شاء الله تعالى بأنوار العلوم معمورا اشتغلت بتحصيل العلوم المتنوعة ومنها مذهب سيدي
مالك رحمه الله تعالى فقرأت فيه شرح أقرب المسالك لمؤلفه سيدي أحمد الدردير بحواشي الشيخ الصاوي
وشرح الأستاذ المذكور على مختصر الشيخ خليل بحواشي الشيخ الدسوقي مع مراجعة الخرشي ومجموع
الشيخ الأمير ثم أخذت في قراءة المذهب الحنفي فقرأت شرح العيني على الكنز بعد قراءة مراقي الفلاح
وحواشيه لسيدي أحمد الطحطاوي وتحفة الملوك والسلاطين ثم قرأت شرح الدر المختار على متن
تنوير الأبصار بحواشي الشيخ الطحطاوي المذكور وفي أوائل سنة سبعين من القرن المذكور
رجعت بحمد الله تعالى الى وطني المذكور فوجدت جدي وعمي قد ماتا رحمهما الله تعالى ووجدت
والدي حيا فاشتغلت بالتدريس ونشر العلوم والافتاء على المذهب الحنفي ولم أزل مداوما على ذلك والحمد
لله تعالى الى هذه السنة الثامنة بعد الألف والثلاثمائة فلاح لي أن أجمع من القيود المتفرقة المسائل
التي كنت سئلت عنها في أثناء تلك المدة وقيدتها وصرت أقدم رجلا وأؤخر أخرى ثم عزمت على جمعها
فجمعتها في هذه الأوراق وحذفت منها المكرر الا ما قل كما جمعت ما بقي بخاطري غير مقيد قاصدا
بذلك نفعي ونفع من ابتلي بالافتاء من الإخوان العلماء وقد اختصرت الأسئلة وقت النقل من القيد
وربما اختصرت الجواب أيضا وربما زدت فيه نقولا وفوائد وعزوت كل مسألة الى محالها الا ما

عما

عالشبه في غالب الكتب المتداولة فجاءت بحمد الله تعالى مجموعة تسر الناظرين ولاسيما من هم من الاخوان الوطنيين ﴿وسميتها الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية﴾ وأرجو الله العظيم أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأرجو ممن يقف عليها من الاخوان أن ينظرها بعين الرضى والقبول كما قيل

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدي المساويا

وأستغفر الله العظيم وأصلي على سيدنا محمد الكريم وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿مقدمة في مسائل من العقائد وفيما يناسبها﴾

مطلب في ايمان المقلد

﴿سئلت﴾ عن ايمان المقلد هل هو صحيح فالجواب ان فيه تفصيلا فان كان جازما بقول الغير فايمانه صحيح وان كان مترددا فلا يصح ايمانه قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي التحقيق الدافع للتشنيع على الاشعري أي في قوله بعدم صحة ايمانه ان صح النقل له ان المقلد ان كان آخذا لقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يكفي ايمان هذا المقلد لعدم الجزم به اذ لا ايمان مع أدنى تردد وان كان المقلد آخذا لقول الغير بغير حجة لكنه جازم فيكفي ايمان المقلد عند الاشعري وغيره قال الجلال المحلي وهذا هو المعتمد اه نقله سيدي عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت قال سيدي حسن الشرنبلالي في شرحه على الوهبانية ولا يتحقق أي المقلد الا فيمن نشأ في قطر لم تبلغه الدعوة ثم دعاه مسلم الى الاسلام فأما من لا فيمن نشأ بين أهل الاسلام فانه لن يخلو أحدهم من نوع استدلال ﴿فائدة﴾ اعلم انه يجب على كل عاقل أن يعرف أن الله تعالى واحد لا شريك له اذ لو جاز كون الاله اثنين لجاز أن يريد أحدهما شيأ ويريد الآخر ضده كحركة زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما فيتعين وقوع أحدهما فيكون مريده هو الاله الحق دون الآخر لعجزه فلا يكون الاله الا واحدا باجماع العقلاء والله تعالى أعلم

مطلب يجب على كل عاقل أن يعرف أن الله تعالى واحد

مطلب في الفرق بين الكافر والمشرك

﴿سئلت﴾ عن الكافر والمشرك ما الفرق بينهما فالجواب أن بينهما العموم والخصوص المطلق فكل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا فالكافر أعم مطلقا والمشرك أخص مطلقا فأما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الله تعالى وأما شركه فلانه نسب الالوهية لغير الله تعالى مع الله وجعل له شريكا فأشرك وأما وجه كونه لا يلزم أن يكون كل كافر مشركا فهو ان الكافر هو الذي يقول ان الاله واحد غير انه أخطأ في تعيين الاله كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ولم يقل لقد أشرك الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم فكفره من حيث انه جعل الناسوت عيسى الها كما انه يكفر أيضا بكفره بالرسول صلى الله عليه وسلم أو ببعض كتابه اه أفاده الشيخ الاكبر في الفتوحات والله أعلم

مطلب في أهالي جبل طرابلس الغرب وانهم أباضية

﴿سئلت﴾ عن أهالي جبل طرابلس الغرب الذين لا يتمذهبون بمذهب من المذاهب الاربعة ما مذهبهم ومن هو امامهم فالجواب انهم يتمذهبون بمذهب عبد الله بن أباض وهم أباضية وهم من جملة الخوارج وقد قسم في المواقف الخوارج الى سبع فرق احداها الاباضية قال انهم قالوا مخالفونا من أهل القبلة كفار غير مشركين تجوز مناكحتهم وغنيمة أموالهم من سلاحهم وكراعهم حلال عند الحرب دون غيره ودارهم دار الاسلام الا معسكر سلطانهم وقالوا تقبل شهادة مخالفيهم ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن بناء على ان الاعمال داخلة في الايمان والاستطاعة قبل الفعل وفعل العبد مخلوق لله تعالى ومرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا ملة وتوقفوا في تكفير أولاد الكفار وتعذيبهم وتوقفوا في النفاق أهو شرك أم لا وفي جواز بعثة رسول بلا دليل ومعجزة وتكليف اتباعه فيما يوحى اليه أي ترددوا في ان ذلك جائز أم لا وكفروا عليا وأكثر أصحابه وافترقوا فرقا أربعا انظرهم في المواقف والله تعالى أعلم ﴿سئلت﴾ عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما حكمه وما شرع

مطلب في حكم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة اهـ والله تعالى أعلم ﴿سئلت﴾ وأنا مرمشتغلا بالتحصيل والسائل لي قسيس من النصارى اجتمعت به في بعض البساتين التي نخرج اليها للتسلي بها والتفرج وقت التعطيل عن وجوب تعميم البدن بالغسل من خروج المني مع أنه دون البول والغائط في الاستقذار ما الحكمة فيه عندكم وهلا اكتفيتم بغسل خصوص الذكر ﴿فأجبته﴾ اذ ذاك بجواب ألهمته وهو أن ذلك ليس لاستقذار المني بل لحصول اللذة وسريانها في عموم البدن فلم تختص اللذة بخصوص الذكر ثم بعد حين عثرت على هذا السؤال في اليواقيت للشعراني وأجاب عنه بان تعميم البدن بالماء لم يكن من أجل خروج المني واستقذاره بل من أجل اللذة قال فان الشخص المجامع لما كان يحس باللذة انها قد عمت بدنه كله حتى انه لا يكاد يعقل شيأ معها أمر بتعميم بدنه بالماء لينعشه من ذلك الفتور الذي حصل للبدن عقب خروج المني فكانت الغفلة عن الله تعالى فيه أكثر من الغائط والبول ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى ان القهقهة في الصلاة تنقض الوضوء لما كانت لا تقع الا من قلب غافل غير حاضر مع ربه عز وجل ومعلوم أن حضرة الرب منزهة عن وقوع القهقهة فيها من أحد من أهل حضرتها اذ شأنهم الادب والبهت والذبول اهـ والله تعالى أعلم ﴿سئلت﴾ عمن أراد أن يستأذن في الدخول على آخر في داره هل يقدم الاستئذان أو السلام ﴿فالجواب﴾ قال في الهندية اذا أتى الرجل باب دار انسان يجب أن يستأذن قبل السلام ثم اذا دخل يسلم أولا ثم يتكلم وان كان في الفضاء يسلم ثم يتكلم واختلفوا في أيهما أفضل أجرا قال بعضهم الراد أفضل أجرا وقال بعضهم المسلم أفضل أجرا هـ والمشهور ان المبتدي بالسلام أفضل أجرا من الراد لان له أجر الابتداء وأجر الدلالة على الخير بدليل حديث الدال على الخير كفاعله وعلى هذا النظم المشهور وهو قول بعضهم

مطلب في ان الاستئذان قبل السلام

الفرض أفضل من تطوع عابد ✽ حتى ولو قد جاء منه باكثر

الا التطهر قبل وقت وابتدا ✽ ء السلام كذاك ابرا معسر

مطلب في المسائل التي يكون فيها المندوب أفضل من الفرض

فالطهارة في الوقت فرض وقبله مندوبة ولكن اذا تطهر قبل الوقت كان آتيا بالفرض وزيادة بمعنى أن المطلوب منه في الوقت قد حصل في الوقت والتقدم زيادة وابراء المعسر يتضمن الفرض وزيادة عليه وذلك ان انتظار المعسر فرض بنص الآية وهي قوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وحقيقة الانتظار اسقاط الطلب في الحال مع بقائه في المآل والابراء اسقاط للطلب في الحال والمآل ففيه الفرض وزيادة وهذا قرره لنا شيخنا الشيخ محمد المهدي الفاسي ابن سودة من نسل الشيخ التاودي المالكي في مصر حاجا والله تعالى أعلم ﴿سئلت﴾ ما تقولون فيما نسب للصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه من أنه كان ينكر كون الفاتحة والمعوذتين من القرآن هل هو صحيح ﴿فالجواب﴾ انه ليس بصحيح وقد نقل العلامة الرازي في تفسيره ذلك ثم قال واعلم أن هذا في غاية الصعوبة لانا اذا قلنا ان النقل المتواتر كان حاصلا في عصر الصحابة بكون الفاتحة من القرآن فحينئذ كان ابن مسعود عالما بذلك فانكاره يوجب الكفر أو نقصان العقل وان قلنا ان النقل المتواتر في هذا المعنى ما كان حاصلا في ذلك الزمان فهو يقتضي أن يقال ان نقل القرآن ليس بمتواتر في الاصل وذلك يخرج القرآن عن كونه حجة يقينية والاغلب على الظن ان نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل كاذب باطل وبه يحصل الخلاص من هذه العقدة اهـ والله تعالى أعلم ﴿سئلت﴾ ما سبب النهي الوارد في التفكر في ذاته تعالى بقوله عليه السلام تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق ﴿فالجواب﴾ أن سببه كما في تفسير الرازي رحمه الله تعالى ان الفكر في الشيء يقتضي سبق تصوره وتصور كنهه تعالى غير ممكن فالفكر فيه غير ممكن فعلى هذا الفكر لا يمكن الا في أفعاله ومخلوقاته اهـ ﴿أقول﴾ وحينئذ يكون معنى ولا تفكروا في الخالق ولا تطمعوا في الفكر فيه تعالى

مطلب ما نسب لابن مسعود رضي الله تعالى عنه من انكار كون الفاتحة والمعوذتين من القرآن وانه غير صحيح

مطلب في حديث تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق تعالى

فلما كان فيها اعمال القلب لا يخفى سناء طهارة قليلا للروح وقد مر في اول السورة من يدل على هذا
فيما يتعلق بفضائلها فنسأل الله الكريم ان يعفو عنا ويرحمنا واخواننا المسلمين وان يختم
لنا بالسعادة فانه جواد كريم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين تمت لسورة يس
في السابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٩٥

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنان وثمانون اية

رب يسر ولا تعسر ؛ بسم الله الرحمن الرحيم ؛ رب تمم بالخير

قوله مكية اي في قول الجميع كما نقله العلامة الجمل عن القرطبي ووقع الخلاف في عدد اياتها فمنهم من قال احدى وثمانون ومنهم من قال اثنتان وثمانون اية نقل عن الداني واشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بابدائه القولين وفي فتح البيان للعلامة الهندي قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات اخرجه النسائي والبيهقي في سننه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله اعطاه سؤله اخرجه ابن ابي داود في فضائل القرآن وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لما اتاه ملوك حمير عن قومهم سألوه عليه ان يقرأ عليهم شيئا مما انزل الله فقرأ والصافات صفا حتى بلغ رب المشارق والمغارب الحديث اخرجه ابو نعيم في الدلائل اهـ قوله تعالى والصافات الصف ان يجعل الشيء على خط مستقيم تقول صففت القوم فاصطفوا اذا اقمتهم على خط مستقيم لاجل الصلاة او الحرب والصافات جمع صافة وواو القسم فيها بدل من الباء والاصل اقسم بالصافات ثم حذف الفعل لدلالة الجار المتعلق عليه وابدلت الواو من الباء لاشتراكهما في المخرج وتقاربهما في المعنى لان الالصاق والجمع متقاربان في المعنى وصفا مصدر مؤكد اهـ ومثله زجرا وقيل صفا مفعول به على ان يكون بمعنى المصفوف وذكر انه يجوز ان يكون مفعولا به للتاليات وان يكون مصدرا للتاليات من معناه وقيل مفعول الصافات والزاجرات غير مراد والمعنى والفاعلات لذلك وقيل هو مراد والمعنى والصافات انفسها او اقدامها او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله تعالى وقول المصنف بالملائكة الصافين في مقام العبودية يدل على ان مفعول الصافات غير مراد وقوله الزاجرين الاجرام او الناس او الشياطين وقوله التالين ايات الله تعالى يدل على ان مفعول الزاجرات والتاليات مراد نقل عن الراغب ان الزجر طرد بصوت ثم يستعمل تارة في الطرد واخرى في الصوت وفي الصحاح الزجر المنع والنهي وزجر البعير اي ساقه والزجر ايضا العيافة وهو ضرب من التكهن يقول انه يكون كذا وكذا وقال في فصل العين من باب الباء عفت الطير اعيفها عيافة اي زجرتها وهو ان يعتبر باسمائها ومساقطها واصواتها والعائف المتكهن او كلامه والعيافة نوع تدبير لان التدبير

في الاوان ينلقي الى ما يئول اليه كالبرق وكذا قيل وذلك حاصل في الزجر بمعنى العيادة بقول المصنف
الزاجرات الاجرام العلوية التي يعقب بعضها بعضا ويزجرون لنحوها وكذا قوله والارواح المدبرة لها تعيينها
للزجر بالاعتبار والتدريج لابن زاده قوله اقسم بالملائكة لانه قدم هذا الوجه ترجيحا له لانه
المتبادر لقوله تعالى وانا لنحن الصافون فكان الظاهر ان يجمع جمع مذكر سالما كما في الاية المذكورة
فتأنيثه على انه جمع صافة اي كل طائفة صافة او جماعة صافة اه من القنوي و تسميتهم اليه
المصنف بقوله او بطوائف الاجرام ولم يحتج الى زيادة الطوائف في هذا الوجه اكتفاء بالتانيث
اللفظي في لفظ الملائكة فيكون التقدير والملائكة الصافات وقوله بالملائكة الصافين
رعاية لجانب المعنى لابن زاده وفي تفسير قال ابو مسلم الاصفهاني لا يجوز حمل هذه الالفاظ
على الملائكة لانها مشعرة بالتانيث والملائكة مبرؤن عن هذه الصفة واجيب بوجهين
احدهما ان الصافات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم يجمع على صافات والثاني انهم مبرؤن
عن التانيث المعنوي واما التانيث اللفظي فلا كيف وهم يسمون بالملائكة وعلامة
التانيث حاصلة فيه اه وفيه ايضا اختلف الناس هاهنا في المقسم به على قولين
احدهما انه خالق هذه الاشياء لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى ولان
الحلف في مثل هذا الموضع تعظيم للمحلوف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله تعالى
فيجب ذلك اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات ومما يؤكد هذا انه تعالى صرح
به في قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها والثاني وعليه الاكثر ان المقسم
به هذه الاشياء لظاهر اللفظ فلا يعدل عنه الا بدليل واما النهي عن الحلف بغير
الله تعالى فهو نهي للمخلوق عن ذلك اه خطيب واما الخالق جل جلاله فيقسم ببعض
مخلوقاته تعظيما لها كقوله والشمس والليل وحكم الحلف بغير الله تعالى ان اهل الجاهلية ي والطور والنجم الى غير
كانوا يعتقدون في انفسهم ان اسماء آلهتهم مباركة معظمة وكانوا يعتقدون ان الحلف باسمائهم ـه كلام المجازي واعلم
على الكذب يستوجب ضررا ونقصا في المال والاهل فلا يقدمون على ذلك ولذلك كانوا نهيه عليه السلام عن
يستحلفون الخصوم باسماء الشركاء بزعمهم فنهى صلى الله عليه وسلم امته عن الحلف غير ... ؟ ؟
بغير الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم من حلف بغير الله فقد اشرك اي فلا تحلفوا بغير
الله تعالى وقد حمله بعض المحدثين على التغليظ والتشديد وخالفهم صاحب الحجة
البالغة الشيخ احمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي قائلا ولا اقول بذلك وانما المراد عندي اليمين
المنعقدة واليمين الغموس باسم غير الله تعالى على اعتقاد ما ذكرنا اه اي اعتقاد
ان الحلف باسمائهم كذبا يستوجب النقص في المال والاهل قوله الصافين في مقام العبودية
قال في الروح اقسم الله تعالى بالملائكة الذين يصفون للعبادة في السماء ويتراصون
في الصف وفي الحديث الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قالوا كيف تصف

وفيه تصف الملائكة عند ربهم فكان يتمشون في الصفوف المتفرقة ويتراصون في الصف و...
عن ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه اذا اراد ان يصلي بالناس الصلاة قال استووا تقدم
يا فلان تأخر يا فلان ان الله عز وجل يريد بكم بالملائكة أسوة يقول والصافات صفا وفي ...
والصافات صفا الملائكة المصطفون في الهواء يسبحون ولهم مراتب يقومون عليها صفوفا
كما يصطف المصلون اه قال بعض الكبار الملائكة على ثلاثة اصناف صنف فهم هيمون في جلال
الله تعالى يتجلى لهم في اسمه الجليل فطمسهم وأفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من فطرهم
فيه وصنف مسخرون ورأسهم القلم الاعلى سلطان عالم التدوين والتسطير وصنف هم
اصحاب التدبير للاشياء كلها من جميع الاجناس كلها وكلهم صافون في الخدمة ليس لهم
شغل غير ما امروا به وفيه لذتهم وراحتهم وفي الآية بيان شرف الملائكة حيث
أقسم بهم وفضل الصفوف وقد ... ان الشيطان يقف في فرجة الصف فلا بد من التلاصق
والانضمام والاجتماع ظاهرا وباطنا اه كلام الروح قوله على مراتب الخ فيتقدم بعضهم
صفوفهم على بعض باعتبار تقدم الرتبة والقرب من حضرة القدس والتقدم بالنسبة
الى محل القرب المعنوي فمن كان اعلى رتبة يكون صفه ... في بيان ذلك الصف الاول
وهكذا حتى تتم الصفوف وقوله فتنتظم ... امر الله تعالى حال من ضمير الصافين لبيان الواقع
في حكم اصطفافهم لامنة مر ... مطابقة بل التزاما اه قنوي قوله بالتدبير في
المامور به فيه تنبيه على ان المراد بالزجر التدبير كما سبقت الاشارة اليه فيكون مثل
قوله تعالى فالمدبرات امرا وتدبيرها كادارة الافلاك واجراء الكواكب في منازلها واجراء المياه
واخراج النبات في الارض اه ملخصا من القنوي قوله فالتاليات اي آيات الله ...
ذكرا على انه مفعول به او تعظيم للمفعول به على ان ذكرا مصدر مؤكد لعامله من غير لفظه
اذ التلاوة تستلزم الذكر اه وقد سبقت الاشارة اليه في كلام زاده رحمه الله تعالى قوله
وخلايا فرسه فكان زاده ... حلية من حلوت الافراس او ... وخلايا فرسه
كالتسبيح ... اه والمراد بخلايا فرسه ... قال القنوي و...
كذلك التخلية ... على انه يستلزم التخلية في التالون ايضا ...
ولكن ذكر الصافات ... بالذكر مع ان ذكر الآيات مشتمل عليها اه
قوله على انبيائه واوليائه متعلق بالتاليات فهؤلاء هم التالون عليهم وهو في الانبياء
ظاهر وفي الاولياء ... بواسطة الانبياء او بالالهام وعلى الثاني ... القنوي
قال وقد خص التلاوة بالانبياء في سورة والمرسلات وهو اظهر التعبيرات وحمل
التلاوة على القراءة على الغير لقوله تعالى في والمرسلات فالملقيات ذكرا على ان التلاوة
في التنبيه مندرجة في والصافات اه قوله او بطوائف الاجرام الخ عطف على الملائكة

في قوله أقسم بالملائكة فهو وجه ثان في تفسير الصافات وما بعدها فان زاده والمراد من الأ
المرتبة كالصفوف العناصر والأفلاك والكواكب وقوله المرتبة كالصفوف إشارة إلى أن
الصافات مثل عيشة راضية في أن المبني للفاعل أسند إلى المفعول به يقال صففت
الشيء أي جعلته على حد أي الصفت بعضه ببعض ومنه بنيان مرصوص وتراصوا في الصلاة
أي تلاصقوا والمراد بالجواهر القدسية الملائكة اهـ قوله المترتبة كالصفوف المرصوصة
أي بأن يكون بعضها فوق بعض وهذا ليس بصف حقيقة إذ الصف ترتيب الجمع في خط مستو
بل على التشبيه ومن هذا قال كالصفوف المرصوصة في تراصها من غير فرجة وهذا مذهب
الفلاسفة ومذهب أهل الحق أن بين الأفلاك فرجة مسيرة خمسمائة عام بل على هذا جميع
الصافات على بابه ذكره لأن الصف حقيقة مجاز ومحمله على المذهب الصحيح اهـ قنوي قوله
والأرواح المدبرة لها أي للأفلاك عطف على الأجرام فهو تفسير للزاجرات وهذا مذهب
الحكماء فإنهم أثبتوا للأفلاك نفوسا وأرواحا تدبرها قال القنوي فالمراد بالزاجرات
الأرواح الملك لأنها بمعنى المدبرات كما سبق وأشار إليه بقوله المدبرة لها اهـ قوله والجواهر
القدسية عطف على الأجرام أيضا فهو تفسير للتاليات ذكرا والمراد الملائكة فإنهم عند
الفلاسفة جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة وعند أكثر المتكلمين هم أجسام
لطيفة كما بينه المصنف في أوائل البقرة ونقحه هناك على ضعف مذهب الحكماء بقوله وزعم
الحكماء أنها جواهر الخ ولم ينبه عليه هنا اتكالا على ما هناك اهـ قنوي قوله المستغرقة
في مطالعة القدس الخ فالمراد بالتلاوة القراءة ثم في أنفسهم لا على غيرهم اهـ قنوي قوله أو بنفوس
العلماء الخ عطف على قوله بالملائكة فهو تفسير ثالث والمراد بالنفوس الذوات إذ الصف
في العبادة لمجموع الأرواح والأبدان قال القنوي ترك هذا الوجه عن الثاني لا وجه له
بل ذكر الوجه الثاني لا معنى له فلهذا لم يتعرض له كثير من المفسرين وقوله الزاجرين عن الكفر
والفسوق أي الناهين عنه فالزجر بمعنى المنع والنهي وقوله التالين آيات الله أي على
الغير اهـ قوله أو بنفوس الغزاة الخ وجه رابع ونفوس الغزاة المراد بها ذواتهم والمراد
الذين يجاهدون في سبيل الله تعالى ويحافظون حدود الله تعالى كما أن المراد بالعلماء العلماء
الربانيون وقوله الصافين في الجهاد أي كأنهم بنيان مرصوص في التراص والثبات بالأقدام
حقيقة أو من شأنهم الصف فهو مجاز بعلاقة الأول أو باعتبار ما كان وقوله الخيل أو العدو
بزجرهم للخيل بسوقها ونحوه للجهاد والعدو بكفهم عن المسلمين وقوله التالين ذكر الله تعالى
أي في أنفسهم لا على غيرهم أو على غيرهم أيضا إن كان من العلماء ويكشف عنه صحة جمع
الرابع مع الثالث والتغاير الاعتباري كاف في التقابل اهـ من القنوي قوله مبارزة
العدو أي مقاتلته يقال فلان يبارز فلانا أي يجاوزه ويحمل مقابله ذكر الجنبا

هذا فتح
الودود في حل نظم
المقصود تأليف العالم
العلامة المحقق الفهامة من منح
الحسن خلقا وخلقا واشتهر فضله غربا
وشرقا مولانا الاستاذ الفاضل الشيخ السيد
محمد كامل ابن مصطفى بن محمود
الطرابلسي الحنفي نصر على
عدوه ووقي شره
وكفي آمين

فتح الودود فى حل نظم المقصود

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يامن تنزه عن الوصف الناقص والمثال وتعالى وتقدس عن كل ضعف واعتلال فانت المحمود والمقصود والمطلوب وانت المعطى والوهاب لكل موهوب ونشهد ان لااله الا انت وحدك لاشريك لك فى التصرف فى جميع الافعال ونشهد ان سيدنا محمدا عبدك ورسولك المصطفى من ذوى الفضل والكمال صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه وشرف وكرم امابعد فيقول العبد الفقير الى مولاه القدير محمد بن مصطفى بن محمود الطرابلسى الحنفى عامله الله تعالى ووالديه وسائر المسلمين بلطفه الخفى ان من اجل مانظم فى علم الصرف واحسن ماصنف فى هذا الصنف ارجوزة

قوله فى علم الصرف هو علم يبحث فيه عن المفردات من حيث صورها وهيئاتها انتهى شارحه

(شيخنا)

شيخنا العلامه واستاذنا الفهامه احمد بن عبد الرحيم الطهطاوى الشافعى التى جمع فيها ما احتوى عليه متن المقصود فى علم الصرف المنسوب للامام الاعظم ابى حنيفة النعمان طيب الله مضجعه وبرد مهجعه وقد كان شرحها امام عصره وفريد دهره شيخنا الشيخ محمد عليش المالكى شرحا حسنا جامعا لكثير من مسائل الفن بيدان به نوع اطناب على عادته حفظه الله تعالى فى سائر مؤلفاته فعن لى ان اشرحها شرحا مختصرا سهل العباره واضح الاشاره لائقا بامثالى من المبتدئين وباخوانى من الطلبة القاصرين وان اسميه بفتح الودود فى حل نظم المقصود واكثر اعتمادى فى ذلك على شرح شيخنا المذكور ضاعف الله لى وله الاجور وكان وضعه فى ايام رافع راية الاسلام ظل الله تعالى فى ارضه على الانام المخصوص من الله تعالى بالعناية واللطف العميم الموصوف بكمال الدراية والخلق العظيم مالك رقاب العالم تاج ملوك بنى آدم فريد العصر والشان مفخر سلاطين آل عثمان مولانا السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان عبد المجيد خان نصره الله تعالى وزان ايامه واعلى فى جميع الاقطار اعلامه عندما كان واليا فى ديارنا طرابلس الغربيه صانها الله تعالى من كل آفة وبليه ذو الدولة والعز والشان الممتاز بكمال السياسة ومزيد العرفان الدستور المكرم والمشير المفخم مولانا السيد الحاج احمد عزت باشا ابن المرحوم الحاج عثمان باشا الارزنجانى اكرمهما

قوله مضجعه بفتح الميم والجيم وفعله من باب نفع انتهى مصححه

الله تعالى آمين والله تعالى المستعان وعليه فى البدء والختم
التكلان قال شيخنا الناظم حفظه الله تعالى واحسن اليه آمين
(بسم الله الرحمن الرحيم) افتتح كتابه بها تأسيا بالكتاب
العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذى بال لا يبدأ
فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر هذا و قد قالوا ينبغى
لكل شارع فى فن ان يتكلم على البسملة بطرف من ذلك الفن
ولا يتعلق التصريف الا بالاسماء المتمكنة والافعال المتصرفة
واما الحروف وشبهها فلا يتعلق بها قال فى الخلاصة حرف
وشبهه من الصرف برى وما سواهما بتصريف حرى
والمراد بشبه الحرف الاسماء المبنية والافعال الجامدة نحو نعم
وبئس وكلمات البسملة خمسة فيبحث عنها منه ماعدا الباء
فانها حرف لاحظ لها فيه فالاسم عند البصريين ناقص
واوى من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد و دم اصله سمو
بضم السين اوكسرها ولكثرة استعماله ارادوا تخفيفه
فى طرفيه فوجدوا آخره واوا تتعاقب عليه الحركات
الاعرابية مع ثقلها فحذفوه ونقلوا حركته الى الميم وحذفوا
حركة اوله ثم اجتلبوا همزة الوصل للساكن واسم الجلالة
الصحيح انه غير مشتق وعلى انه مشتق فاصله الاه ككتاب
ادخلت عليه ال للتفخيم فصار الا له ثم حذفت الهمزة
بعد نقل حركتها لما قبلها قصدا للتخفيف ثم ادغمت اللام
فى اللام وفخم وعظم ان فتح ما قبله اوضم نحو قال الله تعالى

(وقالوا)

قوله فلا يتعلق بها واما
تصغير ذا والذى وتثنيتها
والحذف من سوف وان
و ابدال لعل فشاذ كما فى
حواشى شيخ مشايخنا
العلامة الخضرى على ابن
عقيل انتهى شارحه

قوله عند البصريين واما
عند الكوفيين فهو مثال
واوى اصله وسم حذفت
واوه كما تحذف كثيرا من
اوائل الكلم كزنة و عدة
فهو من الاسماء المحذوفة
الاوائل ثم اتى بهمزة
الوصل عوضا عنها وقيل
ليس بعوض بل للامر ولعله
الحق لانها لو كانت عوضا
لما حذفت انتهى من
الخادمى انتهى شارحه

(عبد) اى مخلوق لله تعالى (اسير رحمة) المولى (الكريم) والرب الرحيم جعل نفسه حفظه الله تعالى اسيرا للرحمة مع ان المشهور اضافة الاسير الى الذنب رجاء منه حفظه الله تعالى ان تكون رحمته تعالى التى وسعت كل شئ محيطة به وهو محفوف بها حتى لو فعل ما فعل لا ينفك عنها فهو كالاسير فى يدها اللهم حقق له ذلك واهدنا و اياه الى اقوم المسالك و بين حفظه الله تعالى العبد بقوله (اى احمد بن) الشيخ سيدى (عابد) اى عبد (الرحيم) ابن الشيخ الكبير والعلم الشهير مسعود المصرى الطهطاوى الازهرى الشافعى وهو حفظه الله تعالى واطال فى عمره من اكابر اهل العلم و العمل و قد اخرج كثيرا من ظلمات الجهل و مواقع الزلل ومما قلت فيه من قصيدة

* فهو الذى فى الصدر تشرق شمسه *
* فتنير آفاق الفؤاد القاسى *
* لولاك ما الآداب يدرك سرها *
* من بعد ما درست اتم دراس *
* كلا ولا حاك القصائد حائك *
* فى عصرنا يا طيب الانفاس *
* سميت احمد فالمحامد كلها *
* تتلى عليك فانت كل الناس *

واعلم ان الفعل اما ثلاثى واما رباعى وكل منهما اما مجرد او مزيد

(فيه)

فيه و قد اشار حفظه الله تعالى الى الثلاثى المجرد بقوله (فعل) بكسر الفاء اسم للكلمة المخصوصة واما بالفتح فمصدر فعل يفعل و هو مبتدأ خبره قوله ابوابه ست ومن هنا الى آخر المنظومة مقول القول فى محل نصب و انما ساغ الابتداء به مع انه نكرة لتخصيصه بانه (ثلاثى) هو ما كان ماضيه على ثلاثة احرف (اذا مجرد) من حروف الزيادة (ابوابه ست) لاغير (كما ستسرد) عليك قريبا و انما كانت ابوابه ستة لان ماضيه اما ان يكون على وزن فعل مفتوح العين او فعل مكسورها اوفعل مضمومها لان الفاء لاتكون الا مفتوحة لرفضهم الابتداء بالساكن وكون الفتحة اخف واللام مفتوحة للخفة و العين لا تكون الا متحركة لئلا يلزم التقاء الساكنين فى نحو ضربت وضربن والحركات منحصرة فى الفتح والكسر والضم (فالعين ان تفتح بماض) اى بفعل ماض كضرب ونصر و منع (فاكسر) ها فى الغابر كيضرب (اوضم) ها فيه كينصر (او فافتح) الفاء زائدة (لها) اى العين (فى الغابر) اى فى الفعل المضارع كيمنع فهذه ثلاثة ابواب الاول مفتوح فى الماضى مكسور فى المضارع و بناؤه للتعدية غالبا كالمثال السابق و قد يكون لازما نحو جلس زيد الثانى مفتوح فى الماضى مضموم فى المضارع و بناؤه ايضا للتعدية غالبا كالمثال السابق و قد يكون لازما نحو خرج زيد الثالث مفتوح فى كل منهما و يشترط فيه ان تكون

قوله وكون بالجر عطفا على رفض انتهى مصححه

قوله كضرب يقال ضرب بالسوط وغيره و ضرب فى الارض اى سار وضرب كذا اى بين انتهى من السعد على العزى انتهى شارحه

قوله ونصر يقال نصره اى اغاثه ونصر الارض الغيث اى اغاثها قال ابو عبيدة فى قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله اى لن يرزقه انتهى منه انتهى شارحه

عينه اولامه حرف حلق كما سيجئ فى النظم و بناؤه كذلك
يقال فتح زيد الباب وذهب زيد والباب الرابع اشار له
بقوله (وان تضم) العين فى الماضى (فاضممنها فيه) اى
الغابر نحو حسن يحسن وشرف يشرف و بناؤه لا يكون
الا لازما و شذ رحبتك الدار اى رحبت بك الدار فلما كثر
استعماله حذف منه حرف الجر تخفيفا فهو غير متعد
فى الحقيقة و قيل انما جعل متعديا لتضمنه معنى وسعتك الدار
وذكر الباب الخامس بقوله (او تنكسرنها فتح) اى اوان
تنكسر العين فى الماضى فافتحها فى الغابر وهذا الباب يجئ
متعديا كعلم يعلم وسمع يسمع ولازما كفرح يفرح و هو الاكثر
واشار الى الباب السادس بقوله (وكسرا عيه) اى احفظه
مقتصرا على ما سمع منه يعنى ان الباب السادس فعل يفعل
بكسر العين فيهما و يرد متعديا نحو حسب يحسب و ورث
يرث ولازما نحو نعم ينعم ووثق يثق وهو الاكثر (ولام اوعين)
اى احدهما الكائن (بما قد فتحا) بالف الاطلاق اى
فى فعل فتح فى الماضى والمضارع لابد من انه (حلق) يعنى
انه يشترط فيما هو مفتوح فى الماضى والمضارع من نحو سأل
يسأل وقتح يفتح ان تكون عينه اولامه حرفا من حروف
الحلق الستة الحاء والخاء والعين والغين والهاء و الهمزة
ولا يرد دخل يدخل ونحت ينحت وجاء يجئ وما اشبه ذلك
مما عينه او لامه حرف حلق ولم يجئ على يفعل بالفتح

(لانا نقول)

وممن اجتمعت به في مصر حال توجهي الى الحجاز من جملة العلماء، ورئيس الجهابذة الكرام سيد العلماء،
وتاج الأدباء العالم العلامة والمحقق الفهامة شيخنا الشيخ محمد الأشموني أدام الله تعالى بقاءه موقرا معظما
متمتعا به، إني كنت حين مجاورتي بالأزهر قرأت عليه مختصر السعد مع حواشي العصام وكان محررا محققا
مجيد اللسان ما رأيت أحدا من أمثاله في طلاقة لسانه وحسن عبارته حالة إلقاء الدرس
وبعد رجوعي من الأزهر إلى وطني أصيب بما هو في كريمتيه وذلك أنه خرج ليلة يوم التلي
مع أمثاله للتنزه وكان أهل الحكومة يطلقون البارود فأصابه البارود فأتلفها فعينت له الحكومة بعد ذلك.
معاشا كافيا للرأس ولعياله ولما اجتمعت به حفظه الله تعالى ذكرت له أني كنت كتبت لي إجازة عامة
ثم ضيعتها سندا له فما وجد أن تكتب لي أخرى بعجلة مع عذري وأرسلها إلي بعد وصولي إلى بلادي
فكتبها للمحب القريب جزاه الله تعالى عني خيرا كثيرا. آمين اهـ

ولما وصلت إلى مكة المكرمة حرسها الله تعالى اجتمعت فيها بكثير من علمائها وأفاضلها وأمرائها،
منهم شمس سماء الأعلام وغرة جبهة الأيام ودرة تاج الكرام الفقيه البارع والنابغة
الذي لم يشاركه في جميع أشتات العلوم شارع شيخ الحرم المكي ومفتي السادة الشافعية الشيخ
دحلان وكان كبير السن كبير القدر عظيم الجاه وأول اجتماعي به كان في داخل الحرم المكي قبالة
الكعبة المشرفة فأخذت عنه حديث الأولية وحديث المصافحة وحديث المشابكة وأخذتها مع غيري
أيضا، ثم لما قرب ارتحالنا من مكة المشرفة زرته في محله لوداعه وطلبت منه إجازة بمروياته فكتبها في الحين
وجمعنا سندا لا مع مروياته وأحالها على ثبت خاتمة المحققين الشيخ الأمير بعد أن ذكر شيئا منها والمسابح
ووعدني بنحو عشرة وتممت [illegible] أبقاه الله تعالى ملجأ للوارد وموئلا للطمأنينة. ثم بلغني أنه توفي

بالمدينة المنورة (عام [illegible])

ومنهم حجة الورى الأصلاح وحامل لواء الشريعة المحمدية بين الأنام ملتقى الأبحر الزاخرة ومجمع الأنهر الفاخرة في
دراية المعقول والمنقول وجامع جوامع الفروع والأصول إمام الأئمة ومجلي غياهب المشكلات المدلهمة
بالحجة البالغة ذو البراهين القاطعة اللامعة الشيخ رحمة الله الهندي الدهلوي القرشي العثماني من نسل
أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، إنه مؤلف الكتاب الموسوم بإظهار الحق في الرد على اليهود
والنصارى

والنصارى وغيرها وصيروا ما ديانة وعليهم بادلة من كتبهم المسلمة لديهم وبدلايل عقلية حتى الجم الخصم فلم يقدروا على معارضته ولم يتمكنوا من مناقضته فلله دره من مولف ما افصحه ومن كتاب ما الذه واحلاه اجتمعت به اولا في الحرم المكي فرأيته رجلا نحيفا متقشفا يلبس قميصا وسراويل وعمامة وكان سنه اذ ذاك تخمينا يناهز السبعين وهو قوي البنية قوي البصر غير [illegible] العربية ولم يقرأ تاما على العلوم العقلية والرياضية وكثيرا ما يعترض عبارته ويلوح عليه كلام الجرمنيين والعلماء، حصر على قلة اعتنائهم بذلك قال وقد شرعت في تدريس الحكمة لبعض الافاضل فانقطعوا ولم يداوموا وقد ذكر كتابه الاظهار المذكور بالظهير للفرج والسرور حيث صنف مدة طويلة بعد طبعه ونشره وترجمته بكثير من الالسنة الاجنبية ولم يقع من احد من الخصماء معارضته وقد ذكر ان الافرنج صار مدة معينة ذكرها هو وقد نسيتها اذا انقضت ولم يقع اعتراض على الكتاب والمولف فيكون ذلك من اظهار الحق وتسليما بما فيه قال وقد انقضت تلك المدة ولله الحمد ومن محاسن هذا الشيخ حفظه الله تعالى انه بنى مدرسة بمكة المشرفة لتعليم الاطفال القرآن بالوجوه والتجويد وبعد ان يتم الصبي القرآن يتعلم بها العلوم اللازمة من عقايد ونحو وصرف وحساب ونحو ذلك ويجعل لهم امتحانا في اثناء السنة وفي ابان اوان الامتحان يحضر كبار العلماء والوالي واعيان البلد ويدعي في محلهم بحضرة الامتحان من قراءة القرآن ويحضروا لهم الطعام ويشربوا القهوة والشربات ويدار عليهم ماء الورد ويدعى بالدعاء عند التمام للسلطان وللدولة العلية بالنصر والظفر ولا يباشر هو تعليم الصبيان بل جعل لهم معلمين ورحا رتب بهذه المدرسة والمعلمين من اهل الخيرات والمحسنين بالمعروف من اغنياء الهنود جزاهم الله بخير وهذا اعانة المامورين فالله تعالى يثيبه في جميع [illegible] وانتفاع الخلق به امين

ومنهم العلامة الهمام مفخر زينة الاسلام العالم النحرير الفاضل الشهير المفتي الحنفي الشيخ عبد الرحمن سراج الدين وكان وقته مفتي مكة المشرفة نايبا بالطايف ثم رجع من الطايف مريضا فلم اجتمع به الا مرة واحدة بعد دوائه مريضا في داره وكان اذ ذاك [illegible] لاهل السنة والمعنى ما حضرت في المذاكرة معه في بعض المسايل الفقهية وكنت قبلا انا اطلب للوقت ما سيلت عن مسالة تتبعت ما بين يدي من الكتب الفقهية فلم اجدها منصوصة فاجبت السايل بنوع والله تعالى اعلم وجئت هذه المسالة في خاطري واحببت فيما الح الوقوف على جوابها منصوصا وهي ان جماعة يملكون عقارا ابا لارث عن اجدادهم الاقدمين فهم شركاء فيه ولا يدري كل واحد منهم الجزء من ذلك العقار فباعوه جملة واحدة في صفقة واحدة لرجل هو ايضا لا يعرف نصيب كل واحد منهم فقبله منهم وتسلمه ثمنا معدودا معلوما ودفع لهم الثمن فعلى [illegible] هذا البيع

الحولت ونقرمنا الله تعالى علي بالاجتماع في العالم العامل والسيد الورع الكامل العلامة سيدي عبد الله السنيهي
الذي هو من خلفاء مولانا الاستاذ الاكبر والقطب الانور الشيخ سيدي محمد السنوسي [illegible] سنة
[illegible] وقصعيني [illegible] ذكر الطريقة الشاذلية والسنوسية الخرقة وناولني السبحة والمعنى الاسود [illegible]
[illegible] واجازني بالطريقة المذكورة وغيرها من الطرق الاربعين التي احتوى عليها السلسبيل تاليف الشيخ السنوسي
المذكور واجازني بجميع الكتب والعلوم التي احتوى عليها المنهل الرائق تاليف الشيخ المذكور وبجميع مروياته
ومقروءاته اجازة عامة مطلقة تامة بعد ان قرأت عليه الاوليات وهو [illegible] سنة مات الشيخ
عبد الله المذكور عليه سحائب الرحمة والرضوان ومما اجازني به ايضا المنهل والسلسبيل المذكورين الشيخ سيدي
محمد الطاهر الفزانسي والشيخ سيدي الحاج ابو القاسم العيساوي اما الاول فقد مات في [illegible] الاربعين [illegible] رحمه
الله تعالى واما الثاني فهو الآن في قيد الحياة ابقاه الله تعالى بحفظه ونفع به امين. ثم اجازني الشيخ الطاهر المذكور
بكتاب الشفا للقاضي عياض [illegible] عن شيخه الاستاذ الشيخ السنوسي المذكور عن شيخه سيدي احمد [illegible] عن شيخه
[illegible] الى سيد الخلق صلى الله عليه وسلم والمقصود من مثل هذه الاجازة التبرك والتيمن بالسلك المعتاد 6
[illegible] عشر محرم سنة 1301

(

ما يلي في كتاب الترغيب والترهيب للعلامة عبد العظيم المنذري ما نصه وعن المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان يكون بافريقية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال اذا اصبح رضيت بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فانا الزعيم لآخذن بيده حتى ادخله الجنة رواه الطبراني باسناد حسن
[illegible] الصحابي المذكور من صحابته [illegible] وقد ترجم صاحب نفح الطيب سيدي [illegible] المذكور وعده
من جملة من دخل الاندلس وقال انه لم يوجد عنه الا هذا الحديث يعني الذي ذكرناه [illegible] وجد مكتوبا على حجر
قبر لامرأة [illegible] رضي الله عنه ما نصه

قد [illegible] منيذر صاحبها [illegible] ومن المروءة ان يجار الجار
ها انا [illegible] محمد [illegible] ومن النار

والصحابي السيد المذكور رضي الله تعالى عنه متواتر [illegible] جيلا بعد جيل [illegible]
والتواتر يفيد القطع نفعنا الله تعالى به وبسائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم بعليّ وليّي والمصطفى نبيّي

يا من إليه وجّهت وجهي، وبإسنادي عليه اتّجهت لوجهي
فعلّمت بالقلم ما لم أكن أعلم، إذا ارتضعت ثديي العلماء
وارتضيت هديي الكرماء، أولئك آبائي، ومشكاة أنبائي
أحمده حمداً استرسل وأشكره شكراً استسلسل
بأسمائه الحسنى، وصفاته الحسناء، وعلّم ما علّم آدم الأسماء
من جلائلها تبيّن الأسما وأرفع يداً كفّها باسطه
مصلّياً ومسلّماً على خير واسطة، متّصل الأضداد
ومتواصل الأمداد، عنصر الدراية، ومعدن الرواية
وعلى آله سموم العداة، ونجوم الهدى، صلاةً وسلاماً
مرسلين دائمين متلازمين متواصلين، ما أجيز
مجيز وأجيز مستجيز، وما قطعت الفيافي للفضائل
رجال حواف، ورجعت إلى وطنها بخواف رجال بادون
وخواف، أمّا بعد فقد أصبح إصباح مصباح الفضل
وجنح خافض الجناح بعد جماح وعضل، حتى إذا أشرقت
من فضاء المشرق شمسه، جرى ذهبها على المغرب
فضاء أمسه، كأن كواكب الأنوار، ومواكب الأسرار
ما راق منها لم يشرق، من حزن المغرب في المشرق فسبحان
مجري الشمسين والقمرين، ربّ المشرقين وربّ المغربين
ثمّ لم تزل تلك المنّة من قديم الزمان سنّة
يتوارثها جيلاً بعد جيل جليلاً بعد جليل أخذها عن جليل و

الهان

ابدل كانتها نوراً حتى إذا الخ
بنوراً حتى إذا أشرقت من المشرق شمسه
جرى ذهبها على المغرب بما في الخطوط
منه ١٥
من خطّه استاذنا المجيز يحيى ...

الى ان انتهت الينا، وحلت بين يدينا، فاستنارت ولا
نهار ولا صباح، واستضاءت ولا استصباح بمصباح
بطالع هلال السعد، وكوكب سماء المجد، عين انسان
بني الزمان، وانسان عين اولي العرفان، ذي الصفاء
والوفاء الشيخ محمد بن مصطفى المغربي الطرابلسي ثم
التمبنغي ونجح عمله، وبلغه امله، حيث لاح لوح
النجح، وواصل وصال الانجح بسوق العيس، وتواصل
المسير، الى منيف بيت حرم الازهر المعمور، والحلول
بشريف مجاورة اولئك البدور، ليلتقط الدراري الحسان
من كل انسان هو نعم الانسان، شعر

خال الورى انه للفضل منتسب ٭ فغادروا ان من غاب الفضلاء

فانه اسعاد الجد وشمر عن ساعد الجد، وبذل كل
المجهود ابتغاء المقصود، وصبر صبر الكرام،
في تحصيل المرام، ولو بعد مهتداه، او بآل جهده،
في تحصيل ما فيه راغب، والتنصل مما عنه راغب،
حتى بلغ ما به تحلاه، وفوق ما قد امله، وكفته نسبته
فضله، وسبقت سوابق فضله، وعلم واعلم، [illegible] ح
وفهم وافهم، وافاد واستفاد، ولعاد واستعاد،
ولقن ولقن، ويقن ويقن، وعاج وعج عليه،
وسعى وسعي اليه، فلا جرم صفا لبه، وصفى
للحكمة قلبه، وكان حريا ان ينزل منزلة السها

الحمد بالاكرام الجزيل بل نعم خلاصه
ولهم الاجتهاد في الشيخ ع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وبه نتقي وعليه اعتمادي

الحمد لله الذي جعله في ذرية من اصطفاه ووفق للقيام بحق العبودية
من ارتضاه والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد كافة الخلق اجمعين
وعلى آله واصحابه وقرابته والتابعين اما بعد لما كان وجود السند
من قواعد الدين والسعي في بقائه يدرك من داب المحصلين ومن ليس له سند
كالدعي في قومه فقد طلب مني الامام الفاضل واللوذعي الكامل اخونا السيد
السيد حسين الشيخ مصطفى الطرابلسي بعد ان شمر على ساعد جده وبذل همته في التحصيل
بغاية جهده ان اجيزه بما تحق لي روايته ودرايته وبما تلقيته عن اشياخي
الجهابذة الكرام واجازوني به ظنا منه اني اهل لذلك والله اعلم بما هنالك
فامتثلت وبالله التوفيق واسأله بمنه ان يهديني لاقوم طريق فاجزت
حضرة اخينا المذكور بما اجازني به اشياخي وما تلقيته عنهم واجازوني به
من منقول ومعقول وذلك بالشرط المعتبر عند اهل الاجازة وان لا ينساني
من صالح دعواته في خلواته وجلواته وان يتمسك بحبال التقوى
فانها السبب الاقوى نفعه الله ونفع به وان يجمعنا في جنات النعيم
انه رؤوف رحيم جواد كريم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله
واصحابه اجمعين

الفقير لربه الغني
عبد القادر الرافعي
الفاروقي الحنفي
خادم العلم
بالازهر
عفا عنه
ربه

الحمد لله وحده

حمدا لمن شهد من اجتباه لحضرته بكمال المعارف والافكار

وفتح لهم ابواب الاقتباس والاستبصار في فضاء التجليات والانوار

وكشف لهم عن الجمال والجلال الذي يتجلى للعارفين في الاحوال

وصلى الله وسلم على صفوة الصفوة محمد بن عبد الله رسوله

ومصطفاه من احبائه واصفيائه وعلى عترته الكرام وصحابته

ذوي الشيم ابناء هم وبعد فانه لما طلع في فلك العلوم

بدرا وكان سعده ضوءا وفجرا الفقيه العالم اللبيب

اللطيف الذي الدين الشيخ محمد بن الشيخ مكي بن

محمود بن يوسف بن سليمان الطرابلسي اصلا الحنفي مذهبا

الازهري غراسة وجوارا وتربية ملتفعا للازاهر في رياض

العلوم في تلك الاطلال والربوع واعتكف في بقاعها ادهرا

وسادة من ازمنة واشهرا واقتطف من اغصانها الثمرا

من حين اقتبال شبابه وتعاطى في تحصيله اسبابه

حتى كاد بحمد الله والمنة لله صيته دررا وصار فيه نطاسيا وغررا

جساد به على الاتراب والاقران واشتهر فضله وكماله

في ذا الاوان وفي الكريم من شيد الله به حصنا يجعله من

الدين وكان ممن حضر درسنا بالازهر اقتطف من دنانير

من فيض فضل الله وجزيل احسانه ابلى واتم ... طلب منا الشيخ
...وجميل سريرته ان نجيزه على وفق العادة
وسنن اسنادها علينا دعوته وفضلنا
بهمته وابرنا بخلوته فنقول اجزت
الفقيه المذكور اجازة عامة شاملة تامة في
المنقول والمعقول وعلوم الشريعة الواردة عن
مولانا الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك على
وفق ما اجازنا به اشياخنا السادات
المغاربة والمشارقة جزاهم الله عنا افضل
الجزاء وسلك بنا سبيلهم الى دار الجزاء على
نهج يرضي ربنا ويحصل من نبينا ثم اوصي المجاز المذكور
اعلاه بتقوى الله لنا ... بينا ... اما و... الموتى
به كما ... من التقوى فقال تعالى ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
واياكم ان اتقوا الله فبالتقوى ... كل
امر وساد واستنار ... ...
فاستفاد وافاد واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين
وفي الثاني والعشرين من شعبان الابرك عام ١٢٦٥
عبد ربه محمد المهدي بن الكامل ... ختم
ابن سودة القرشي ... وفقه مولاه

الحمد لله الذي اطلعنا على شريعة المصطفى ولقن وحبا من اختار من عبيده واصطفى
ستي تسلكوا مسلكا اقامت به اهل السعي والصفا وصاروا من الذين اولوا الحكمه والصفا

شعرا

يارب كفي اليك باسط ويدي تقبل دعاي بخير منك ياسيدي رد السلام وحي طلعة الافقي
شمس الضحى برق نجد لاح من بعدي ابو المعالي النبيه فارس الكرمي يا مصطفى نلت سعد اكان من اسدي

واشكر عبيد الله دره فارسا محمد المسمى نال بالمهدي (ابو الشيخ) هـــــــذا وقد حل
الراغب في حديقة رياض الانس وجنا من معاني الازهار الفرع والانس واني اسال الله
بلسان التضرع والخضوع ان يمن علينا وعليه باتباع الحق مع الزهد والخشوع فالمــا
تمنى هذا الشاب الذكي وسار حتى بلغ المنهل المكي وشرب ماء عذبا من صدور الرجال
وصار يضاهي كل حبر في نفحات الوصال ثــــم طلب مني الاخ الصادق ان اسمح
له اجازة تبركا وتواضعا منه كما هو عادة الرجال الكمل جزاه الله عنا خيرا وكيف
يحتاج فيض النيل للانهار وقمر الليل اذا بدا ذهب به شمس النهار فقلت اجزتـــه
الفقيه النبيه العالم العلامة الحسيب النسيب الحبر الشيخ محمد بن مصطفى الطرابلسي منشئا
الازهري مجاورة وقراءة المالكي الحنفي مذهبا فيما تلقيته عن اشياخي كلهم قراءة في الدرس
ومطالعة وغير ذلك نفعنا الله بهولاء السادة الاعلام وجعلنا الله واياهم في زمرة الاسلام
بجاه الانبياء والرسل الكرام ومن اقتفى اثارهم من العرب والاعجام كان الله في عوننا الجميع
بجو زمزم والبقيع يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه وسلم
ثم اوصيك واياي ايها الواقف على هذا الباب بتقوى الله يوتيك الحكمة وفصل الخطاب
قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال وما يذكر الا اولوا الالباب
وقال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات
في ١٠ اخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

[illegible signature, date and seal]

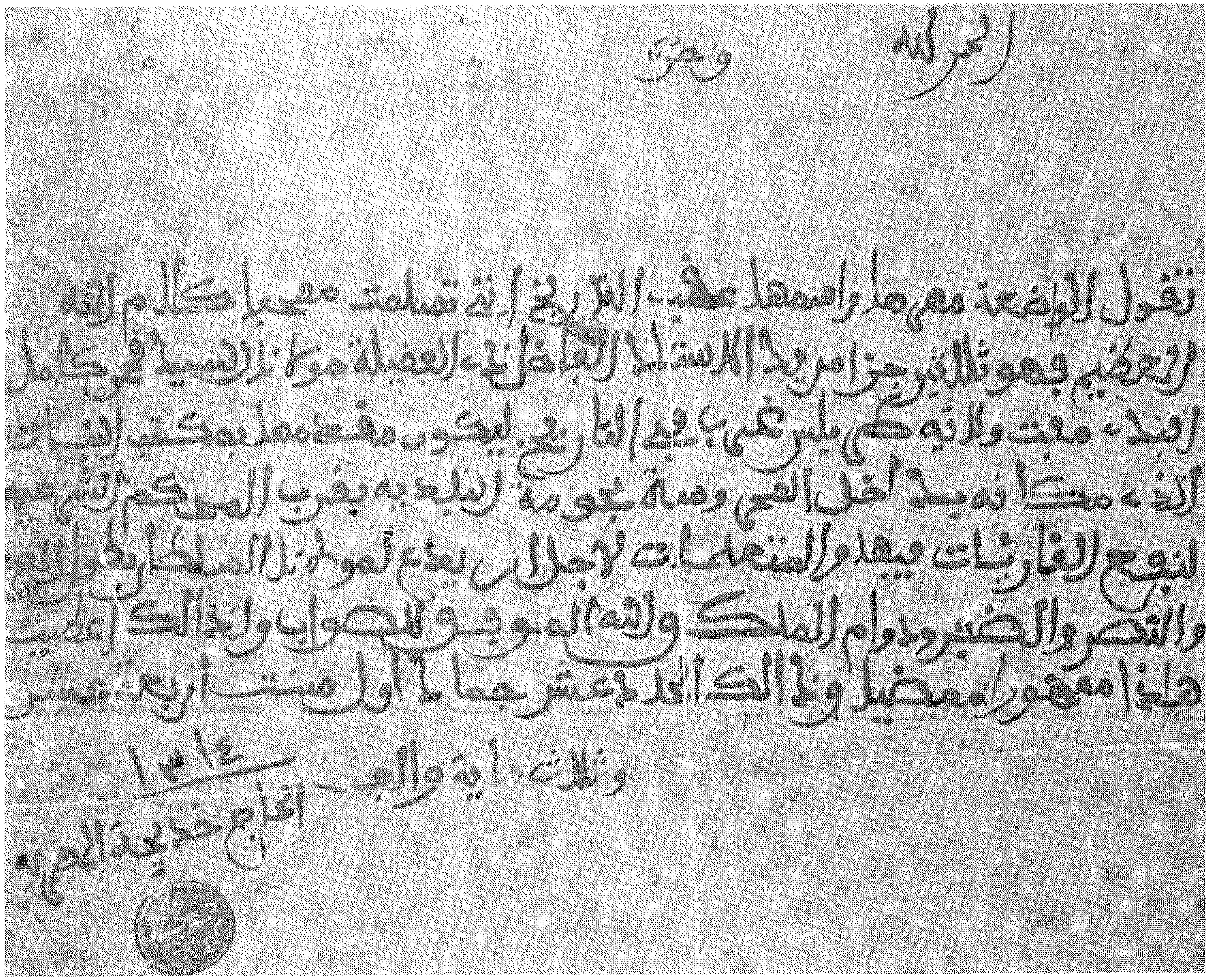
الحمد لله وحده

تقول الواضعة مهرها واسمها عقب التاريخ إنه تعلمت معي بأكمل كلام الله
العظيم فهو ثالث جزء من يد الاستاذ الفاضل في العيلة مولانا السيد محمد كامل
افندي مفتي ولاية طرابلس غرب في التاريخ ليكون مقصدها بمكتب البنات
الاخرى مكافأة بيد أهل العلم وسماه بجومة ابلغ به يقرب الحكم الشيء عنه
لتبع الفارسيات فيها والمتعلمات لاجل ان يدعو لمولانا السلطان بطول العمر
والنصر والظفر ودوام الملك والله الموفق للصواب ولذلك أعطيت
هذا ممهورا ممضيا وذلك في الحادي عشر جمادى الأول من سنة أربعة عشر
وثلاثمائة والف

١٣١٤

الحاج خديجة المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

هذا تقرير شيخنا ابن مصطفى متعنا الله به آمين

حمداً لمن جعل الكلي مباديه وجعلهن المنطق

وآلة تقطع بها الاعادي وصلاة وسلاما على وا

ضح البرهان سيدنا محمد وآله وصحبه والاعوان

أما بعد فيقول محمد بن مصطفى بن محمود الحنفي

عامله الله بلطفه الخفي لما ورد الشروع في مطالعة

بعض كتب المنطق الذي معرفته كلا أو كثير يلطف جمعت

كليات تتعلق بمباديه بها يكون على بصيرة متعاطيه

وذيلتها بكليات لطيفة على البسملة الشريفة

فقلت وبه أستعين فإنه لمن استعان به لنعم المعين

اعلم أيها الحريص على ازدياد حفظه النفيس على

اقتناء عقله يجب صناعة على كل شارع في فن

أن يتصوره بوجه ما ولو باسمه لاستحالة توجه

النفس نحو المجهول المطلق والأكمل تصوره بتعريفه

حداً أو رسماً ليكون على بصيرة في طلبه فإنه إذا لم

يتصوره به أحاط بجميعه إحاطة إجمالية بأمر

شامل له يضبطه ويميزه عما عداه بخلاف ما إذا

تصوره بغيره فإنه وإن كان في التوجه إليه لا يكون

على بصيرة فيه فيخبط خبط عشواء وإن عرف

علي الحسين الصادق
ص. ب 12124
هـ 42700
طرابلس ليبيا

موضوعه ليمتاز لديه عن غيره اتم تمييز وان حصل بتعريفه
تمييز ما اذ بالموضوع تتمايز العلوم بعضها عن
بعض حتى لا يكون بينها اشتباه بوجه وان يعرف
غايته المترتبة عليه فانه اذا عرفها علم
انها تليق به وتناسب غرضه اولا فان ناسبته به
انشرح لذلك العلم صدره وزاد في تحصيله جده
ولم يخرج منه على طائل او لم يناسبه تركه ولم ياخذ
في تحصيله البتة واما اذا لم يعرفها فربما جد في تحصيله
زمنا طويلا واذا الغاية لم تكن غرضه فيكون جميع
سعيه هباء وابطال الفعل تضايعه ويتاكد
عليه معرفة باقي المبادي ليزداد تمكنه من
مطلوبه وهي منحصرة في ما اخذه الذي اخذ منه
وواضعه واسمه ومسائله ونسبته من بقية
العلوم وحكمه شرعا وفضله وقد جمع العشرة
من قال مبادي اي علم كان حد وموضوع وغاية مستمد
مسائل نسبة واسم وحكم وفضل واضع عشر العد
فنقول المنطق علم يتوصل به من امور حاصلة
في الذهن الى امور مستحصلة فيه بالامور الاولى
الضروريات التصورية والتصديقية والثاني النظريات
فات منهما وموضوع العلوم التصوري والتصديقي
من حيث

قوله المنطق فاذ ... للنسخ في بعضها النظريات
تامل

من حيث ان الاول يوصل الى مطلوب تصوري كالانسان
ويسمى معرفا وقولا شارحا والثاني الى مطلوب
تصديقي كالعالم حادث ويسمى حجة ودليلا
وانما قلنا موضوعه ذلك لان موضوع كل علم ما يبحث
فيه عن عوارضه الذاتية اي التي تلحقه لذاته فموضوع
علم الفقه مثلا افعال المكلفين لان الفقه يبحث فيه
عنها من حيث الحل والحرمة والصحة والفساد
وموضوع علم الاصول الادلة السمعية لان الاصول يبحث
عنها من حيث استنباط الاحكام الشرعية منها
وموضوع علم الكلام ذات الله تعالى اذ يبحث فيه
عن صفاته وافعاله اما في الدنيا كحدوث العالم واما وافعاله
في الاخرة كالحشر للاجساد وعن احكامه فيهما
كبعث الرسول ونصب الامام والثواب والعقاب
والمنطق يبحث فيه عن المعلومات المذكورة
لان المنطقي يبحث فيه عنها من حيث انها توصل
الى مطلوب تصوري كالبحث عن الحيوان واثبات الحد
الجنسية له وعن الناطق واثبات الفصلية له
وانها اذا ركبا مع تقديم الجنس على الفصل وصلا الى
امر مجهول تصوري هو الانسان او الى مطلوب
تصديقي كالبحث عن الانسان حيوان والحيوان

متحرك والنظر افكار كلها وصلا الى امر مجهول تصديقي
وهو الانسان متحرك فالمنطق انما يبحث عن المعرّفات
التعريفات ومباديها الى الكليات الخمس وعن
(ومن القياس) الحجج ومباديها وما يتعلق بذلك من ادلة
وعكوس (عكوس) وتناقض وغايته ومنتهى والفائدة و
العلة والغرض متحدة ذاتا مختلفة اعتبارا فالمصلحة
الحاصلة من الشيء من حيث انها في طرف الفعل
وآخره تسمى غاية ومن حيث انها ثمرته ونتيجته (ثمرته ونتيجته)
تسمى فائدة ومن حيث انها مطلوب الفاعل بالفعل
تسمى غرضا ومن حيث انها باعثة للفاعل على (باعثة)
الاقدام على الفعل وصدور الفعل لاجلها تسمى (الاقدام)
علة غائية وهي الاحتراز عن الخطأ في الفكر وهي (علة غائية المنطق)
ترتيب امور معلومة ليتوصل بها الى امر مجهول
وارتسمت فائدته في تحصيل الامور النظرية
من الامور الضرورية ومعرفة كيفية التعريفات
الصحيحة والفاسدة منها ومستمد العقل
وواضعه ارسطاطاليس فانه استخرجه من
عقله واسمه المنطق وسمي بذلك لان المنطق
قد يطلق على الادراكات الكلية وبهذا العلم
يقويها ويصححها ومسائله القضايا
النظرية

(والجامعة)

ويسمى ارسطو لو في الكتب اليونانية ارسطاطاليس معنوي كفر بهذا الفيلسوف افلاطون وهي بهذا وانه وهو ... رجله ... شيخنا ... يعني

النظرية الباحثة عن هيئة المعرفات والأقيسة
وما يتعلق بهما المعبر عنه عليهما فيه ونسبته
لسائر العلوم التباين لأن موضوعه لما اعتبرت
فيه الحيثية باين ما سواه وكذلك باعتبار مفهوم
من وحدة فيباين بقية العلوم وحكمه وقع فيه
اضطراب فقيل بالحرمة وقيل بالجواز وقيل إن كان
المشتغل به ذكيا جاز وإلا فلا وهذا كما في مواد
السلم في المخلوط بكلام الفلاسفة وأما المهذب
والمصفى كالسلم ومختصر ابن عرفة والتهذيب
ومختصر السنوسي وأبي ساغوجي من كل كتب أهل
ضل أهل السنة فلا ينبغي أن يختلف فيه بل لا يعد
عنه كما في اليوسي إلا من لا عقل له لكونه لا يستغنى
عنه في شيء من العلوم وفيه كما قال العلامة السنو سي
فكل العلوم طوع البال لأنها علم تصور وتعريف
وذلك هو نظم المنطق ولذا قال أثير الدين في
أول رسالته أوردنا فيها ما يجب استحضاره لمن
يشرع في شيء من العلوم وقال أبو علي الماكري هذا
الفن لا يعطيه الله بكماله إلا لمن أحبه أو لمن أراد له
معرفة الله تعالى تكون به وقال الغزالي من
لا معرفة له بالمنطق لا يوثق بعلمه وسماه

بمعيار العلوم ومنه قوله

حكمة المنطق شيء عجب واختلاف الناس فيها عجب

كل علم فهو قانون له ... وبه يدرك ما يستصعب

ولمن يعبس من لم يدرها ... نظرة توجيه ما لا يجب

وكذا ينظر من يبسله ... ادب عمى لديه الادب

الا يوسي وصحح العلامة العدوي والصبان والملوي وابن سعيد بانه فرض كفاية لانه يتوصل به الى رد الشبه وحل المشكوك في علم الكلام الذي هو فرض كفاية وما يتوصل به الى الواجب كفاية فهو واجب كفاية وأما فضله فلانه يعرف كثيرا من العلوم ويزيد نفسه عليها الخ جملة البسملة يصح ان تكون جملة البسملة خبرية مخبرا بها عما يحقق في الحال والاستقبال من تاليفه وان يتلفظ بها كما هو شان الخبر الصادق فلا يقال ان كلامه مطابقة الاسم الا بتعلقاته تتمة الخبر وهما الا يتحققان الا بحقائق الالفاظ لانا نقول هل اركانا من تتمته ليبين بدونه بل هما متعلقاته الخارجة عن حقيقته وقيد فيه وان توقف مضمون الخبر شرعا عليهما لان ذلك التوقف لا يقتضي الجزئية وايضا فالمتصف بالخبرية والانشائية انما هو الكلام وهو ما تفهم من الكلم اسنادا مفيدا مقصودا لذاته لا متعلقاته والاشكال والجواب مبنيان على ان

ضابطة اسم

المطلوب

نية اضافة اسم الى الجلالة من اضافة العام الى الخاص وبيانا
وجعلنا الاسم مقحما لو المراد به المسمى وكانه قيل بالله
فيكون حكما على معنى الوصف النفسي وهو الذات
العليه والمعنى اصنف مثلا مستعينا او مستصحبا
لها مصاحبة تبرك فلا اشكال الا ان كلا من الاستعانة
والمصاحبة متحقق في نفس الامر ولا يتوقف على التلفظ
ببسم الله وهو اللفظ حكاية له فالاولى انه يجوز على التقدير
ين الاولين ان اللفظ حكاية عما حصل به كما في قولك
مخبرا عن تكلم حصل بهذا اللفظ ويصح ان تكون الاستثناء تكلم
المتعلق هو المصاحبة او الاستعانة ولا يلزم ان
اصف يكون الفعل غير مقصود لان القائل اصنف بسم الله
يقصد الاتيان بذلك الفعل مستعينا على تحصيله
ووجوده ببسم الله فهي بمنزلة الالة التي يتوقف
كالسبب عليها وجود الفعل وينعدم بانعدامها وكالسبب في تحصيل
ذلك الفعل العادة العروج حواشي الهدهدي نقلا عن العروض
شيخه في قوله لان كلا من الاستعانة والمصاحبة
متحقق بنفس الامر نظر بل الظاهر انهما لا يتحققان
الا بالتلفظ فان الاستعانة بمعنى طلب الاعانة متو الإعانة
قفة على التلفظ قطعا وكذلك المصاحبة التبركية لا تحصل
الا بقول بسم الله واما مجرد النية فلا يكفي فيها وقوله

وقد جمعت العشرة واشرت الى امثلتها

في قولي اذا ما رمت ان ترقى المعالي · محيطا للمقولات العوالي

فجوهر كم كيف والاضافة · واين وضع بعل ان ينفعل

وتاسعها المتى واختم بملك · وان شئت الوضوح بها مثالي

فجوهر جسم كبير ثم كم · كطول ثم كيف كالجمال

بنوة الابن مثل الاضافة · واين كالحصول بدار والي

ووضع نحو قام له مثال · وبعل نحو سخن للعيال

وكانكسار الزجاج للانفعال · متى كالكون في احدى الليالي

وملك نحو عمتنا تنزول · ويكتنفها الرحيم ذو الجلال

ومن بحر يدي يصلي · على خير الورى بكل حال

كذاك لال ما فاستطرهن · بها نظمي يفوق على اللآلي

وقولي كالحصول بدار والي اي كحصول جسم بدار شخص وال وقولي نحو قام اي مدلول قام من التضمن وهو القيام وقولي نحو سخن اي التسخين الماخوذ من سخن وقولي كانكسار الزجاج للانفعال اي والمثال للانفعال كالانكسار الماخوذ من انكسر وقولي متى كالكون في احدى الليالي اي كحصول الجسم في ليلة الجمعة مثلا وقولي نحو عمتنا تنزول المراد بالعمة العمة الحسية اي الاوساخ الظاهرية

الظاهرية المضحكة بالبدو او بعضه
اذا علمت ذلك علمت ان البسملة باعتبار
بعضها مندرجة تحت مقولة الكيف فهي
من الكيفيات المحسوسة لحاسة السمع
وباعتبار معاني الفاظها من حيث هي
معاني اي صورة ذهنية قصدت باللفظ
مندرجة فيه ايضا لانها من الكيفيات
النفسانية اما باعتبار كون مدلول لفظ
الجلالة ذات الرب تبارك وتعالى فمما
يجب صون اللسان عن الكلام فيه من مثل هذه
الامور فان المقولات اجناس عالية للجوهر
والعرض وهو تعالى يستحيل اتصافه
بواحد منها والرحمن الرحيم ان اطلقا
عليه تعالى فيقال فيهما ما قيل في الجلالة
فان اطلقا على غيره كان ذلك من
مقولة الجوهر والله اعلم وبالصواب
احكم والحمد لله رب العالمين

وله ايضا حفظه الله تقييد البيتين

علم المقولات علم ليس يدركه الا رجال الفطر اذ في ادراك
اي علم تكرر فيه الادراك فيه ملاك ... اليه وكم ... ركه بالكد ...

اوفر جمع بعضها مثله زيد الطويل الازرق ابن مالك ببيته بالامس كان متكي بيده غصن لواه فالتوى فهذه عشر مقولات سوى الجوهر و... الكيف الملك ...

فائدة طرق القضايا سبعة بينة واقرار ويمين

وابن عرفة قضايا سبعة بينة واقرار ويمين
ونكول عنه وقسامة وعلم ما خرج عن بينة
فالعلم ونظمها شيخنا حفظه الله تعالى فقال

اذا مارمت طرقا للقضاء
تحذها سبعة دون امتراء
يمين والنكول القسامة
واقرار وبينة الادعاء
كذاك علم قاض بالقضية
وسابقها التغابي القضاء

وله ايضا بما يسقطه بالموت
ويسقط بالموت الخاص دينه
كذاك ضمان العتق والنفقات
وكفارة ثم الهبات ووجهه
لمذهبنا ان الجميع صلات

وله ايضا
فقيمة الفوت في يملك متاعا
من الدنيا اقل من النصاب
ومالا شيء لديه
لمسكين يلي مع التراب
وذا مذهب الامام ابي حنيفة
وقال الشافعي بالانقلاب

قوله ضمان العتق اي اذا اعتق احد الشريكين حظه معسر
موسر وجهه بشريكه جهات
المصنف فيره الشيخ

علي الحسين الصادق
ص.ب 12124
هـ 42700
طرابلس ليبيا

مشاهد من مدينة طرابلس الغرب
على عهد مترجمنا
الشيخ محمد كامل بن مصطفى

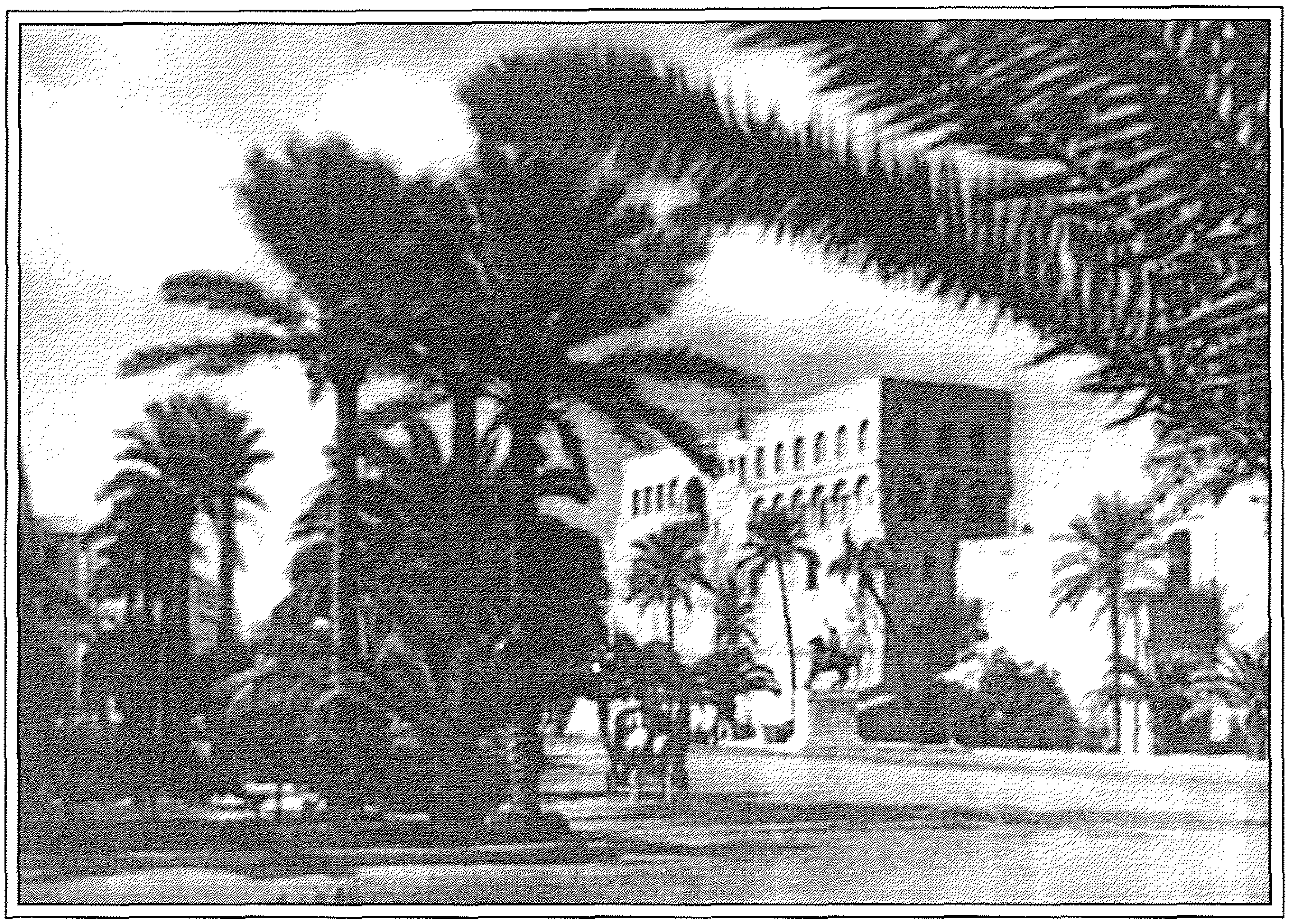

السراي الحمراء بطرابلس الغرب بمنظرها الجميل المميز

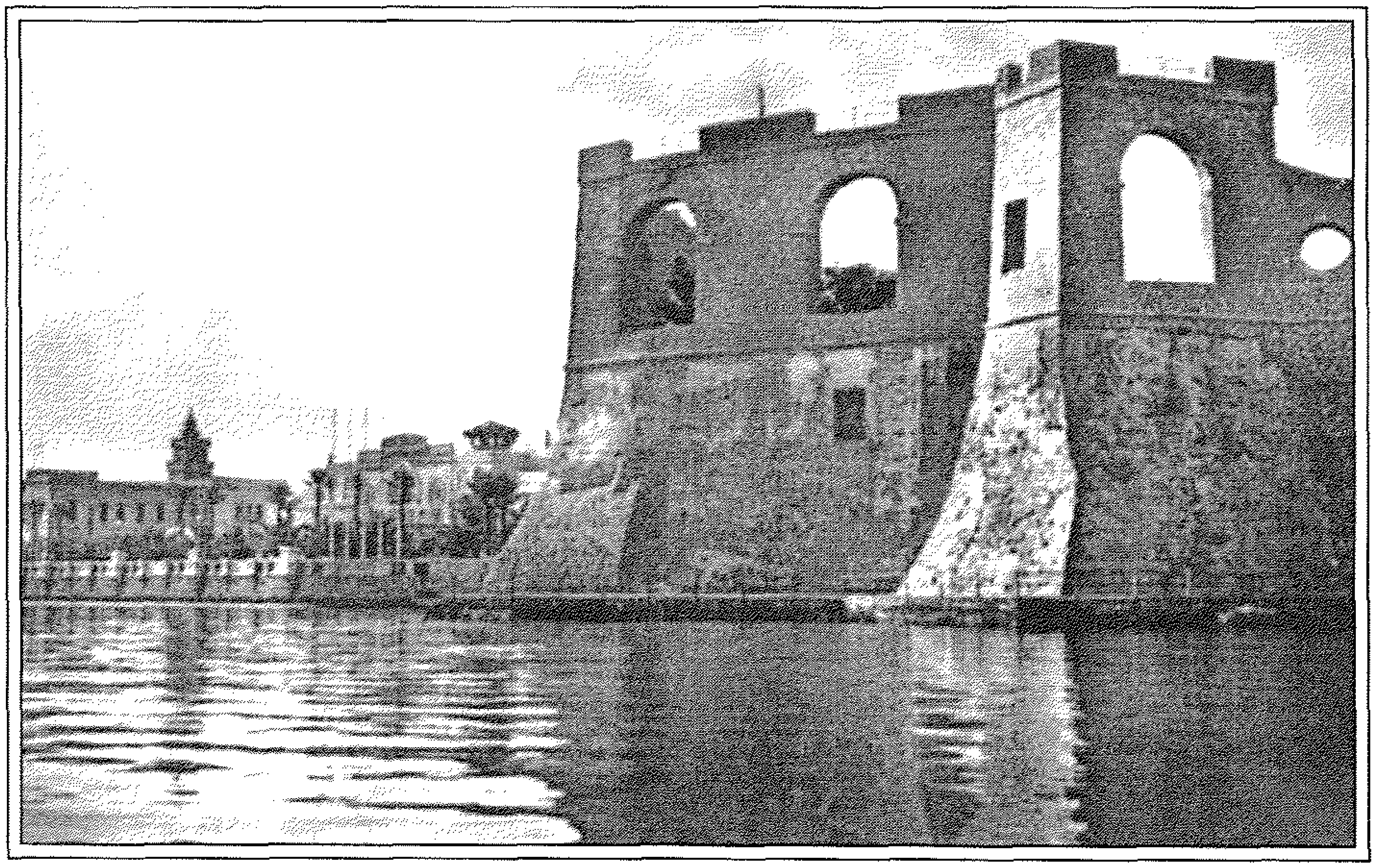

مشهد السراي الحمراء التي كانت تضم مجلس الولاية
الذي كان الشيخ محمد كامل بن مصطفى عضوًا فيه

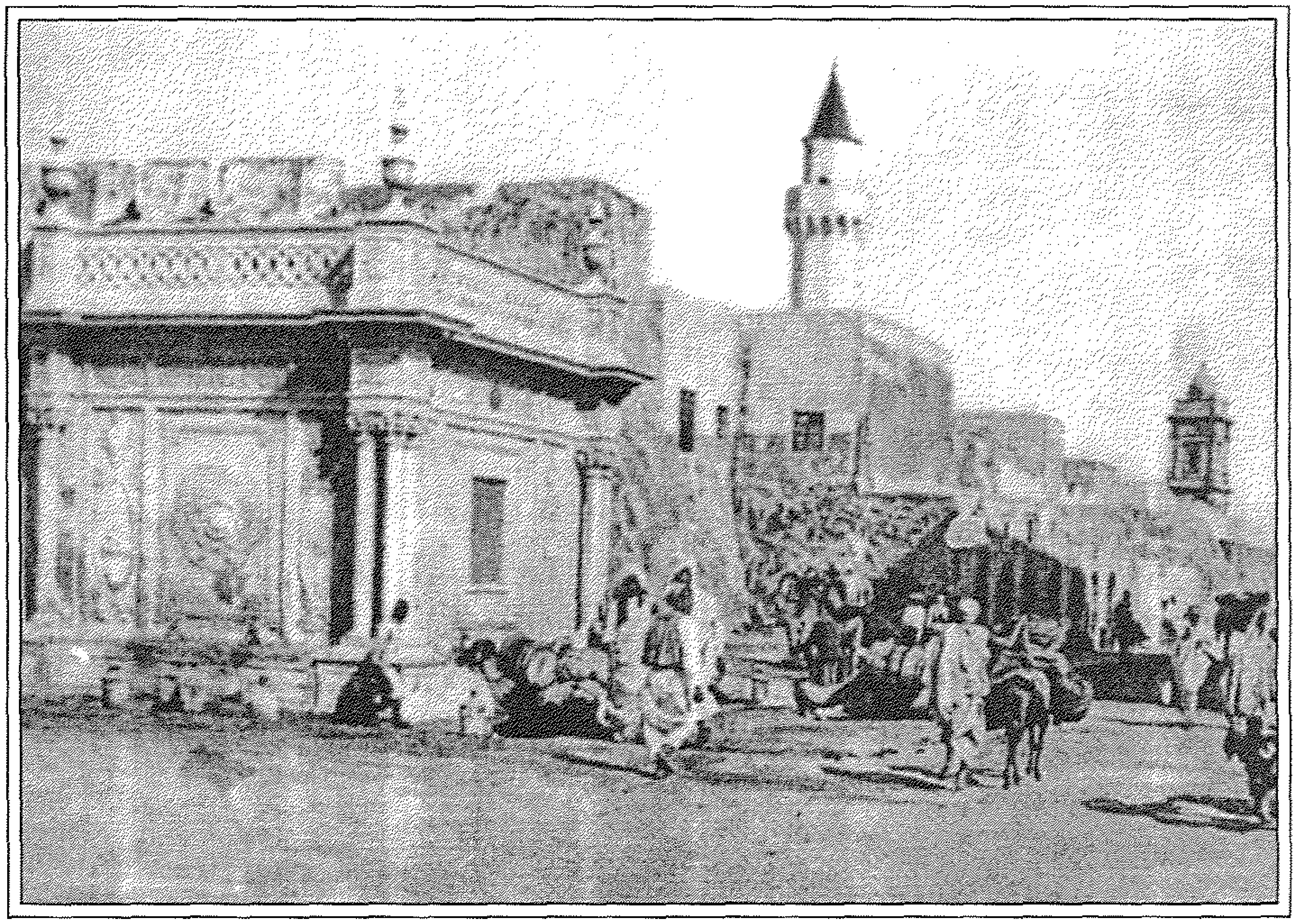

جانب من مدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني

شارع العزيزية المنسوب للسلطان عبد العزيز في العهد العثماني الثاني

سوق المشير رجب باشا بطرابلس، وتظهر فيه الساعة التي بناها علي باشا الجزائري

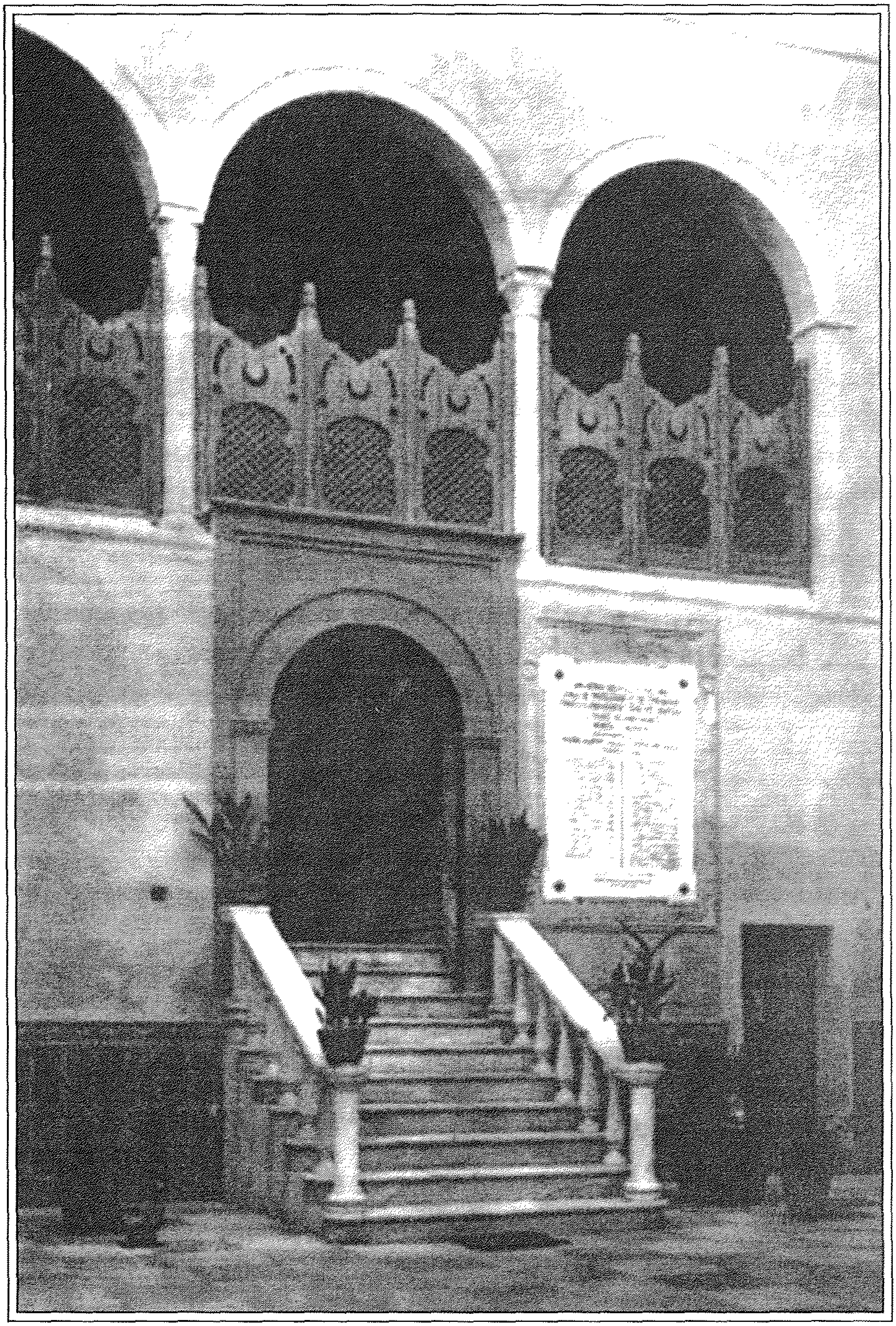

من داخل السراي الحمراء حيث مجلس الولاية

مبنى مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية الذي شيّده سليمان نامق باشا

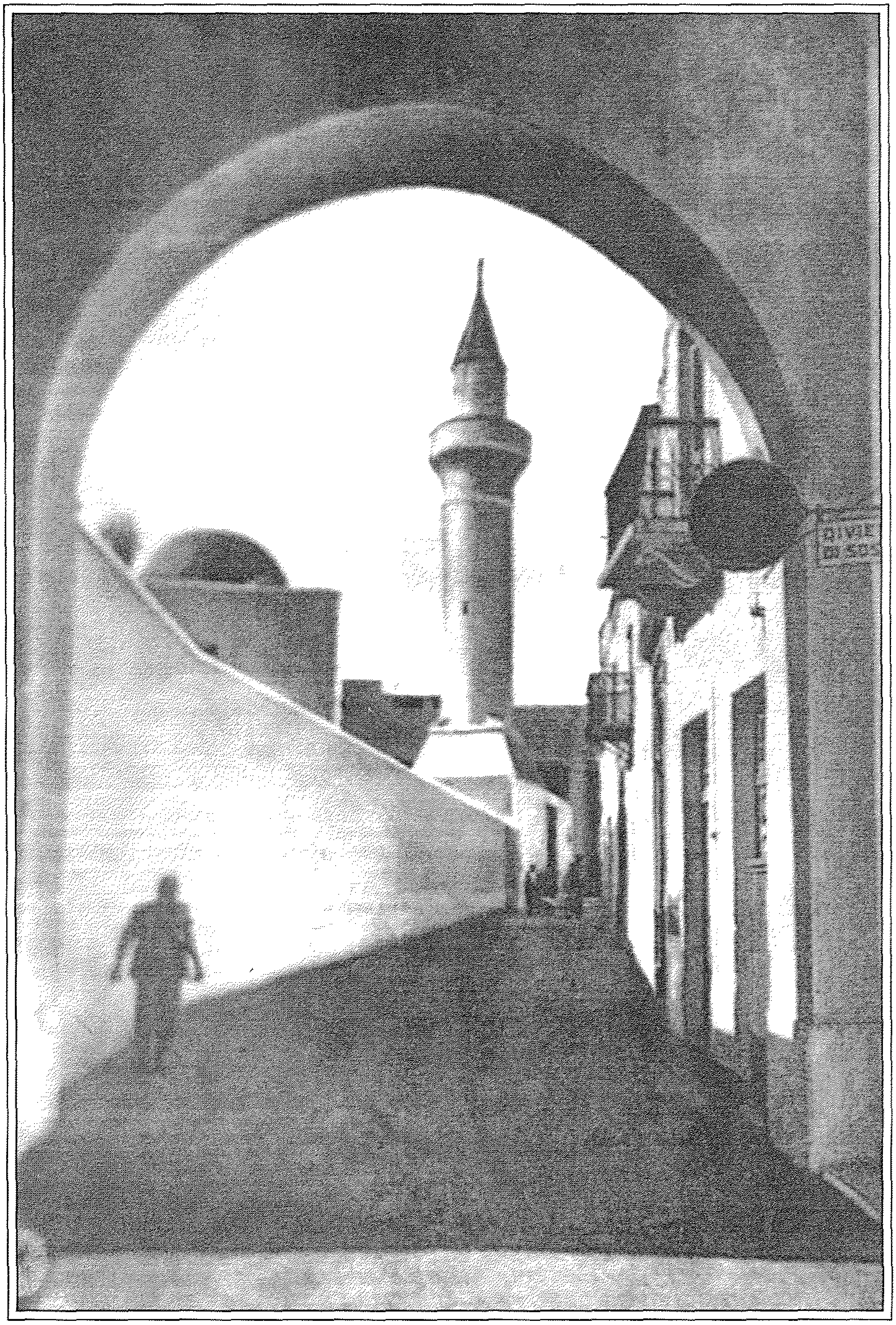

قوس جامع درغوت باشا بطرابلس وفي آخره على اليمين
يقع جامع عثمان باشا وفيه خلوة ابن مصطفى

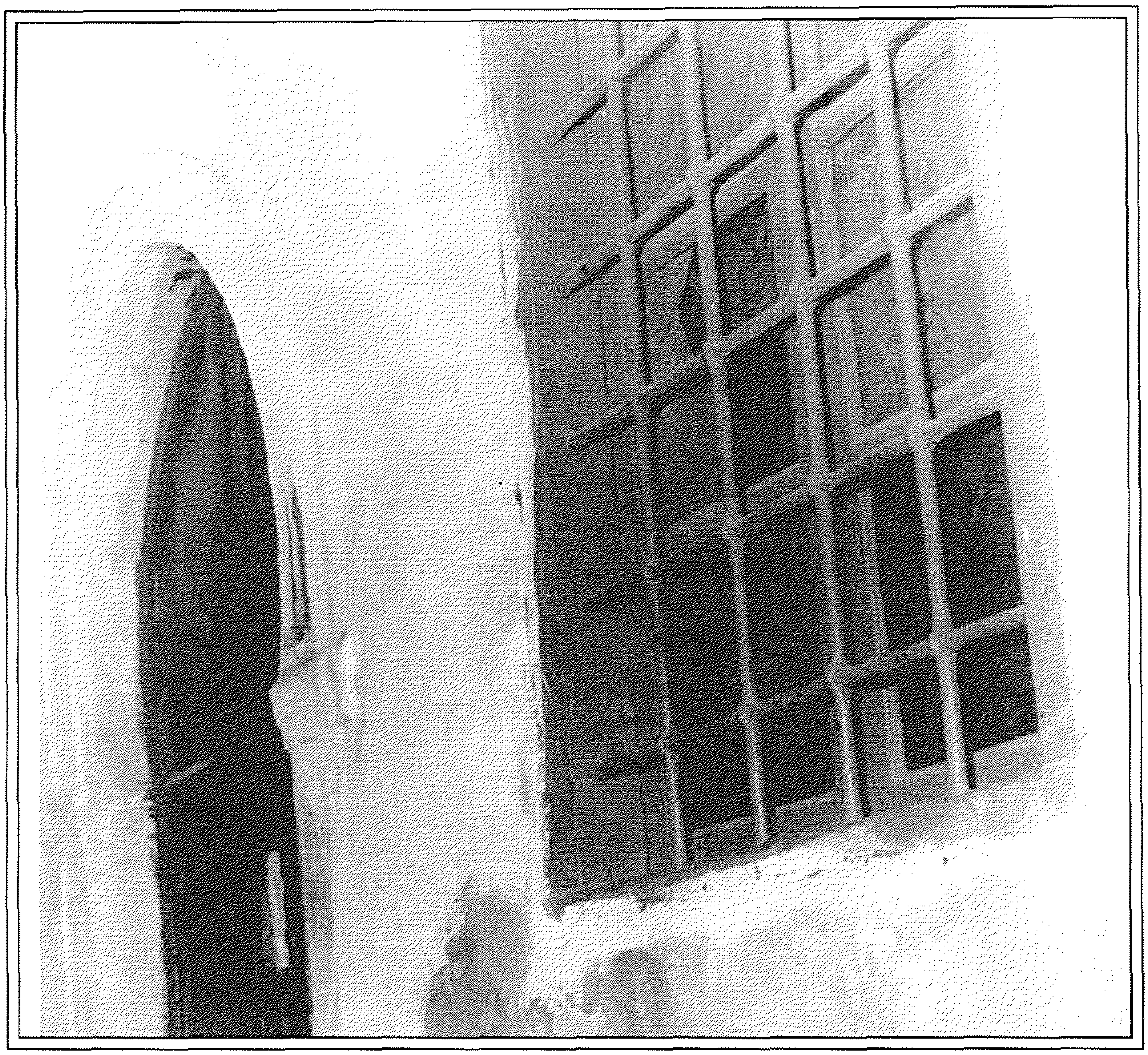

نافذة خلوة الشيخ محمد كامل وبابها في جامع عثمان باشا بطرابلس

بابا منزلي الشيخ محمد كامل في زنقة المجروح بالمدينة القديمة بعد أن مَسَّها البلى والقدم

من كتب مؤلف الكتاب ومحققاته

أولاً ـ المطبوعات:

1 ـ **أحمد الفقيه حسن (الحفيد) حياته وأدبه**. ليبيا ـ تونس، الدار العربية للكتاب ط1، 1395/ 1975 ط2 مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1421/ 2000.

2 ـ **محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا**. ليبيا ـ طرابلس ـ مركز الجهاد، ط1: 1402/ 1981، ط2/ 1996، ط3 ـ جمعية الدعوة الإسلامية / 2008.

3 ـ **مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أَدبه**. ليبيا، المنشأة العامة ط1 1405/ 1981، ط2، مركز جهاد الليبيين/ 2007.

4 ـ **أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه**. ليبيا، مركز جهاد الليبيين، 1409/ 1988.

5 ـ **سليمان الباروني (آثاره)**، ليبيا ـ تونس، الدار العربية للكتاب 1412/ 1991.

6 ـ **سبك المقال لفك العقال (تحقيق)**، تأليف عبد الواحد بن الطوّاح التونسي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ط1 ، 1417/ 1996، ط2 جمعية الدعوة الاسلامية/ 2007.

7 ـ **أديب العُدوتين مالك بن المرحّل (دراسة في أَخباره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية)**. الإمارات العربية المجمع الثقافي ط1/ ط2 دار المدار الإسلامية/ 2008.

8 ـ **ديوان الجوالات لمالك بن المرحّل (تحقيق)** بيروت، دار المدار الاسلامي، 1424/ 2004.

9 ـ **فنون النثر الأَدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب**، بيروت طرابلس الغرب، دار المدار الاسلامي 1424/ 2004.

10 ـ **إيضاح المبهم من لامية العجم (دراسة وتحقيق) تأليف أبي جمعة سعيد الماغوسي**، دار المدار الاسلامي/ 2008.

11 ـ **علي الفقيه حسن في جهوده العلميّة والسياسيّة**. لبيا، مركز جهاد الليبيين/ 2000.

12 ـ **عبد الواحد بن الطوّاح من الأعلام المغمورين في القرن الثامن الهجري**. بيروت، ليبيا، دار المدار الاسلامي 1424/ 2004.

13 ـ **اللغة العربيّة قواعد وتدريبات ونصوص** (بالاشتراك) دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 1424/ 2004.

14 ـ **محمد عبد الله السُنّي، ترجمته وتحقيق ما تبقى من آثاره**. ليبيا، مركز جهاد الليبيين.

15 ـ **أبحاث وتحقيقات في تراث الغرب الاسلامي**، ليبيا، بيروت، دار المدار الاسلامي، 2008.

16 ـ **اللمحة البدرية في الدولة النصرية (تحقيق)** ابن الخطيب، ليبيا، بيروت، دار المدار الاسلامي. ، 2008.

17 ـ **عليّ بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي**. ليبيا، جمعية الدعوة الاسلامية، 2008.

ثانيا ـ كتب قيد الاعداد:

1 ـ **أعلام الحركة الفكرية والأدبية في الغرب الاسلامي (العصر الحديث)**.

2 ـ **ارتسامات الأسفار (في فن الرحلة)**.

3 ـ **الحركة الأدبية والفكرية في نيجيريا**.

4 ـ **أعلام الإسلام (العصر الحديث)**.

5 ـ **الحركة الأَدبية والفكرية في ليبيا (معالم وأَعلام)**.

6 ـ **بحوث ودراسات**.

7 ـ **تراجم الأَعلام في طرابلس الغرب**.

8 ـ **الأدب العربي في ليبيا (العصر الحديث)**

8 ـ **جهد المقل (مقطعات وقصائد)**.

الفهرس

الإهداء	5
مقدمة الطبعة الأولى	7
مقدمة الطبعة الثانية	14
مقدمة الطبعة الثالثة	17
الباب الأول	19
الفصل الأول: الحياة العامة	21
الفصل الثاني: نشأته وتحصيله	39
الفصل الثالث: إجازاته وسنده العلمي	65
الباب الثاني	81
الفصل الأول: عودته إلى بلاده ووجهته الإصلاحية	83
الفصل الثاني: شخصيته	149
الفصل الثالث: رحلاته ومكانته في العالم الإسلامي	165
الباب الثالث	195
الفصل الأَول: أخريات حياته	197

الفصل الثاني: تآليفه وآثاره 225

الخاتمة 259

الكشافات والفهارس 267

1 ـ الشواهد

أ ـ القرآن الكريم 269

ب ـ الحديث النبوي الشريف 271

جـ ـ القوافي والأمثال 273

د ـ الكتب والدوريات 277

2 ـ الأعلام 283

3 ـ البلدان والمواضع 291

4 ـ المصادر والمراجع 295

الملاحق 303

مشاهد من مدينة طرابلس الغرب
على عهد مترجمنا الشيخ محمد كامل بن مصطفى 339

من كتب مؤَلف الكتاب ومحققاته 349

Bibliotheca Alexandrina
0682320

ISBN 978-9959-28-183-8
9 789959 281838

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
WORLD ISLAMIC CALL SOCIETY
Association Mondiale de L'Appel Islamique